

مركزية سيبويه في الثقافَة العربية

أعمال الندوة العلمية الدولية التي نظّمتها

شعبة اللغة العربية وآدابها، بكلية الآداب بتطوان

يَومي الأربعاء والخميس 14-15 ربيع الأول 1438 / 14-15دجنبر 2016

كلية الآداب – تطوان



منشورات فريق البحث الأدبي والسيميائي

بكلية الآداب والعلوم الإنسانية

تطوان - المغــــرب.

البريد الإلكتروني: abderrahmane39@hotmail.com

هاتف : (212+) 662396094

خضع هذا الكتاب قبل نشره إلى التحكيم والمراجعة

الكـتاب: مركزية سيبويه في الثقافَة العربية

إشراف:أ.د. عبد الرحمن بودرع / أ.د. محمد الحافظ الروسي

خطوط الغلاف: سهيلة بودرع

الإخراج الفني: سهيلة بودرع

الطبعة الأولى: 2017م-1438هـ

دار النشر: مطبعة الهداية - تطوان –

الإيداع القانوني:

ردمـــــــــك:

مركزية مصطلحات سيبويه الصوتيّة
في الثقافة العربيّة

د. عصـــــام فـــــاروق

أستاذ أصول اللغة المساعد

بكلية البنات الأزهرية بالعاشر من رمضان- جامعة الأزهر

مقدمة

تتناول هذه الورقة جانبًا مهمًّا من جوانب مركزيَّة الإمام سيبويه في الثقافة العربيَّة، يتمثَّل في مصطلحاته الصوتيَّة التي أوردها في ثنايا كتابه، وما لها من أثر في مؤلفات اللاحقين له، تلك المؤلفات التي تتنوع بتنوع مجالاتها المعرفية، وحدودها الزمانيَّةِ بين القديم والحديث، والمكانيَّةِ في بقاع الأرض المتراميةِ الدارسةِ للغة الضاد، أو المعنية بتراثها، ومشاربِ أصحابها وانتماءاتهم إلى مدارس لغوية ونحوية متعددة.

وعلى الرغم من هذه الاختلافات كلها يبقى المصطلح الصوتي السيبويهي قاسمًا مشتركًا ينسرب داخل تلك المؤلفات- إنْ على جانب استعمال المصطلح أو اعتماد تعريفاته وإقرارها- شاهدًا على مركزيَّة هذه المصطلحات داخل الجهاز الاصطلاحي الصوتيِّ في اللغة العربية، ما يدعو إلى العجب والاستنفار في الآن نفسه لدراسة مظاهر تلك الهيمنة وأسبابها وآثارها في الدرس الصوتي العربي قديمه وحديثه.

وقد أتى عنوان هذه الورقة (مركزية مصطلحات سيبويه الصوتية في الثقافة العربية) متماهيًا مع عنوان الندوة (مركزية سيبويه في الثقافة العربية)؛ انسجامًا مع هدفها، وتلبية لمتطلبات محاورها الرئيسة.

ويمكن تقسيم هذه الورقة إلى المطالب الثلاثة التالية:

المطلب الأول: سيبويه ومنزلته في العربية، هو مطلب تمهيدي أردتُ من خلاله أن أوضح ما لسيبيوه من منزلة كبيرة في نفوس علماء الأمة في القديم والحديث، من خلال بعض الروايات والأخبار الواردة في ذلك، وهي دليل قوي على ما تملكه هذه الشخصية من ريادة تاريخية لها تميزها في ثقافتنا العربية.

المطلب الثاني: مركزية مصطلحات سيبويه الصوتية (مظاهرها، وآثارها)، توقفت في صدر هذا المطلب أمام إشكالية منهجية تتمثل في نسبة المصطلحات الصوتية الواردة في الكتاب إلى سيبويه، وسبيلي إلى تخطي هذه الإشكالية. واعتمدتُ على استجلاء نماذج من المصطلحات - موزعة على حقول متعددة منها: مصطلحات صفات الأصوات ، ومصطلحات المخارج وأعضاء النطق، ومصطلحات خاصة بالأصوات الفروع، ومصطلحات فنولوجية، ومصطلحات خاصة بالأداء- من خلال كثير من مصنفات التراث العربي، معقبا على ذلك ببيان مظاهر مركزية هذه المصطلحات وآثارها في مؤلفات الخالفين لسيبويه.

المطلب الثالث: مركزية مصطلحات سيبويه الصوتية (أسبابها، وعوامل بقائها)، بعد الحديث عن مظاهر تلك المركزية عرجتُ على الحديث عن أسبابها وعوامل بقائها، من خلال بعض الأسباب التي أراها حاكمة في هذا الشأن.

وذيلت البحث بخاتمة تضمنت أهم النتائج التي توصلتُ إليها.

المطلب الأول: سيبويه ومنزلته في العربية

لم تلق شخصية في الدرس اللغوي العربي – على امتداد تاريخه الطويل- اهتمامًا وعنايةً مثلما لقيتْ شخصية سيبويه، كما لم يلق كتابٌ في العربية- قراءةً وشرحًا له (أو لمشكله أو لشواهده)، ودراسةً واعتراضًا عليه أو ردًا للاعتراض عليه، وتهذيبًا- مثلما لقي كتاب سيبويه.



فقد تواردت كثيرٌ من الأخبار عن فضل سيبويه وكتابه من معاصريه قبل اللاحقين له، كلها تشهد لما للرجل من مكانةٍ وسبقٍ في العربية، ولما لكتابه من ريادة ومنزلة كبيرة في نفوس العلماء، من ذلك: ما روي من أنه " لما مات سيبويه قيل ليونس- وهو مِن أساتذة سيبويه-: إن سيبويه ألَّف كتابًا من ألف ورقة في علم الخليل، فقال: يونس: ومتى سمع سيبويه من الخليل هذا كله؟ جيئوني بكتابه. فلما نظر في كتابه ورأى ما حكى، قال: يجب أن يكون هذا الرجل قد صدق عن الخليل فيما حكاه، كما صدق فيما حكي عني." [1]

كذلك وردتنا من القرن الثالث الهجري أخبار تؤكد هذه المكانة وتلك المنزلة منها ما روي من أن أبا عثمان بكر بن محمد المازني (249هـ) قال: " من أرد أن يعمل كتابًا كبيرًا في النحو بعد كتاب سيبويه فليستحي." [2] " وما راوه الجاحظ (255هـ) من قوله : " أردت الخروج إلى محمد بن عبد الملك، ففكرت في شيء أهديه له فلم أجد شيئا أشرف من كتاب سيبويه، فقلت له: أردت أن أهدي لك شيئا ففكرت، فإذا كل شيء عندك، فلم أرَ أشرف من هذا الكتاب، فقال: والله ما أهديت إليّ شيئا أحب إليّ منه." [3] وأنه " كان محمد بن يزيد المبرد إذا أراد مريد أن يقرأ عليه كتاب سيبويه، يقول له: هل ركبتَ البحرَ؟ تعظيمًا له، واستصعابًا لما فيه." [4]

ومثل ذلك ورد عن علماء القرن الرابع، يقول أبو إسحاق الزجاج (311هـ): " إذا تأملتَ الأمثلةَ من كتاب سيبويه تبينتَ أنه أعلم الناس باللغة." [5] ويقول أبو الطيب

(1) الزبيدي، طبقات النحويين واللغويين، تح: محمد أبو الفضل إبراهيم، دار المعارف، ط ثانية، ص 52.

(2) النديم، الفهرست، تح: رضا تجدّد، 1391ه-1971م، ص 57، أبو البركات ابن الأنباري نزهة الألباء في طبقات الأدباء، تح: د. إبراهيم السامرائي، مكتبة المنار- الأردن، ط ثالثة، 1405هـ-1985م، ص 56، أبو سعيد السيرافي، أخبار النحويين البصريين تح: طه محمد الزيني، محمد عبد المنعم الخفاجي، مطبعة مصطفى البابي الحلبي، ط أولى 1374هـ- 1955م، ص 39.

(3) أبو البركات ابن الأنباري، نزهة الألباء، ص 55.

(4) أبو سعيد السيرافي، أخبار النحويين البصريين، ص 39.

(5) طبقات النحويين واللغويين (72) الزبيدي،

اللغوي (351هـ): " وهو أعلم الناس بالنحو بعد الخليل، وألف كتابه الذي سماه الناس قرآن النحو." [6] ومن طريف ما يروى بمناسبة هذه التسمية أن أحد نحاة الأندلس وهو عبد الله بن محمد عيسى " كان يختم كتاب سيبويه في كل خمسة عشر يومًا." كأنما يتلوه تلاوة القرآن. [7]

وإن كنت أرى أن إطلاق لفظ (قرآن) في هذه التسمية ليس كما يتبادر إلى ذهن الكثيرين من كونه الكتاب ذا القدسية في النحو، وإنما يقرب عندي أن يكون بالمعنى الأصلي لكلمة (قراءة) وهو الجمع، أي: جامع النحو.

ويقول أبو سعيد السيرافي (368هـ) عن الكتاب: " وعمل كتابه الذي لم يسبقه إلى مثله أحد قبله ولم يحلق به من بعده." [8]

وتستطيع من خلال البحث في مصنفات القرون التالية العثور على مثل هذه الأقوال، وذلك المدح من العلماء في حق سيبويه وكتابه، ومثل هذه المهابة والإجلال نراه – أيضًا– في عيون المحدثين من العلماء على تباعد الزمن بينهم وبين سيبويه وكتابه، ومن ذلك: قول محقق المقتضب عن المبرد " وفي رأيي أن أثر كتاب سيبويه في نفس المبرد، وثقافته أعمق من كل أثر "[9]

وكذلك قول محمد المختار ولد أباه بعد حديثه عن الخليل بن أحمد: "... لكن الفضل الأكبر يعود إلى تلميذه سيبويه الذي جمع هذه الأفكار ورتبها في مدونة تعارف

---

(6) أبو الطيب اللغوي، مراتب النحويين، تح: محمد أبو الفضل إبراهيم، المكتبة العصرية، بيروت، أولى 1413هـ-2002م، ص 73.

(7) السيوطي، بغية الوعاة في طبقات اللغويين والنحاة، تح: محمد أبو الفضل إبراهيم، دار الفكر، ثانية، 1933هـ-1979م.، ص 289، وينظر: مقدمة محقق الكتاب (1/ 24)

(8) أبو سعيد السيرافي، أخبار النحويين البصريين ص 48.

(9) المبرد، المقتضب، تح: محمد عبد الخالق عضيمة، ط المجلس الأعلى للشئون الإسلامية، القاهرة، 1415هـ- 1994م ص 1/ 26.



عليها أهل الفن بتسميتها بالكتاب، والنحاة حينما يشيرون إلى الكتاب، فإنهم ينظرون إليه، وكأنه المعجزة النحوية التي ليس لأحد أن يأتي بمثلها." [10]

ويتعدى ذلكم الأثر الحضارةَ العربية إلى مثيلتها الغربية، فقد جعل المستشرق شاده ما وصل إلينا من علم الأصوات عند العرب خصوصا ما ورد عن سيبويه " مفخرًا من أعظم مفاخر العرب." [11]

تلك العبارة التي يمكن فهمها بصورة أوضح من خلال ما أورده صاعد بن أحمد الأندلسي (462هـ)، حينما قال:" ولا أعرف كتابًا أُلِّف في علم من العلوم قديمها وحديثها فاشتمل على جميع ذلك العلم، وأحاط بجميع أجزاء ذلك الفن غير ثلاثة كتب: أحدها المجسطي لبطليموس في علم هيئة الأفلاك، والثاني كتاب أرسطاليس في علم المنطق، والثالث كتاب سيبويه البصري النحوي، فإن كل واحد من هذه لم يشذ عنه من أصول فنه شيء إلا ما لا خطر له. "[12]

المطلب الثاني: مركزية مصطلحات سيبويه الصوتية (مظاهرها، وآثارها)

قبل أن نشرع في بيان مظاهر مركزية مصطلحات سيبويه الصوتية وتأثيرها في اللاحقين له، هناك إشكالية منهجية يجب الوقوف أمامها، والحديث عنها بشكل إجمالي؛ نظرًا لما تقتضيه لمحدودية المساحة المخصصة لهذه الورقة. تتمثل هذه الإشكالية في أن المصطلحات التي وردت في كتاب سيبويه، قد لا يكون هو منشؤها، أو واضعها، بل من الممكن أن تكون من إطلاق أساتذته، خصوصًا الخليل بن أحمد،

(10) د. محمد المختار ولد أباه، تاريخ النحو العربي في المشرق والمغرب، دار الكتب العلمية، ط ثانية 1429هـ- 2008م، ص 80.

(11) علم الأصوات عند سيبويه وعندنا للمستشرق الألماني أرتو شاده، محاضرة برؤية استشراقية ومراجعة حديثة، د.صبيح حمود التميمي، آداب الرافدين، العدد 58، لعام 1432هـ-2010م، ص 66

(12) ينظر: صاعد بن أحمد الأندلسي، طبقات الأمم، نشره الأب لويس شيخو اليسوعي، المطبعة الكاثوليكية للآباء اليسوعيين- بيروت 1912م ص 31.

كأن يكون للأخير مصطلحاتٌ لم يضمِّنها مقدمةَ معجمه، أو وَضَعَ مرادفات لما ورد من مصطلحات في هذه المقدمة، سمعها منه سيبويه، وأثبتَها في الكتاب.

وقد يقوي مثل هذا الاحتمال بعضُ الروايات التي حكاها بعضُ العلماء عن الخليل في أمورٍ صوتيَّة،لم تتضمنها مقدمةُ العين، ومنها ما رواه ابن كيسان - فيما حكاه السيوطي- قال: " سمعتُ من يذكر عن الخليل أنه قال: لم أبدأ بالهمزة؛ لأنه يلحقها النقص، والتغيير والحذف. ولا بألف؛ لأنها لا تكون في ابتداء كلمة ولا في اسم ولا فعل إلا زائدة أو مبدلة. ولا بالهاء؛ لأنها مهموسة خفية لا صوت لها، فنزلتُ إلى الحيز الثاني، وفيه العين والحاء، فوجدت العين أنصع الحرفين، فابتدأت بها؛ ليكون أحسن في التأليف." (13)

ولست الآن في معرض التعليق على صحة هذه الرواية من عدمها، ولكنها إذا صحتْ فإنها تهدم ما هو معروف بين العلماء من أن مصطلح الهمس - وبالتالي الجهر- منسوب لسيبويه، وتؤكد ما نتوجس منه من أن هذه المصطلحات قد لا تكون خالصةً لسيبويه.

ومما يزيد صعوبة الجزم بنسبة هذه المصطلحات إلى سيبويه أنه لم يصرح بأنه منشؤها أو ناقلها، ولا يكفي عدم ذكرها عند أحدٍ قبله دليلا للقول بأنه صاحب هذه المصطلحات وواضعها، خصوصًا أن كثيرًا من أساتذة سيبويه ليس لهم آثارٌ مكتوبة أو حفظها لنا الزمانُ، نستطيع أن نتبين من خلالها حدود نقله منها، ومما يقال في هذا الشأن " أنه اعتمد على كتابي (الإكمال) و (الجامع) لعيسى بن عمر، ولكنّ هذين الكتابين لم يصلا إلينا لنرى مقدار استفادة سيبويه منهما واعتماده عليهما. "(14)

---

(13) جلال الدين السيوطي، المزهر في علوم اللغة وأنواعها، تح: محمد أحمد جاد المولى وآخرين، مكتبة دار التراث- القاهرة، ط ثالثة، د.ت ج1ص90.

(14) د. خديجة الحديثي، أبنية الصرف في كتاب سيبويه، منشورات مكتبة النهضة- بغداد، ط أولى، 1385هـ- 1965م، ص 63، 64



وفي ضوء ذلك فإننا لا يمكننا قبول مثل ما جزم به د. عبد العزيز الصيغ من أن " مصطلح الانفتاح ذكره سيبويه في كتابه، ولم يذكره أحد قبله، فهو واضع هذا المصطلح، أما الخليل فقد سمى هذا المصطلح مختفضًا." [15] إذ ما الدليل على أنه لم يذكره أحدٌ قبله؟ ثم ما الدليل على أنه واضعُه؟ وهل مجرد ورود مصطلح آخر عند أستاذه يثبت له هذا الوضع؟

وعلى الرغم من تلك الإشكالية الكبيرة – التي قد أعود إليها في بحث مستقل يعمل على توضيحها وفك متشابكها في وقت لاحق إن شاء الله- فلن أجعلها تقف حجر عثرة في طريق البحث عن أسباب مركزية هذه المصطلحات – الواردة في كتاب سيبويه- في التراث العربي، وسبيلي إلى تخطي هذه الإشكالية، عدة أمور أقررها فيما يلي:

1. أن هذه المصطلحات وردتْ في كتاب سيبويه، واشتُهر بين اللغويين والباحثين نسبتُها إليه، يظهر ذلك – على سبيل المثال- من خلال قول المرعشي الذي أراه دقيقًا وموفقًا إلى حدٍّ بعيدٍ: " الجهر والهمس مصطلحان قديمان اقترن ذكرهما بعالم العربية سيبويه." [16] فقد يُعتمد على مجرد الاقتران هذا في القول بنسبة هذه المصطلحات لسيبويه، على سبيل التجاوز.

2. سأعتمد على تحري المصطلحات الصوتية التي وردت في كتاب سيبويه، ولم ترد – في الوقت نفسه- عند الخليل في مقدمة معجمه، حتى وإن لم يكن هذا الإجراء قاطعًا في عدم ورودها عن الخليل، من خلال سماعها منه مباشرة من قِبَلِ سيبويه، ولكنها خطوة أراها ضروريةً لمحاولة تجاوز هذه الإشكالية.

---

(15) د. عبد العزيز الصيغ، المصطلح الصوتي في الدراسات العربية، دار الفكر- دمشق، ط ثانية 1427هـ-2007م، ص 137.

(16) المرعشي، جهد المقل، تح: د. سالم قدوري الحمد، دار عمار- عمان، ثانية 1429هـ-2008م، ص 65.

3. لستُ أول من ينسب إلى سيبويه المصطلحات الواردة في كتابه تجاوزًا – مع الوضع في الاعتبار تلك الإشكالية- فعلي سبيل المثال يقرر د. علي توفيق الحمد أن " المصطلحات التي نجدها في كتاب سيبويه قد تكون من وضعه واقتراحه هو، وقد تكون من وضع شيخه الخليل، وقد تكون – أيضًا- من أسبق من كليهما، تلقياها عن المؤسسين الأوائل، منذ أبي الأسود وتلامذته ومن تلاهم، كعبد الله بن أبي أبي إسحاق، وعيسى بن عمر، وأبي عمر بن العلاء، ويونس بن حبيب، وليس غرض البحث أن يحدد نسبة كل مصطلح إلى واضعه، وإنما نعد كل المصطلحات التي حواها الكتاب مصطلحات نضيفها إلى سيبويه، ما دام سيبويه قد استخدمها وارتضاها، وضمنها كتابه، فبحثنا مختص بمصطلحات سيبويه، أي المصطلحات المدونة في كتابه." (17)

ننطلق من هذه الاعتبارات – تجاوزًا- إلى ما ورد في عنوان البحث من قولنا: (مصطلحات سيبويه الصوتية)، والآن مع بيان مظان وجود هذه المصطلحات في بعض مؤلفات التراث العربي، التي حرصنا أن تغطي امتدادات زمانية ومكانية وحضارية سوف نقف معها في آخر هذا المطلب، وسأكتفي في التدليل على ورود المصطلحات في المؤلَّف الواحد على موضعٍ واحدٍ أو بعض المواضع القليلة منه، على النحو التالي:

أولًا- مصطلحات صفات الأصوات:

من المنظومات المفاهيميَّة الصوتية التي وردت في كتاب سيبويه تلك التي تعمل على بيان صفات الأصوات، باعتبار تلك الصفات من السمات التمييزية التي تُصنَّف بحسبها الأصوات العربيةُ، واصطلح العلماء على تقسيم تلك الصفات إلى نوعين أساسيين، هما:

(17) د. علي توفيق الحمد، قراءة في مصطلح سيبويه تحليل ونقد، بحث منشور بمجلة علوم اللغة، المجلد 9 العدد 1 سنة 2006م، ص 67، 68.

(أ) الصفات التي لها ضد (المتقابلة):

وسنكتفي من هذه المجموعة بخمسة من المصطلحات، هي: الجهر (مجهور)- الهمس (مهموس)- الشدة (الشديد)- الرخاوة (الرخو) – الإطباق (المطبق).

ورد مصطلحا (الجهر) و(الهمس) بصيغة اسم المفعول في أكثر من موضع في (الكتاب)، منها قول سيبويه: " هذا باب عدد الحروف العربية، ومخارجها، ومهموسها، ومجهورها، وأحوال مجهورها ومهموسها، واختلافها.." [18]

وقال في الشدة والرخاوة: " ومن الحروف الشديدُ وهو الذي يمنع الصوتَ أن يجري فيه، وهو الهمزة.... ومنها الرِّخوة، وهي: الهاء والحاء ..." إلخ[19].

وقال في الإطباق: " ومنها المطبقة والمنفتحة، فأما المطبقة فالصاد والضاد والطاء والظاء.." [20]

فإذا فتشنا في مواضعَ كثيرةٍ من تراثنا العربي – ليس على سبيل الحصر – وجدنا أن هذه المصطلحات كلَّها أو بعضَها قد وردتْ عند كلٍّ من:

المبرد (210هـ) في المقتضب [21]، وابن السراج (316هـ) في الأصول[22]، وابن دريد (321هـ) في جمهرة اللغة[23]، وابن مجاهد (324هـ) في السبعة[24]، والزجاجي

(18) سيبويه، الكتاب، تح: عبد السلام هارون، مكتبة الخانجي، ط ثالثة، 1408هـ-1988م، ج 4 ص 431.

(19) سيبويه، الكتاب، ج 4 ص 434.

(20) سيبويه، الكتاب، ج 4 ص 436.

(21) المبرد، المقتضب، تح: محمد عبد الخالق عضيمة، ط المجلس الأعلى للشئون الإسلامية، ثالثة، 1415، 1994م. ج1 ص 328

(22) ابن السراج، الأصول في النحو، تح: د. عبد الحسين الفتلي، مؤسسة الرسالة- بيروت، ط ثالثة، 1417هـ-1996م، ج 3 ص 401، 402، 404

(23) ابن دريد، جمهرة اللغة، مطبعة مجلس دائرة المعارف – حيدر آباد الدكن، الطبعة الأولى، 1344هـ. ج1 ص 8

(24) ابن مجاهد، السبعة في القراءات، تح: شوقي ضيف، دار المعارف، ط ثالثة، 1400هـ، ص 107، 108

(340هـ) في الجمل[25]، والسيرافي (368هـ) في ما ذكره الكوفيون[26]، وابن جني (392هـ) في سر صناعة الإعراب[27]، والباقلاني (402هـ) في إعجاز القرآن[28]، وابن سينا (428هـ) في أسباب حدوث الحروف[29]، ومكي بن أبي طالب (437هـ) في الرعاية[30] والمهدوي (440هـ) في شرح الهداية[31]، وأبي عمرو الداني (444هـ) في التحديد[32]، وعبد الوهاب القرطبي (461هـ) في الموضح في التجويد[33]، وابن سنان الخفاجي (466هـ) في سر الفصاحة[34]، وابن الباذش (540هـ) في الإقناع[35]، وابن

---

(25) أبو إسحاق الزجاجي، الجمل في النحو، ، تح: علي توفيق الحمد، مؤسسة الرسالة- دار الأمل، ط ثالثة، 1407هـ-1986م، ص 409

(26) أبو سعيد السيرافي، ما ذكره الكوفيون من الإدغام، تح: د. صبيح التميمي، دار البيان العربي- جدة، ط أولى، 1405هـ-1985م، ص 59، 64، 67.

(27) ابن جني، سر صناعة الإعراب، تح: د. حسن هنداوي، دار القلم- دمشق، ط ثانية 1413هـ- 1993م. ج 1 ص 60، 61

(28) أبو بكر محمد بن الطيب الباقلاني، إعجاز القرآن، تح: السيد أحمد صقر، دار المعارف بمصر، سلسلة ذخائر العرب (12)، 1954م، ص 66، 67

(29) ابن سينا، أسباب حدوث الحروف، تح: محمد حسان الطيان- يحيي مير علم، مطبوعات مجمع اللغة العربية بدمشق، 1982م، ص 88، 128.

(30) مكي بن أبي طالب، الرعاية لتجويد القراءة وتحقيق لفظ التلاوة ، تح: د. أحمد حسن فرحات، دار عمار، ثالثة 1417هـ-1996م، ص 116، 117، 118، 122.

(31) أبو العباس المهدوي، شرح الهداية، تح: د. حازم سعيد حيدر، مكتبة الرشد- الرياض، 1415هـ، ج1، ص 77، 78.

(32) أبو عمر الداني، التحديد في الإتقان والتجويد، تح: د. غانم قدوري الحمد، دار عمار- عمان، ط أولى، 1421هـ- 2000م، ص 105.

(33) عبد الوهاب القرطبي، الموضح في التجويد، تح: غانم قدوري الحمد، دار عمار، ط أولى 1412هـ- 2000م، ص 87، 88، 89.

(34) ابن سنان الخفاجي، سر الفصاحة، تح: عبد المتعال الصعيدي، مكتبة ومطبعة محمد علي صبيح، 1372هـ- 1953م، ص 23، 24.

(35) ابن الباذش، الإقناع في القراءات السبع، تح: د. عبد المجيد قطامش، جامعة أم القرى- مركز البحث العلمي وإحياء التراث الإسلامي، سلسلة من التراث الإسلامي (الكتاب الثالث والعشرون)، ط أولى 1403هـ، ص 174.



الطحان (560هـ) في مخارج الحروف وصفاتها[36]، والزمخشري (538هـ) في المفصل في علم العربية[37]، وابن الأنباري (577هـ) في أسرار العربية [38]، وأبي المعالي الموصلي (621هـ) في الدر المرصوف[39]، والسكاكي (626هـ) في مفتاح العلوم[40]، وابن يعيش (643هـ) في شرح المفصل[41]، وابن وثيق الأندلسي (654هـ) في تجويد القراءة ومخارج الحروف[42]، وأبي شامة (665هـ) في إبراز المعاني[43]، وابن عصفور (669هـ) في الممتع[44]، ورضي الدين الاستراباذي (686هـ) في شرح الشافية[45]، وابن عقيل (769هـ) في المساعد على تسهيل الفوائد[46]، وابن القاصح

---

(36) ابن الطحان، مخارج الحروف وصفاتها، تح: د. محمد يعقوب تركستاني، بيروت، 1404هـ-1984م، ص 93

(37) الزمخشري المفصل في علم العربية، ، مطبعة التقدم- مصر، ط أولى، 1323هـ، ص 395.

(38) أبو البركات عبد الرحمن الأنباري، أسرار العربية، تح: محمد بهجة البيطار، مطبوعات مجمع اللغة العربية بدمشق، 1957م، ص 421، 422.

(39) أبو المعالي الموصلي ، الدر المرصوف في وصف مخارج الحروف، تح: د.غانم قدوري الحمد، مجلة الحكمة، العدد (25)، جمادى الثانية 1423ه، ص 238، 239

(40) أبو يعقوب السكاكي، مفتاح العلوم، تح: أكرم عثمان يوسف، مطبعة دار الرسالة- بغداد، ط أولى، 1402هـ-1982م، ص 109

(41) ابن يعيش، شرح المفصل، إدارة الطباعة المنيرية، دون تاريخ، ج 10 ص 129

(42) ابن وثيق الأندلسي، تجويد القراءة ومخارج الحروف، تح: د. غانم قدوري الحمد، منشور بمجلة الحكمة، العدد 35، جمادى الثانية 1428هـ، 354، 355.

(43) أبو شامة الدمشقي، إبراز المعاني من حرز الأماني في القراءات السبع، تح: إبراهيم عطوة عوض، مطبعة البابي الحلبي، 1398هـ-1978م، 751، 752.

(44) ابن عصفور الإشبيلي، الممتع الكبير في التصريف، تح: د. فخر الدين قباوة، مكتبة لبنان ناشرون- بيروت، ط أولى، 1996م، ص 426، 427.

(45) رضي الدين الاستراباذي، شرح شافية ابن الحاجب، تح: محمد نور الحسن، محمد الزفزاف، محمد محيي الدين عبد الحميد، دار الكتب العلمية- بيروت، 1402هـ-1982م، ج3 ص 258، 260، 262.

(46) ابن عقيل، المساعد في تسهيل الفوائد، تح: د. محمد كامل بركات، مركز البحث العلمي وإحياء التراث، جامعة الملك عبد العزيز، 1400هـ-1980م، 4/ 245، 246.

(801هـ) في سراج القارئ المبتدئ[47]، وابن الجزري (833هـ) في التمهيد[48]، والنشر[49]، والسيوطي (911هـ) في همع الهوامع[50]، وابن غياث (1035هـ) في المناهل الصافية[51]، والكفوي (1094هـ) في الكليات[52]، والمرعشي (1150هـ) في جهد المقل[53]، وبروكلمان في فقه اللغات السامية[54] (نشر عام 1327هـ- 1906م)، ود. إبراهيم أنيس في الأصوات اللغوية[55]، وكانتينو في دروس في علم أصوات العربية[56] (نشر عام 1960م)، ود. كمال بشر في علم الأصوات[57]، ود.محمد علي الخولي في معجم علم الأصوات[58]، ود. عبد العزيز

(47) ابن القاصح، سراج القارئ المبتدئ وتذكار المقرئ المنتهي، مراجعة: الشيخ علي محمد الضباع، مكتبة مصطفى البابي الحلبي- مصر، ط ثالثة، 1373ه-1954م، ص 408، 409، 410.

(48) ابن الجزري، التمهيد في علم التجويد، تح: علي حسين البواب، مكتبة المعارف- الرياض، ط أولى، 1405هـ-1985م، 86، 87، 88، 90.

(49) ابن الجزري، النشر في القراءات العشر، خرج آياته: الشيخ زكريا عميرات، دار الكتب العلمية- بيروت، ط أولى، 1418- 1998م، ج1ص 160، 161.

(50) السيوطي، همع الهوامع في جمع الجوامع، تح: د. عبد العال سالم مكرم، مؤسسة الرسالة، 1413هـ- 1992م، ج 6، 289، 290.

(51) ابن الغياث، المناهل الصافية إلى كشف معاني الشافية، تح: د. عبد الرحمن محمد شاهين، مكتبة الشباب- مصر، دون تاريخ، ج2، ص 340، 341، 342، 343، 344.

(52) أبو البقاء الكفوي، الكليات: معجم في المصطلحات والفروق اللغوية، تح: د. عدنان درويش- محمد المصري، مؤسسة الرسالة، ط ثانية، 1419هـ- 1998م، ص 142.

(53) المرعشي، جهد المقل، ص 67، 141، 142، 143، 152.

(54) كارل بروكلمان، فقه اللغات السامية، ترجمة: د. رمضان عبد التواب، جامعة الرياض، 1397هـ-1977م، 48، 49.

(55) د. إبراهيم أنيس، الأصوات اللغوية، مكتبة نهضة مصر، دون تاريخ، ص 21، 24، 51.

(56) جان كانتينو، دروس في علم أصوات العربية، ترجمة: صالح القرمادي، الجامعة التونسية- تونس، 1966م، ص 49، 50، 53، 116.

(57) د. كمال بشر، علم الأصوات، دار غريب، 2000م ، ص 151، 398.

(58) د. محمد علي الخولي، معجم علم الأصوات، ط أولى، 1402هـ-1982م، ص 19، 71، 154، 164.



علام في عن علم التجويد القرآني[59] ود. رمزي بعلبكي في معجم المصطلحات اللغوية[60]، ود. أحمد مختار عمر في دراسة الصوت اللغوي[61]، ود.عبد الفتاح البركاوي في مقدمة في أصوات اللغة العربية وفن الأداء القرآني[62].

(ب) الصفات التي لا ضد لها (غير المتقابلة):

وقد اخترت من هذه المجموعة خمسة مصطلحات: مصطلحين من المصطلحات التي تطلق على مجموعة من الأصوات، وهما: (التفشي، الصفير)، وثلاثةً من المصطلحات الدالة على أصوات مفردة، وهي: (الانحراف، التكرار، الغنة).

وقد ورد مصطلح التفشي في قول سيبويه: " والشين لا تدغم في الجيم؛ لأن الشين استطال مخرجها حتى اتصل بمخرج الطاء، فصارت منزلتها منها نحوا من منزلة الفاء مع الباء، فاجتمع هذا فيها والتفشي." .

وورد مصطلح الصفير في قوله: ".. وأما الصاد والسين والزاي فلا تدغمن في هذه الحروف التي أدغمت فيهن؛ لأنهن حروف الصفير، وهن أندى في السمع.. ".

وورد مصطلح الانحراف في قوله: "وأما المنحرف، وهو حرف شديد جرى فيه الصوت لانحراف اللسان مع الصوت.. وهو اللام."

وقال في التكرار: "ومنها المكرر... وهو الراء".

---

(59) د. عبد العزيز علام، عن علم التجويد القرآني في ضوء الدراسات الصوتية الحديثة، ط ثانية 1417هـ- 2006م، ص 119، 123، 126.

(60) د. رمزي منير بعلبكي، معجم المصطلحات اللغوية، دار العلم للملايين، ط أولى، 1990م، ص 198، 279، 531، 532.

(61) د. أحمد مختار عمر، دراسة الصوت اللغوي، عالم الكتب، 1418هـ-1997م، ص 324.

(62) د. عبد الفتاح البركاوي، مقدمة في أصوات اللغة العربية وفن الأداء القرآني، القاهرة، 2002م، ص 99 وما بعدها.

وقال في الغنة: " ومنها حرف شديد يجري معه الصوت؛ لأن ذلك الصوت غنة من الأنف.. وهو النون وكذلك الميم." (63)

ووردتْ هذه المصطلحات الخمسة كلها أو بعضها عند كلٍّ من:

المبرد في المقتضب 1/ 329، 330، 332، وابن السراج في الأصول 3/ 403، 417، وابن مجاهد في السبعة 107، والسيرافي في ما ذكره الكوفيون 62، 64، وابن جني في سر صناعة الإعراب 1/ 48، 63، 2/ 817، والخصائص 2/ 328، ابن سينا في أسباب حدوث الحروف 78، ومكي بن أبي طالب في الرعاية 124، 131، 134، والمهدوي في شرح الهداية 1/ 79، وأبي عمرو الداني في التحديد 107، 108، 109 والقرطبي في الموضح في التجويد 92، 96، 97، وابن الباذش في الإقناع 117، 174، 175، والزمخشري في المفصل في علم العربية394، 395، 396، وابن الأنباري في أسرار العربية 421، 425، وأبي المعالي الموصلي في الدر المرصوف 240، 241، وابن يعيش في شرح المفصل 10/ 129، 130 وابن وثيق الأندلسي في تجويد القراءة ومخارج الحروف 356، وأبي شامة في إبراز المعاني753، وابن عصفور في الممتع 427، ورضي الدين الاستراباذي في شرح الشافية 3/ 258، 266، 270، وابن عقيل في المساعد على تسهيل الفوائد 4/ 244، 247، 248، 249 وابن القاصح في سراج القارئ المبتدئ 410،408، وابن الجزري في التمهيد 95، 96، 97، والنشر1/ 160، 161، 162، 163، والسيوطي في همع الهوامع 6/ 290، وابن غياث في المناهل الصافية 2/ 340، والمرعشي في جهد المقل 156، 158، 163 ، ومكي نصر (1322هـ) في نهاية القول المفيد(64)، ود.إبراهيم أنيس في الأصوات اللغوية 57، 61، وكانتينو في دروس في علم أصوات العربية 38، 61، ود. عبد العزيز

(63) على الترتيب السابق: الكتاب (4/ 448)، (4/ 464) (4/ 435) (4/ 435)، (4/ 435).

(64) محمد مكي نصر الجريسي، نهاية القول المفيد في علم تجويد القرآن المجيد، ضبطها وصححها وخرج آياتها: عبد الله محمود محمد عمر، دار الكتب العلمية- بيروت، أولى، 1424هـ- 2003م، ص 46



علام في عن علم التجويد القرآني 96، 103، 105، 107، 109، ورمزي بعلبكي في معجم المصطلحات اللغوية 435، 512، ود.عبد الفتاح البركاوي في مقدمة في أصوات اللغة العربية 114، 119، 120.

ثانيا- مصطلحات المخارج وأعضاء النطق:

اخترت من هذه المجموعة خمسةً من هذه المصطلحات، هي: وسط الحلق (أوسط الحلق)- أقصى اللسان- وسط اللسان- حافة اللسان- الخياشيم[65]:

وقد وردت هذه المصطلحات كلها أو بعضها عند كلٍّ من:

المبرد في المقتضب 1/ 342، 356، يعقوب الكندي (256هـ) في رسالته عن اللثغة[66]، وابن السراج في الأصول 3/ 400، 417، والزجاجي في الجمل 410، 411، وابن جني في سر صناعة الإعراب 1/ 47، ابن سينا في أسباب حدوث الحروف 70، 83، وأبي عمرو الداني في التحديد 102، 103، والقرطبي في الموضح في التجويد 78، 79، وابن سنان الخفاجي في سر الفصاحة 22، 23، وابن الباذش في الإقناع1/ 172، 173، 174، والزمخشري في المفصل في علم العربية393، 394، وابن الأنباري في أسرار العربية 420، 421، وأبي المعالي الموصلي في الدر المرصوف 237، 241، وابن يعيش في شرح المفصل 10/ 124، 125 وابن وثيق الأندلسي في تجويد القراءة ومخارج الحروف 351، 352، وأبي شامة في إبراز المعاني745، 746، 748، 750 وابن عصفور في الممتع 424، 425، ورضي الدين الاسترابادي في شرح الشافية 3/ 251، 252، وابن عقيل في المساعد على تسهيل الفوائد 4/ 240، 241، 244، وابن القاصح في سراج القارئ المبتدئ 405، 408،

(65) ورد مصطلح (أوسط الحلق) و(أقصى اللسان) و(وسط اللسان) و(حافة اللسان) في الكتاب (4/ 433) ومصطلح (الخياشيم) في (4/ 434).

(66) د. محمد حسان الطيان، رسالة يعقوب الكندي في اللثغة، ضمن كتاب تحت راية العربية، دار الثقافة والتراث- دمشق، ط أولى 1428- 2008م، ص 18، 20.

وابن الجزري في التمهيد 106، والنشر1/ 158، 159، 160، والسيوطي في همع الهوامع 6/ 288، 289 وابن غياث في المناهل الصافية 2/ 332، 334، والمرعشي في جهد المقل 128، 130، 138 ، ومكي نصر في نهاية القول المفيد 36، 37، 40 ود.إبراهيم أنيس في الأصوات اللغوية 19، وكانتينو في دروس في علم أصوات العربية 60، 116، ود. كمال بشر في علم الأصوات 138، ود. عبد العزيز علام في عن علم التجويد القرآني 59، ورمزي بعلبكي في معجم المصطلحات اللغوية 86.

ثالثا- مصطلحات خاصة بالأصوات الفروع:

وقد اخترت من هذا النوع من المصطلحات مصطلحين: أحدهما يخص الأصوات المستحسنة وهو: النون الخفيفة، وثانيهما يخص الأصوات غير المستحسنة، وهو: الضاد الضعيفة. [67]

وقد ورد المصطلحان أو أحدهما عند كلٍّ من:

المبرد في المقتضب 1/ 330، والزجاجي في الجمل 409، وابن جني في سر صناعة الإعراب 1/ 46، والقرطبي في الموضح في التجويد 79، 81، 84، 86، 79، وابن سنان الخفاجي في سر الفصاحة 22، وابن الباذش في الإقناع 179، والزمخشري في المفصل في علم العربية 394، وابن الأنباري في أسرار العربية 419، وابن يعيش في شرح المفصل 10/ 126، 127، وابن عصفور في الممتع 422، 423، والسيوطي في همع الهوامع 6/ 296، وابن غياث في المناهل الصافية 2/ 336، 337.

رابعا- مصطلحات فنولوجية:

ومن نماذج هذه المصطلحات مصطلحا: الإخفاء- الإظهار[68]، وقد ورد هذان المصطلحان أو أحدهما عند كلٍّ من:

---

(67) ورد مصطلحا النون الخفيفة والضاد الضعيفة في الكتاب (4/ 432)

(68) ورد مصطلحا الإخفاء- الإظهار في الكتاب (4/ 446، 454)



المبرد في المقتضب 1/ 337، 343، وابن السراج في الأصول 3/ 417، وابن مجاهد في السبعة 125، 126، 406، والسيرافي في ما ذكره الكوفيون 66، وابن جني في الخصائص 1/ 365، وابن غلبون (399هـ) في التذكرة[69]، ومكي بن أبي طالب في الرعاية 262، 267، وأبي عمرو الداني في التحديد 111، 115، والقرطبي في الموضح في التجويد 157،وابن الباذش في الإقناع 253، 258، والزمخشري في المفصل في علم العربية400، وابن عصفور في الممتع 698، وابن عقيل في المساعد على تسهيل الفوائد 4/ 275، وابن القاصح في سراج القارئ المبتدئ 101، وابن الجزري في التمهيد 55، 158، وابن غياث في المناهل الصافية 2/ 361، والمرعشي في جهد المقل 140، والبنا الدمياطي(1117هـ) في إتحاف فضلاء البشر[70]، ومكي نصر في نهاية القول المفيد 123، ود. عبد العزيز علام في عن علم التجويد القرآني 222، 230، عطية قابل نصر في غاية المريد[71]، ود.عبد الفتاح البركاوي في مقدمة في أصوات اللغة العربية 212، 221، ومحمود بسة في فتح المجيد في شرح كتاب العمدة في التجويد[72].

خامسا: مصطلحات خاصة بالأداء:

ومن نماذج هذه المصطلحات مصطلحا: الإشمام- الروم[73]، وقد ورد المصطلحان أو أحدهما عند كلٍّ من:

---

(69) أبو الحسن ابن غلبون، التذكرة في القراءات، تح: د. سعيد صالح زعيمة، دار ابن خلدون- الإسكندرية، توزيع دار الكتب العلمية- بيروت، ط أولى 1422ه- 2001م، ج1، ص 136، 137.

(70) البنا الدمياطي، إتحاف فضلاء البشر بالقراءات الأربعة عشر، تح: د. شعبان محمد إسماعيل، عالم الكتب- بيروت، مكتبة الكليات الأزهرية- القاهرة، ط أولى، 1407هـ- 1987م، ج 1، ص 143.

(71) عطية قابل نصر، غاية المريد في علم التجويد، دار التقوى، ثانية، 1412هـ، ص 52، 64.

(72) محمد علي بسة، فتح المجيد شرح كتاب العميد في علم التجويد، مكتبة الإيمان- مكتبة الجامعة الأزهرية، أولى، 1432هـ — 2011م، 18، 27.

(73) ورد مصطلحا الإشمام والروم في الكتاب (4/ 168)

ابن جني في الخصائص 2/ 328، وابن غلبون في التذكرة1/ 70، 71، مكي ابن أبي طالب في الرعاية 260، والتبصرة[74]، والمهدوي في شرح الهداية 1/ 70، وأبي عمرو الداني في التحديد 95، 97، والتيسير[75]، والقرطبي في الموضح في التجويد 208، 209، وأبي شامة في إبراز المعاني268، ورضي الدين الاستراباذي في شرح الشافية 2/ 275، وابن القاصح في سراج القارئ المبتدئ 125، وابن الجزري في التمهيد 53، والنشر 2/ 121، والمرعشي في جهد المقل 277، 278، والبنا الدمياطي في إتحاف فضلاء البشر 1/ 313 عطية قابل نصر في غاية المريد 169، في نهاية القول المفيد 223، 225، ود. عبد العزيز علام في عن علم التجويد القرآني 385، 387، وعطية قابل نصر في غاية المريد 169.

بعد أن أطلنا في الإحالات السابقة – وهي إطالة تخدم ما أردنا الوصول إليه من بيان حدود مركزية مصطلحات سيبويه الصوتية في الدرس اللغوي العربي والثقافة العربية بوجه عام– تتضح لنا مظاهر هذه المركزية وآثارها من خلال ما تمتاز به هذه المركزية من الامتدادات التالية:

1. الامتداد المعرفي، وجدنا هيمنة للمصطلحات الصوتية السيبويهية، وترددها بين جنبات مؤلفات علومٍ متعددةٍ، تسربتْ تلك المصطلحاتُ داخلَ الجهاز الاصطلاحي لكل منها، وبإمكاننا بيان ذلك التنوع من خلال تصنيف المؤلفات السابقة بحسب انتماءاتها المعرفية إلى العلوم التالية: علم التجويد، وعلم النحو، والمعاجم، وكتب اللغة، والبلاغة، والقراءات (روايةً ودرايةً).

(74) مكي بن أبي طالب، التبصرة في القراءات السبع، دار الصحابة للتراث بطنطا، مراجعة: جمال الدين محمد شرف، دون تاريخ، ص 106.

(75) أبو عمرو الداني، التيسير في القراءات السبع، عني بتصحيحه: أوتو يرتزل، دار الكتب العلمية– بيروت، ط أولى 1416هـ–1996م، ص 54.



ويصحب ذلك الاختلاف اختلافٌ في توجهات مؤلفي هذه الكتب وثقافاتهم، ومنطلقاتهم في توظيف الحقائق الصوتية- وفي القلب منها جانب المصطلحات- ما بين علماء للتجويد، ونحويين ولغويين ومعجميين وبلاغيين وقراء وموجهي قراءات، وفلاسفة وأطباء (كالكندي وابن سينا).

2. الامتداد الزماني، تُظهر سنواتُ وفيات مؤلفي هذه المصنَّفات السابقة مدى الامتداد الزماني لهذه المصطلحات وبقائها واستمراريتها طيلة هذه الفترة الزمانية المديدة، وتُظهر القائمة السابقة تمثيلًا واضحًا لمعظم قرون التاريخ الهجري، بدءًا من القرن الثالث، ويمثله صدارةً (المقتضب) الذي سار فيه المبرد على درب سيبويه بدءًا من تخصيص باب للإدغام، يمهد له بدراسة لمخارج الأصوات وصفاتها، يحوي كثيرًا من المصطلحات التي تأثر فيها بسيبويه، مرورًا بالقرن الثالث فالرابع.. إلخ، انتهاءً بالعصر الحديث.

وإذا كان أمر ذلك الامتداد غير مستغرب أو متعجب منه في القرون التالية للإمام سيبويه فإن امتداد هذه المصطلحات وبقاءها في العصور المتأخرة - أو ما يعرف عند البعض بالعصر الحديث- لهو مثارٌ للتعجب، ودليل قوي على قوة هذه المركزية المصطلحيَّة السيبويهيَّة؛ فبقاء هذه المصطلحات واستمرارها في عصر أدى فيه التقدم التكنولوجي إلى تغيير كثيرٍ من المفاهيم والمصطلحات القديمة لا في علم الأصوات فحسب، لهو حقيقٌ بالدراسة عن أسباب تلك المركزية وهذه الهيمنة، ولعل قول كانتينو عن شريحةٍ واحدةٍ من شرائح المصطلحات عند علماء العربية – بوجه عام- كافية في هذا الموضع استشهادًا، حيث يقول متحدثًا عن أعضاء الجهاز النطقي: " وقد كان العرب يعرفون أكثر هذه الأعضاء، ويطلقون عليها أسماءَ ذات دقةٍ كافيةٍ"[76]

(76) دروس في علم أصوات العربية (18)

3. الامتداد المكاني، من خلال تصنيف البيئات التي ينتمي إليها صاحبو المؤلَّفات السابقة، نجد أنها موزَّعة بين بيئاتٍ متعددةٍ، ما بين المشرق العربي– بعلمائه من أمثال: المبرد، الزجاجي، ابن جني، المرعشي – في جانب، والمغرب العربي والأندلس – بعلمائه من أمثال: المهدوي، والداني، وعبد الوهاب القرطبي، وابن عصفور – في جانب آخر.

ويزيد من عمق مركزية مصطلحات سيبويه في هاتين البيئتين – خصوصًا المغرب والأندلس– ما كان معروفًا من تنافس علمي بينهما تجاوزته تلك المركزية، ولم تتأثر به. يقول د. يوسف عيد: "ولا يفوتنا أن نشير هنا، إلى مدى ما حظي به كتاب سيبويه في الأندلس من اهتمام ودراسة. ولم يكن معتمد الدارسين وحسب، بل كان محورًا لغير مؤلف في كل العصور"[77]

4. الامتداد الحضاري، لا تتوقف مركزية مصطلحات سيبويه الصوتية – التي هي مثار حديثنا – عند التأثير في الحضارة العربية، على تنوع اتجاهاتها ومجالاتها المعرفية، وإنما تعدتْ هذه المركزيةُ إلى التأثير في بعض المستشرقين كما يظهر من خلال بعض مؤلفاتهم الصوتية، ومن ثم كانت مصطلحات سيبويه خير مكافئ عند ترجمة هذه المؤلفات إلى العربية، ففي القائمة السابقة وجودٌ للمصطلح السيبويهي عند بروكلمان وكانتينو، وقد ورد في صدر كتاب الأخير ما نصه: " فنحن نجد في كتاب سيبويه ترتيبًا صحيحًا للحروف حسب مخارجها، وملاحظات هامة حول صفات الحروف، وبحثًا غزير المادة في إدغام الحروف، ومعلومات صحيحة تتعلق بمدى الحركات وباعتلال جروسها.." [78]

(77) د. يوسف عيد، النشاط المعجمي في الأندلس، دار الجيل– بيروت، ط أولى، 1412، 1992م، ص 40.

(78) دروس في علم أصوات العربية (18)



5. نلاحظ – أيضًا– مظاهر لمركزية مصطلحات سيبويه الصوتية من خلال اختلاف مدارس أصحاب تلك المصنَّفات ومذاهبهم، ما بين نقل النحاة البصريين – كالمبرد وابن السراج– تلك المصطلحات – وهو أمر طبعي لا عجب فيه، وهو رأس من رؤوس مدرستهم– وتأثر النحاة الكوفيين ببعض تلك المصطلحات، كاستعمال الفراء مصطلحي: (الإطباق، والإخفاء)، وثعلب في استعماله مصطلحي: (الغنة والصفير)، فيما أورده عنهما السيرافي في كتابه: (ما ذكره الكوفيون من الإدغام) [79] ولم يقف هذا النقل، وذلك التأثر عند حدِّ المصطلحات الصوتية فحسب، بل يتعداها إلى كثير من المصطلحات الواردة في الكتاب، يقول د. على توفيق الحمد:" وقد حاولت عرض مصطلحات الفراء على مصطلحات سيبويه فوجدت بضع مئات منها توافق ما جاء في كتاب سيبويه." [80]

ويؤكد هذا التأثر الأخبار التي تواردتْ مؤكدة ما للكتاب من أثرٍ كبيرٍ في نفوس بعض الكوفيين، ومطالعتهم إياه، من ذلك ما أخبر به " أبو نصر الباهلي، قال: حمل الكسائي إلى أبي الحسن الأخفش خمسين دينارًا، وقرأ عليه كتاب سيبويه سرًّا." [81] وكذلك ما أخبر به " ثعلب عن سلمة، قال: مات الفراء وتحت رأسه كتاب سيبويه." [82] كما تدل بعض الأخبار على أن الفراء كان يتعمد مخالفة سيبويه " حتى في ألقاب الإعراب وتسمية الحروف." [83]

وفي العصر الحديث يمكن ملاحظة اختلاف المدارس التي ينتمي إليها بعض العلماء ممن أحلنا على مؤلفاتهم، ففي مصر – على سبيل المثال– مدرسة دار العلوم

---

(79) ص 65، 67

(80) قراءة في مصطلح سيبويه تحليل ونقد (111) د. علي توفيق الحمد، بحث منشور بمجلة علوم اللغة، المجلد 9 العدد 1، سنة 2006م.

(81) مراتب النحويين (89)

(82) مراتب النحويين (105)

(83) مراتب النحويين (106)

ممثلة في علمائها: إبراهيم أنيس، وكمال بشر، وأحمد مختار عمر، والمدرسة الأزهرية، ممثلة في: عبد العزيز علام، عبد الفتاح البركاوي، رغم ما تحمله كلا المدرستين من توجهٍ مختلفٍ عن الأخرى، تغلب عليه التراثية في الأخيرة، بينما تنفتح الأولى – في كثير من أعمالها – على الدراسات الغربية الحديثة.

6. إذا كانت بعض الدراسات الحديثة تؤكد أننا " لا نجد عند العلماء الخالفين كمكي بن أبي طالب (437هـ) في الرعاية، والرضي (684هـ) في شرح الشافية، وابن الجزري (833هـ) في النشر في القراءات العشر، جديدًا؛ لاكتفائهم بترديد مسميات سيبويه.. " [84] فلابد لنا في هذا السياق ألا نغفل عن المفاهيم التي ترمز إليها تلك المصطلحات، وهل استعملها هؤلاء العلماء السابق ذكرهم دون تغيير أو تبديل؟

وفي الحقيقة نجد أن بعض هذه المصطلحات لم تتغير مفاهيمها عما وردت عليه عند سيبويه، ومن ذلك على سبيل المثال مصطلح الجهر، فقد عرف سيبويه الصوت المجهور بأنه:" حرفٌ أُشبع الاعتماد في موضعه، ومَنَعَ النَّفَسَ أن يجري معه، حتى ينقضي الاعتماد عليه ويجري الصوت." [85] وبعيدًا عما تحدَّثَ عنه العلماءُ من غموض في محترزات هذا التعريف، فقد وجدنا هذا التعريف نفسه قد " شاع عند العلماء شيوعًا كبيرًا، وأعيدت عباراته دون تعديل فيها أو تبديل، مما جعله سمة لهذا المصطلح، كما هو تعريف له." [86]

وكذلك مصطلح (التكرار) فهذا " المصطلح بهذا المعنى الذي وصفه سيبويه استعمله علماء العربية دون تغيير يذكر عدا إيضاحهم معنى التكرير." [87]. ومثلهما

(84) د. خليل العطية، في البحث الصوتي عند العرب، منشورات دار الجاحظ للنشر – بغداد، 1983م، ص 23

(85) الكتاب (4/ 434)

(86) المصطلح الصوتي في الدراسات العربية (90)

(87) المصطلح الصوتي في الدراسات العربية (183)

مصطلح الإخفاء فسيبويه "واضع هذا المصطلح بهذا المعنى، وناشر معانيه، ولا يكاد يخرج كلام من جاء بعده عن كلامه إلا في توضيح بعض الألفاظ." [88].

لكننا لا نُعدم وجود استدراك فيما يتعلق ببعض تلك المصطلحات، على نحو ما وجدنا عند المبرد على مستوى المعلومات المتعلقة بمصطلح (التفشي) من حيث إدخاله صوت الصاد بجانب الشين فيما يدل عليه هذا المصطلح. [89] أو إيراد تعريفٍ له عند مكي بن أبي طالب[90]

7. لم تؤثر مصطلحات في اللاحقين مثلما أثرت مصطلحات سيبويه، خصوصًا الصوتية منها، حتى ولا مصطلحات مؤسس علم الأصوات في العربية الخليل بن أحمد، فقد استعمل العلماء من بعد سيبويه كثيرًا من مصطلحاته مع أن لها مقابلا عند الخليل، ومن ذلك مصطلحات: الأسلية (مقابل الصفير عند سيبويه ومن تابعه)، المختفض (مقابل المستفل عند سيبويه).

وقد لا تكون مظاهر هذه المركزية مقصورةً على أخذ مصطلحات سيبويه فقط، بل إننا وجدنا ملامح لها – أيضا- في ترك بعض المصطلحات أو عدم ذكرها؛ بناءً على عدم ذِكْر سيبويه لبعضها، ومن ذلك عدم ذكر بعض العلماء مصطلح (اللهاة)، مع أنه واردٌ عند الخليل في مقدمة العين، وذلك في قوله:" وأما مخرج الجيم والقاف والكاف فمن بين عكدة اللسان، وبين اللهاة في أقصى الفم"[91]، ولا يمكن تفسير هذا التجاهل

(88) عادل إبراهيم عبد الله أبو شعر، المصطلحات الصوتية في التراث اللغوي عند العرب- دراسة تاريخية تأصيلية من القرن الأول إلى القرن السادس الهجري، رسالة دكتوراه، بكلية اللغة العربية بجامعة أم القرى، سنة 1424- 1425ه، ص 567، 568.

(89) المقتضب (1/ 348، 349)، وينظر: د. عصام فاروق، المصطلح الصوتي عند المبرد في المقتضب مصادره ودلالاته بحث منشور بمجلة مركز الخدمة للاستشارات البحثية، كلية الآداب، جامعة المنوفية، إصدار خاص- يونيه 2012م. ص 83 وما بعدها.

(90) الرعاية، ص 135.

(91) الخليل بن أحمد الفراهيدي، العين، تح: د. مهدي المخزومي، د. إبراهيم السامرائي، مكتبة الخانجي بالقاهرة، ط ثالثة، 1408ه-1988م، ج 1ص 52.

لذلك المصطلح إلا بتبعيتهم لسيبويه في عدم ذكرها، يقول د. الصيغ: " وقد تبع المبرد وابن جني سيبويه، فلم يذكروا اللهاة، وكذلك لم يرد لها ذكرٌ عند مكي والداني والقرطبي." (92)

8. بالنظر إلى حدود مصطلحات سيبويه الصوتية فنجد بأنها تمثل قطاعًا عريضًا من قطاعات علم الأصوات حتى من منظور المحدثين، حيث مثَّلتْ هذه المصطلحاتُ فرعيْ علم الأصوات: الفوناتيك (علم الأصوات العام)، والفنولوجيا (علم وظائف الأصوات)، على نحو ما أوردنا من نماذج ممثلة لهذين الفرعين.

المطلب الثالث: مركزية مصطلحات سيبويه الصوتية (أسبابها، وعوامل بقائها)

بعد حديثنا عن مظاهر مركزية مصطلحات سيبويه الصوتية وآثارها في مؤلفات الخالفين من بعده، آن لنا أن نقف مع أهم أسباب تشكُّل هذه المركزية في الثقافة العربية قديمها وحديثها، واستجلاء عوامل بقائها واستمراريتها، ويمكن بيان بعض هذه الأسباب وتلك العوامل فيما يلي:

أولًا- لا يمكن فصل مركزية مصطلحات سيبويه عن مركزية سيبويه نفسه في الثقافة العربية، وما يمثله نتاجه العلمي من مرجعية مهمة من مرجعياته، ولأجل هذا السبب – على سبيل المثال- يُرجع د. عبد العزيز الصيغ عدم ذيوع مصطلح المقطع (= المخرج) قائلا: ".. وعلى ذلك نقول إن المقطع كان مصطلحًا وضع ليؤدي معنى المخرج، إلا أنه لم يستطع أن يكتسب الشيوع، على الرغم من أنه كان أقرب من معناه إلى المراد، ولم يتيسر له عالمٌ كبيرٌ له تأثيرٌ نفسيٌّ عظيمٌ مثل: الخليل أو سيبويه، وهو

(92) المصطلح الصوتي في الدراسات العربية، ص 30.

ما حدث لمصطلح المخرج." [93] ومثل هذا قد يقال في مصطلح الأخرس (= الشديد) الذي وضعه الفراء. [94]

ويتضح التأثير النفسي لعالم بقدر سيبويه من خلال وصف علي النجدي له بقوله: " سيبويه كلمة ذات إشعاع، لا تدل على معناها الأصيل وحده، ولكن تضيف إليه معاني أخرى ملازمة، من الاختصاص بالعربية، والهداية فيها، والغيرة عليها، والغضب لها، إذا نالها سوء أو تهددها شرٌّ، كأنه وحده صاحب أمرها أو المسئول عنها." [95]

صحيح أن للخليل نفس هذا التأثير النفسي والريادة التاريخية – بحسب وصف د. خالد فهمي– إلا أن " عددًا من الخصائص النوعية توافر لجهود سيبويه الصوتية لم يتوافر لجهود الخليل التي جاءت إسهاماته الصوتية موجزةً، وناقصةً، وغامضةً، وغير مستوعبة لمباحث علم الأصوات النطقي، الذي استوعب منجز سيبويه عندما تعرض لأصوات العربية." [96]

ثانيًا: يجب ألا نفصل مركزية هذه المصطلحات في الدرس اللغوي العربي عن سياقها العام، المتمثل في مركزية آراء سيبويه ومعالجاته الصوتية وسطوتها على الدراسات العربية في القديم والحديث، بحسب ما أثبته د. خالد فهمي في بحثه المعنون بـ (سطوة آراء سيبويه على الخالفين في الصوتيات العربية) للدرجة التي يقرر فيها أن " سطوة آراء سيبويه في الصوتيات العربية على من جاء بعده إذن قوة قاهرة لم يستطع أحد من الصوتيين العرب أن يفر من سلطتها وهيمنتها، لاعتبارات معرفية في المقام الأول" [97]

(93) المصطلح الصوتي في الدراسات العربية (53)

(94) ما ذكره الكوفيون من الأدغام (59)

(95) علي النجدي، سيبويه إمام النحاة، عالم الكتب، ط ثانية، 1979م، ص 79.

(96) د. خالد فهمي، سطوة آراء سيبويه على الخالفين في الصوتيات العربية، بحث منشور بمجلة جامعة أم القرى لعلوم اللغات وآدابها، العدد 12 ربيع ثاني 1435هـ– 2014م، ص 291.

(97) سطوة آراء سيبويه على الخالفين في الصوتيات العربية (262)

وعن ذلك أيضا يقول د. حسام سعيد النعيمي:" نستطيع أن نقول باطمئنان أن كل ما كتب في مخارج الحروف العربية وصفاتها وتعاملها بعد كتاب سيبويه عليه عيال."(98)

ثالثًا- دقة آراء سيبويه الصوتية وسبقها: كما سنوضح لاحقا فإن دراية واضع المصطلحات درايةً دقيقةً بالمفهوم يخرج لنا مصطلحًا دقيقًا صالحًا للشيوع والاستمرارية، وقد صرح غير واحد من العلماء المحدثين بسبق سيبويه إلى كثير من الحقائق الصوتية- التي يتوازى معها دقة المصطلحات المعبر بها عن هذه المفاهيم- وتأييد الدراسات الحديثة لهذا السبق، ومن ذلك ما ذكره د. إبراهيم أنيس، تعليقا على نص لسيبويه ذكره السيرافي رواية عن أبي الحسن الأخفش بدأت بقوله: " قال سيبويه: إنما فرق بين المجهور والمهموس أنك لا تصل إلى تبيين المجهور إلا أن يدخله الصوت الذي يخرج من الصدر.... إلخ"، يقول أنيس تعليقًا على هذه الرواية:" نعتقد أنها صحيحة في جملتها، وأنها تتضمن آراء قيمة في الدراسة الصوتية تتفق مع أحدث النظريات الحديثة إلى حد كبير. "(99)

وفي ذلك المعنى يقول د. الصيغ: إن " المقارنة بين معطيات الدرس الصوتي عند سيبويه بشكل عام والدرس الصوتي الحديث إذا ما جعلنا أمامنا المسافة الزمنية بينهما ترجح أن سيبويه كان قد توصل إلى حقائق صوتية سبق بها عصره، بل إن بعضا منها حتى بمقياس المحدثين تعد سبقا، وحديثه عن الأصوات المشربة والنفخية وحديثه أيضا في تخفيف الهمز أن الهمزة تحذف ويمد بالحراكة التي قبلها هو بحديث المحدثين أشبه وهو سابق لهم. "(100)

---

(98) أصوات العربية بين التحول والثبات (8).

(99) د. إبراهيم أنيس، الأصوات اللغوية، ص122

(100) د. عبد العزيز الصيغ، الأصوات عند سيبويه في ضوء علم الأصوات الحديث، دار الفكر- دمشق، ط أولى، 1430هـ-2009 م. (671).



رابعًا- لعل الاحتكام إلى بعض مبادئ علم المصطلح يكشف لنا سرًّا آخر من أسرار مركزية مصطلحات سيبويه الصوتية، وتأثيرها في الدراسات العربية، وعاملا مهما من عوامل بقائها واستمراريتها، ليس لكون هذه المبادئ ميزانًا نحكم به على تلك المصطلحات- فليس من الممكن محاسبةُ السابقِ على عدم معرفته بما توصل إليه اللاحقُ، بما أتيح له من وسائل ومناهج لم تكن معروفة من قبل- ولكن يمكن بيان عظمة نتاج هذا السابق، وسبقه في التوصل إلى بعض المبادئ التي صارت نظريةً أو منهجًا علميًّا أفرزته الجهود المضنية بعد عصور كثيرة.

ومدخلي إلى هذا الاحتكام إلى بعض مبادئ علم المصطلح في الحكم على مصطلحات سيبويه الصوتية، وبيان موافقتها للمواصفات الجيدة للمصطلح العلمي من عدمها، ما ذهب إليه د. علي توفيق الحمد، وهو يتحدث عن بعض المصطلحات النحوية التي شاعت بين الدارسين وتلقاها اللاحقون بالقبول والاستخدام، حيث يقول: " ولعل السر في تقبلها وشيوعها وسيرورتها على ألسنة المتخصصين حتى الآن، أنها توافرت فيها الشروط الفنية للمصطلح العلمي الناضح الدقيق. "[(101)]

فهل توافرت تلك الشروط في المصطلحات الصوتية أيضًا؟

بعد أن فحصنا بعض المبادئ المصطلحية، وطبقنا الشروط الفنية للمصطلح العلمي الدقيق على بعض المصطلحات الصوتية الواردة في الكتاب، خصوصًا بابَ الإدغام، تبينت لنا إجابة السؤال السابق، والتي سنوضحها من خلال بيان الأمور التالية:

(أ) منظومات المفاهيم: من المبادئ المصطلحية المقررة أن وضوح مفهوم المصطلح يعتمد على وجوده ضمن منظومة من المفاهيم، تُكوِّن فيما بينها نَسَقًا مفاهيميًّا، ذلك النسق الذي يتألف " من عدد من المفاهيم المفردة التي يرتبط بعضها

(101) قراءة في مصطلح سيبويه تحليل ونقد (91)

ببعض بعلاقات منطقية أو وجودية. وفي مثل هذه المنظومة المفهومية يسهل الوقوف على علاقات كل مفهوم من المفاهيم الأخرى التي تتألف منها تلك المنظومة." (102)

ونلاحظ أن سيبويه في باب الإدغام – على وجه الخصوص – عَمِل على جَمْع منظوماتٍ مفاهيميةٍ صغيرةٍ، يربط بين كل منها قاسمٌ مشتركٌ، ويتضح ذلك من خلال منظومات المفاهيم المترابطة التالي بيانها:

1. قسَّم الأصوات العربية إلى مجموعتين تشكل كل منهما منظومة من المفاهيم:

الأولى: مجموعة الأصوات الأصلية (التسعة والعشرون)، وهي مجموعة مفاهيمية يشترك أفرادها في أصالتها.

الثانية: مجموعة الأصوات الفرعية، وهي مجموعة مفاهيميَّة يشترك أفرادها في كونها أصواتًا متفرعةً عن أصوات المجموعة الأولى. ويندرج تحت هذه المجموعة مجموعتان فرعيتان:

أولاهما: تشكل مجموعة الأصوات المستحسنة، وتضم ستًّا من المفاهيم، التي يربط بينها جميعًا دخولها تحت ضابط معيَّن يتمثل في أنها " كثيرة، يؤخذ بها، وتستحسن في قراءة القرآن والأشعار." (103)

ثانيهما: تؤلفها مجموعة من الأصوات غير المستحسنة، وضابطها أنها " غير مستحسنة، ولا كثيرة في لغة من تُرتضى عربيته، ولا تستحسن في قراءة القرآن ولا في

(102) د. علي القاسمي، علم المصطلح أسسه النظرية وتطبيقاته العملية، مكتبة لبنان ناشرون، أولى 2008م، ص 333.

(103) الكتاب (4/ 432).



الشعر." (104) ةوتضم سبعةً من الأصوات - بحسب عدّ سيبويه لها- وهي في الحقيقة ثمانيةٌ(105).

2. منظومة مخارج الأصوات، وقد رُتبتْ هذه المجموعةُ ترتيبًا داخليًّا، بدءًا من الحلق وانتهاءً بالشفتين فالخياشيم، إضافةً إلى ترتيب مكونات المخرج الواحد إن كان ذا أقسام، كالحلق واللسان، من الأقصى إلى الأدنى.

3. منظومة صفات الأصوات، وتضم مجموعات من المفاهيم، هي: مجموعة الأصوات المجهورة، مجموعة الأصوات المهموسة، مجموعة الأصوات الشديدة، مجموعة الأصوات الرخوة، مجموعة الأصوات المطبقة، مجموعة الأصوات المنفتحة..

ولاشك أن هذه الطريقة الترابطية بين مصطلحات ومفاهيم كل مجموعة من هذه المجموعات تعمل على سلامة المصطلح ووضوح مفهومه، من خلال: بيان علاقته بالمفهوم العام الذي يندرج تحته، وعلاقته بالمصطلحات والمفاهيم الموازية له والتي هي أجزاء من هذا المفهوم العام، وتمييزه عما عداه من هذه المصطلحات المتشابهة معه. وبطريقة عكسية يمكننا القول " إن عزل المفهوم عن منظومته يؤدي إلى حدوث انقطاع بينه وبين المصطلح الذي يعبر عنه، أي حدوث تباين بين لفظ المصطلح ومضمونه الحقيقي، فيصبح اللفظ قابلا لمضامين متعددة، كما يصبح المضمون قابلا لألفاظ متنوعة." (106)

(ب) تعريف المصطلحات:

لاشك أن تعريف المصطلح من الأمور المعيْنة على تصوره وفهمه فهمًا دقيقًا من قبل المتلقي، بالإضافة إلى أنه " بقدر ما تكون التصورات (المفاهيم) محددةً واضحةً

(104) الكتاب (4/ 432).

(105) فقد اعتبر سيبويه الجيم التي كالكاف، والجيم التي كالشين جيمًا واحدة.

(106) علم المصطلح أسسه النظرية وتطبيقاته العملية (334)

في ذهن الإنسان [أي: صاحب المصطلح وواضع تعريفه] تكون تعريفاتها موفَّقةً ودقيقةً، ومن ثم تأتي مصطلحاتها دقيقةً وصائبةً "[107]

وقد وجدنا سيبويه يعرِّف كثيرًا من المصطلحات الصوتية، كتعريفه الأصوات المجهورة، والمهموسة، والشديد، والمنحرف والتكرير والصوت الهاوي..إلخ، مما يظهر مدى " إنجازه في بناء معجم لتعريفات المصطلح الصوتي"[108] تلك التعريفات التي ارتضى كثيرٌ من الخالفين من بَعدِ سيبويه كثيرًا منها، على نحو ما وضحنا في موضع سابق من هذا البحث.

لكن ينبغي أن نذكر أن سيبويه لم يضع لكل من المصطلحات الصوتية تعريفًا يوضح مفهومها، فلم نجد تعريفًا لمصطلح التفشي على سبيل المثال [109] .

لكنه قد يَعْتمِد في بيان مفهوم المصطلح على وسائل أخرى تعين على فهمه، كالشرح دون التعريف، مثل ما ورد في مصطلحيْ المطبق والمنفتح، بقوله: " فأما المطبقة فالصاد والضاد والطاء والظاء. والمنفتحة: كل ما سوى ذلك من الحروف؛ لأنك لا تُطبق لشيء منهن لسانك، ترفعه إلى الحنك الأعلى. وهذه الحروف الأربعة إذا وضعت لسانَك في مواضعهن انطبق لسانُك من مواضعهن إلى ما حاذى الحنك الأعلى من اللسان ترفعه إلى الحنك، فإذا وضعتَ لسانك فالصوت محصورٌ فيما بين اللسان والحنك إلى موضع الحروف"[110] .

ولا يخفي أنه اعتمد في شرحه هذين المصطلحين على ذكر الأصوات المندرجة تحتهما، وتوضيح الكيفية التي يكون عليها اللسان معهما، دون أن يضع حدًّا أو تعريفًا جامعًا لهما أو لأحدهما.

---

(107) قراءة في مصطلح سيبويه تحليل ونقد (75)

(108) سطوة آراء سيبويه على الخالفين في الصوتيات العربية (293)

(109) ينظر: الكتاب (4/ 448).

(110) الكتاب (4/ 436).



وإن كان المستشرق الألماني شاده (shadah) يَعتبر ما ورد في نص سيبويه السابق تعريفًا للمطبق، فيقول: " هذا تعريف من الوضوح بحيث يستغني عن التفسير، وما أصوب قول سيبويه: إن هذه الأربعة لها موضعان من اللسان، فإن الناطق بالصاد مثلا لا يكتفي بوضع طرف لسانه على لثته كما يفعل في السين، ولكنه في نفس الوقت يقرب الجزء الأخير من لسانه إلى ما يحاذيه من الحنك." [(111)] لكني لا أذهب مذهبه من أن هذا تعريفٌ بقدر ما هو شرح للمفهوم ليس إلا.

(ج)- الإيجاز في بنية المصطلح، يعد "الإيجاز أحد شروط شيوع أي مصطلح"[(112)] ومن ثم فإن كثيرًا من المصطلحات التي كُتب لها الذيوع والاستمرار عبر تاريخ العربية الطويل تتسم بالإيجاز، وهذا ما ينطبق بالفعل على كثيرٍ من المصطلحات الصوتية عند سيبويه، فلديه قائمة طويلة من المصطلحات المكونة من كلمةٍ واحدةٍ، من مثل: (المجهورة، والمهموسة، والشديد، والرخو، والمنحرف، والمكرر، واللينة، والهاوي، والمطبقة، والمنفتحة، الخياشيم..إلخ).

ولذا فإن من المبادئ الأساسية في وضع المصطلحات " تفضيل الكلمة المفردة؛ لأنها تساعد على تسهيل الاشتقاق والنسبة والإضافة والتثنية والجمع." [(113)]

كما أن بعض المصطلحات الصوتية المكونة من كلمتين أو أكثر عند سيبويه جاء التركيبُ فيها ضروريًا، بإضافة قيدٍ أو قيودٍ على المصطلح الواحد العام الذي يتفرع إلى عدة أفراد، ويشكل كلُّ قيدٍ منها مع المصطلح العام مصطلحًا هو فرعٌ عنه، ومثال ذلك: مصطلح (النون الخفيفة) في مقابل (النون المتحركة) والأخير يساوي مصطلح

---

(111) علم الأصوات عند سيبويه وعندنا (39، 40).

(112) قراءة في مصطلح سيبويه تحليل ونقد (95)

(113) علم المصطلح أسسه النظرية وتطبيقاته العملية (559).

(النون) عند إطلاقه، فكلمة (الخفيفة) شكلتْ قيدًا داخل المصطلح، أفاد وجود نوع آخر من النون، له مخرج مختلفٌ وصفاتٌ مختلفةٌ عن (النون= النون المتحركة) (114)

ومثل هذا يقال في مصطلح (الضاد الضعيفة) بإضافة قيد (الضعيفة)؛ إظهارًا للاختلاف الذي بينها وبين الصوت الأصلي لها، وهو الضاد بالإطلاق.

(د)- كذلك اعتمد سيبويه على بعض الأمور المعيْنة على توضيح مفاهيم المصطلحات، ومنها: التمثيل، ومن ذلك قوله في توضيح مصطلح ألف التفخيم: " وألف التفخيم، يعني بلغة أهل الحجاز، في قولهم: الصلاة، والزكاة، والحياة." (115) أو قوله في بيان مصطلح (الرخوة): " وذلك إذا قلت: الطَّسْ وانْقَضْ، وأشباه ذلك أجريتَ فيه الصوت إن شئت." (116)

ومنها كذلك، التمييز بين المفاهيم المتشابهة بصفة فارقة، ومن ذلك قوله: " ولولا الإطباق لصارت الطاء دالًا، والصاد سينًا، والظاء ذالًا، ولخرجت الضاد من الكلام؛ لأنه ليس شيء من موضعها غيرها." (117)

ولعلك تعجب إذا علمتَ أن هذا الشعور " بوظيفة هذه الصفات التمييزية وبالعلاقة التقابلية التي تربطها، أصبح اليوم من مشمولات علم الفونولوجيا أي: علم وظائف الأصوات." (118)

---

(114) فمخرج الخفيفة من الخياشيم، ومخرج المتحركة " من حافة اللسان من أدناها إلى منتهى طرف اللسان ما بينها وبين ما يليها من الحنك الأعلى وما فويق الثنايا" ، كما أن الخفيفة ملازمة للسكون، ينظر: الكتاب (4/ 433)

(115) ينظر: الكتاب (4/ 432).

(116) ينظر: الكتاب (4/ 435).

(117) ينظر: الكتاب (4/ 436).

(118) د. الطيب البكوش، النظريات الصوتية في كتاب سيبويه، بحث منشور بحوليات الجامعة التونسية، العدد11 سنة 1974، (147).

(هـ)- من المبادئ المقررة في علم المصطلح – أيضًا- " عدم استخدام أكثر من مصطلحٍ واحدٍ للتعبير عن المفهوم الواحد، وعدم استخدام المصطلح الواحد للتعبير عن أكثرٍ من مفهومٍ واحدٍ، في الحقل العلمي الواحد." [119]

وبفحص هذا المبدأ نجد أن بعض المصطلحات الصوتية عند سيبويه وردتْ أحادية الدلالة، بمعنى أنه لا يوجد – عنده – مرادفات لها، أو اشتراكها في الدلالة على أكثر من معنى، ومن ذلك مصطلحات: (طرف اللسان، حافة اللسان، أقصى اللسان، المجهورة، والمهموسة، والشديد، والرخو، والمنحرف، والمكرر ، والهاوي، والمطبقة، والمنفتحة، الخياشيم..إلخ).

وإن كان ذلك لا ينفي وجود بعض المصطلحات الصوتية لديه تدخل ضمن الترادف المصطلحي أو الاشتراك المصطلحي، فمثال الترادف مصطلحا: (الإظهار، والتبيين) في مقابل مصطلح (الإدغام) [120]، ومثال الاشتراك: مصطلح (النون الخفيفة) فقد استعمله كمصطلح صوتي في مقابل مصطلح (النون المتحركة). كما استعمله كمصطلح نحوي في مقابل (النون الثقيلة) في باب التوكيد. [121] وإن كان استعماله كمصطلح صوتي ضمن منظومة المصطلحات الصوتية، أو باب الإدغام بما هو سياق له، قد يحد من أثر الاشتراك، وعدم الوقوع في اللبس.

ويمكن تعليل وجود مثل هذا التعدد في العلاقة بين المصطلح والمفهوم بأحد أمرين: الأول، كون الكتاب من أوائل المصادر الصوتية في العربية، وهذه الأولية قد تفرض نوعًا من الخلط أو عدم استقرار المصطلحات، وهو أمر طبعي في مثل هذه

(119) علم المصطلح أسسه النظرية وتطبيقاته العملية (372).

(120) ينظر: الكتاب (4/ 454).

(121) مثال كونها مصطلحًا نحويًّ.ا قوله: ".. ولزمت اللام النون الخفيفة أو الثقيلة في آخر الكلمة، وذلك قولك: والله لأفعلنَّ" الكتاب (3/ 104).

المراحل الأولى. الثاني، أن الواقع المصطلحي – حتى الحديث منه– لا يتطابق مع هذه المثالية المرجوة في هذا المبدأ، كما يقرر عدد من مُنظرِّي المصطلحيَّة:

– يقول هريبرت بيشت: ".. نظريًّا المصطلحات خلافًا لكلمات المعجم المشترك [العام] هي وحدات أحادية الاتجاه (العلاقة بين الشكل والمفهوم وحيدة) وأحادية المرجعية (يدل مصطلح على مفهوم واحد) ومع ذلك لا تتطابق تمامًا النظرية والحقيقة دومًا، والمصطلحية ليست استثناءً في هذا المضمار." [122]

– وتقول ماري كابري: " وغني عن القول أن تفرد المعنى يمثل في المصطلحية الوضع الأمثل للعلاقة بين المصطلح والتصور، إلا أن هذا الوضع الأمثل نادرًا ما سيحدث." [123]

(و)– ومن المبادئ المصطلحية – أيضًا– " وجود مناسبة أو مشاركة أو مشابهة بين مدلول المصطلح اللغوي ومدلوله الاصطلاحي، وليس شرطًا في المصطلح أن يستوعب كل معناه العلمي." [124]

وقد وجدنا بعض المصطلحات الصوتية عند سيبويه تتسم بدقة التسمية، من حيث وجود مثل هذه العلاقات بين المعنى اللغوي والمفهوم الاصطلاحي، ومن ذلك على سبيل المثال مصطلح الجهر، فمادة " الجيم والهاء والراء أصل واحد، وهو إعلان الشيء وكشفه وعلوه، يقال: جهرت بالكلام أعلنت به. ورجل جهير الصوت، أي عاليه"[125] وقد لاحظ سيبويه هذه الخاصية السمعية في الأصوات المجهورة، إذ إنها الأوضح، فكما تؤكد الدراسات الحديثة فإننا " يكفي أن نشير إلى حقيقة مهمة، وهي

(122) ماريا تيريزا كابري، المصطلحية النظرية والمنهجية والتطبيقات، ترجمة: د. محمد أمطوش، عالم الكتب الحديث، الأردن، 2012م. ص 188.

(123) هريبرت بيشت وجنيفر دراسكاو، مقدمة في المصطلحية، ترجمة: د. محمد محمد حلمي هليل، مجلس النشر العلمي، لجنة التأليف والتعريب والنشر– جامعة الكويت، 2000م، ص 143.

(124) علم المصطلح أسسه النظرية وتطبيقاته العملية (558).

(125) ابن فارس، مقاييس اللغة، مادة (ج. هـ. ر).



أن معدل سرعة الهواء في الأصوات المجهورة يبلغ من 200- 700 سم3/ ث، بينما يتراوح معدل سرعة الهواء عند إنتاج الأصوات المهموسة غير المتبوعة بدفقة هواء ما بين 200- 700سم3/ ث. وهذا وحده كافٍ للدلالة على أن الأصوات المجهورة أقوى من نظائرها المهموسة من ناحية الوضوح السمعي." [126]

ومثل ذلك يقال في مصطلح (الشديد)، الذي يعني في اللغة: " الصلابة، وهي نقيض اللين تكون في الجواهر والأعراض"[127]

وهذه الخاصية لاحظها سيبويه في الأصوات المتصفة بهذه الصفة، ولذلك فقد اعتمد مكي بن أبي طالب على هذه العلاقة بين المعنيين اللغوي والاصطلاحي، في تعريف الحرف الشديد بقوله: " ومعنى الحرف الشديد: أنه حرف اشتد لزومُه لموضعه، وقَوِي فيه حتى منع الصوت أن يجري معه عند اللفظِ به." [128]

وقد عاب الدكتور عبد الصيغ على المحدثين استبدالهم بمصطلح (الرخاوة) مصطلحًا آخر وهو (الاحتكاك)، مع وجود مثل هذه العلاقة بين المعنى اللغوي والمفهوم الاصطلاحي، ويمكن فهم ذلك من قوله: " وكان الأجدر بعلماء العربية المحدثين الذين يشتغلون بالأصوات اللغوية النظر إلى نتائج أبحاث القدماء، وإقرار المصطلحات التي استخدموها إلا إذا كان هناك قصور في المصطلح القديم، وقد يكون المفهوم قاصرا ولكن المصطلح كما هو معروف يثبت بالاستخدام، والرخاوة تؤدي معنى مرور الهواء والصوت دون عارض يعترضه فيرقه، إذ يمر الصوت في سهولة وارتخاء." [129]

---

(126) د. سمير شريف إستيتية، الأصوات اللغوية رؤية عضوية ونطقية وفيزيائية، دار وائل للنشر، ط أولى 2003م، (173).

(127) ابن منظور، لسان العرب، مادة (ش. د. د).

(128) الرعاية (117)، وينظر: المصطلح الصوتي في الدراسات العربية (116)

(129) المصطلح الصوتي في الدراسات العربية (125).

ومراعاة سيبويه لمثل هذه العلاقات يمكن ملاحظتها في إطلاق كثير من المصطلحات، كالإطباق، والإشمام....إلخ

وختاما، فإنه بهذا القدر اليسير من فحص ودراسة المصطلحات الصوتية عند سيبويه – خصوصا في باب الإدغام- أمكننا أن نتبين بعض أسباب مركزية هذه المصطلحات في الثقافة العربية، وأن نكشف النقاب عن بعض عوامل بقائها واستمراريتها، تلك الأسباب – والعوامل- التي تتوزع ما بين أسبابٍ تاريخيةٍ، كون الكتب من المصادر الأولى للدرس اللغوي العربي، وفي القلب منه الدرس الصوتي، وأسبابٍ علميةٍ تتمثل في دقة آراء سيبويه الصوتية، وأسباب مصطلحية فنية، تتمثل في مطابقة هذه المصطلحات لبعض المبادئ المصطلحية التي أقرها منظري علم المصطلح في الحديث.

مع يقيننا بأن هناك الكثير من الأسباب التي شكلت هذه المركزية في الثقافة العربية، لم يكن البحث بهذه المساحة المحدودة المتاحة له ليستطع التوصل إليها، ويبقي الأمل في ذلك معقودًا على دراسات أخرى تتعمق في دراسة المصطلحات الصوتية في الكتاب، لتُخرج ما به من أسرار ونفائس لا أظن الكتاب يضن بها علينا.

خاتمة

سعى هذا البحث إلى محاولة الوقوف على مركزية مصطلحات سيبويه الصوتية في الدرس اللغوي العربي، وخرجت من خلال هذا السعي إلى بعض النتائج التي منها:

1. من مظاهر مركزية المصطلحات الصوتية عند سيبويه الامتداد المعرفي، من حيث تسربها داخل الجهاز الاصطلاحي لكثير من المجالات المعرفية، كعلم التجويد، والنحو، والمعاجم، والبلاغة...إلخ.

2. من مظاهر مركزية المصطلحات الصوتية عند سيبويه الامتداد الزمني، بدءًا من القرن الثالث الهجري وحتى يومنا هذا، فقد بقيتْ هذه المصطحاتُ، على الرغم



مما نشهده من تقدم تكنولوجي ومعرفي أدى إلى تغيير كثير من المفاهيم والمصطلحات في كثير من المجالات المعرفية.

3. من مظاهر مركزية المصطلحات الصوتية عند سيبويه الامتداد المكاني، حيث توزعتْ بين بيئات متعددة في المشرق والمغرب العربيين.

4. لا تتوقف مركزية مصطلحات سيبويه الصوتية عند التأثير في الحضارة العربية وعلمائها، وإنما تعدتها إلى التأثير في بعض المستشرقين، كنوع من الامتداد الحضاري لهذه المصطلحات.

5. لا تقتصر مظاهر هذه المركزية على أخذ مصطلحات سيبويه وترديدها فقط، بل إننا وجدنا ملامح لها في الترك أو عدم ذكرها؛ بناء على عدم ذِكْر سيبويه لبعضها.

6. بالنظر إلى حدود مصطلحات سيبويه الصوتية فنجد بأنها مثَّلتْ فرعيْ علم الأصوات: الفوناتيك (علم الأصوات العام)، والفنولوجيا (علم وظائف الأصوات)، كما أنها لم تقتصر على مراعاة الجانب النطقي وإنما رصدنا بعض الإشارات الدالة على وعية بالجانب السمعي وأهميته في التمييز بين المصطلحات.

7. لم تؤثر مصطلحات في اللاحقين مثلما أثرت مصطلحات سيبويه، خصوصًا الصوتية منها، حتى ولا مصطلحات مؤسس علم الأصوات في العربية الخليل بن أحمد.

8. لا يمكن فصل مركزية مصطلحات سيبويه عن مركزية سيبويه نفسه في الثقافة العربية، وما يمثله نتاجه العلمي من مرجعية مهمة من مرجعياته.

9. يجب ألا نفصل مركزية مصطلحات سيبويه الصوتية في الدرس اللغوي العربي عن سياقها العام، المتمثل في مركزية آراء سيبويه ومعالجاته الصوتية وسطوتها على الدراسات العربية في القديم والحديث.

10. من أسباب مركزية مصطلحات سيبويه الصوتية: دقة آرائه الصوتية، فدراية واضع المصطلحات دراية دقيقة بالمفهوم يخرج لنا مصطلحا دقيقا صالحا للشيوع والاستمرارية، وقد صرح غير واحد من العلماء المحدثين بسبق سيبويه إلى كثير من الحقائق الصوتية- التي يتوازى معها دقة المصطلحات المعبر بها عن هذه المفاهيم- وتأييد الدراسات الحديثة لهذا السبق.

11. كشف لنا الاحتكامُ إلى بعض مبادئ علم المصطلح سرًّا آخر من أسرار مركزية مصطلحات سيبويه الصوتية، وتأثيرها في الدراسات العربية.

12. من المبادئ المصطلحية التي تحققت – إلى حدٍّ بعيدٍ- في مصطلحات سيبويه الصوتية: وجود المصطلح ضمن مجموعة من المصطلحات المترابطة مفاهيميا- التعريف المصطلحي- الإيجاز في بنية المصطلح- توضيح المفاهيم بوسائل متعددة غير التعريف- أحادية دلالة كثير من المصطلحات- وجود مناسبة بين المدلول اللغوي للمصطلح ومدلوله الاصطلاحي.

منزلة المعاني النحويّة من خلال شروح كتاب سيبويه

ذ. المنصف عاشور

رئيس مخبر نحو الخطاب وبلاغة التداول

كلية الآداب والفنون والإنسانيات – منوبة

كلمات مفاتيح

معاني النحو-دلالات نحويّة -معنى – موضع – حال-رفع – نصب – جزم – واجب – غير واجب – كلام – إسناد – إعراب – عامل – معمول -تعدية – قوّة – ضعف – تعلق – إلغاء -تعليق – إضمار – إظهار-حيِّز -استفهام – أوائل-سمات نحوية – مبادئ – مقاييس – اسمية -صرفية – فعلية – متكلّم-مخاطب – نظم – مزج – حوسبيّة – قصديّة – داخليّة – فرديّة – إعلام-تواصل.

ملخّص البحث

2.1 – ينبني بحثنا هذا على مسلّمات بأنّ الكتاب يحتّل موقعا رئيسيا في اللّسانيات العامَّة من ناحية أولى و في مبادئ ومقاييس النّحو المخصوص بعلم العربيّة من ناحية ثانية. ففي الكتاب مقدّمة نظرية عبارة عن مدخل يقارب من زاوية نظر نحوية إعرابيّة دلاليّة الظواهر اللغويّة من جمل وأقوال ومركبات وكلمات وطبقاتها التأليفية المكونيّة في شكل وحدات نظرية مجرّدة هي سمات شكلية تصريفية ووظيفية وعاملية ودلالية وتداولية.

2.2 – ملّخص البحث ومرجعياته النّظرية: نحو عاملي دلالي

1.2.2 –فرضية عامة قائمة في الكتاب

تفرض منزلة كتاب سيبويه استنباط نظريّة تقوم على مبادئ ومقاييس تجري في نطاق تفسير المعاني النّحوية في مفهومها اللّساني العامّ، أهم مظاهرها علاقة اللّفظ بالمعنى ووسم القول والخطاب والجملة والمركّب من خلال رصد سياقات كثيرة متواترة منتظمة بأحكام الإعراب والعوامل والتصريف والمعجم والدلالة وموقع المتكلّم والمخاطب في إنجاز تلك المعاني النّحوية.

فالنّظرية العاملية تقوم على عمليات نظم الدلاّلات وتعليلها في صورة نظامية شكلية وفي صورة تداولية مقامية تواصلية، ونعتمد في هذه الفرضية مقولة الموضع أو المعنى منوالا ظاهرا في مختلف أبواب النّظرية الجارية في الكتاب.

2.2.2 –تحقّق المعاني النّحوية

تتحقّق تلك المعاني بفضل مبادئ كليّة عامّة هي أقسام الكلام وقوانين الإعراب والعمل والجملة واستقامة التركيب وما يطرأ عليه من تغييرات بنيوية ودلالية ومقامية تواصلية.

ونقدّم في هذا السّياق محاولة تفسيرية للمعاني النّحوية في شبه أنماطية تصنيفية تبين الدلالات والمواضع المتواترة في الكتاب وما أضافته شروحه من تعليل الظواهر النحوية بحكم الإضمار والإظهار وأنواع السمات وطبقاتها في بنية الجملة أو الكلام المنعقدة بالعملية الإسنادية باعتبارها تركيبية ودلالية وتواصلية بتأكيد الإسنادية في مفهوم شامل.

3.2.2 –الإظهار والإضمار فرضية جامعة

اخترنا في اشتغالنا بالنظرية النحوية العربية مبدأ الإظهار والإضمار من جهة كونه مقوم الفرضية الجامعة لمختلف أصناف الدلالات النحوية.



ونفهم الإظهار والإضمار في بعد عاملي معنوي يرجع العلاقات وطبقاتها التأليفية في الأبنية إلى مواقف/ مواضع المتكلم والمخاطب بتأكيد أن المتكلم هو العامل الحقيقي المولد لمختلف المعاني النحوية التي يعتمدها النحوي في تفسيره وتعليله حركة النظام النحوي حسب الإضمار والإظهار وما تحتاج إليه في عمل التواصل والإعلام.

3-فرضية عامة في كتاب سيبويه وشروحه

1.3-تتحقق المعاني النحوية في مفهوم السمات الشكلية الجارية في نطاق العلاقات التركيبية والدلالية بواسطة مبدأ جوهري ينبني عليه تخطيط الكتاب وبرنامج التحليل عند سيبويه يتمثل في انتظام هذه المعاني السمات بمقتضى الإظهار والإضمار ينجزها المتكلم والمخاطب في حالات موضعية / مواضع تستلزمها عملية العقد بين اللفظ والمعن([1]).

2.3- -نفترض أن في الكتاب وشروحه ويمكن الإكتفاء بأشهرها -شرح السيرافي-نظاماً تفسيرياً تحليلياً مرتباً يتواصل حسب تصميم أبواب الكتاب- وهو صورة من هندسة النحو -وهندسة الذهن وبنيته الداخلية. إذ أن صورة النحو التي يقترحها النحوي الواصف هي وجه من صورة كفاية النحو واللغة التي ينطبق فيها وصورة لعملية التخاطب والإنجاز المتداول في الأعمال التواصلية. ونضع كل ملاحظتنا في إطار لساني عام ونحو كلي تتفاعل فيه الخصوصيات والكليات-

3.3-في الكتاب وشروحه وقراءاته -مفهوم مجرد يخترق الدلالات النحوية ويشكلنها ويصورنها -هو " الموضع" = لفظة تواترت في كامل الكتاب استعملت في سياقات يمكن أن نقسمها تقسيم المعاني النحوية التالية وهي ما صدقية تشمل:

---

(1) انظر جون ليونس. مقدمة في اللسانيات النظرية.1968/ 1970

أ -المعاني الصرفية الصيغية الاشتقاقية

ب-المعاني المطابقية التصريفية

ج-المعاني التركيبية الوظيفية

د-المعاني العاملية والحالات الإعرابية

ت-المعاني الدلالية التداولية التواصلية

أ-أما الصنف الأول من " المعاني" - فتتواتر فيه لفظة " معنى" بنسبة إحصائية عالية قريبة من لفظة " موضع" -وهما مترادفتان.

وكلاهما مفهوم ما صدقي يصدق على أشياء أو دلالات كثيرة.

فالموضع / المعنى الصيغي الاشتقاقي يتصل بسمة وزنية معجمية اساسها هيئة صرفية جذرية - حروف أصول عارية من الحركات - تحريكها بعد سكونها بالحركة العاملة أي المولدة لمعنى متميز مفيد يحتمل الثابت اللفظي وتمتزج الحروف الرؤوس المحمولات بالحركات العوامل في حركية نظمية دالة على معنى معجمي - ونفترض في هذا المقام أن عقد الحرف بالحركة في بنية مقطعية وزنية تلخص دلالة شكلية وتختزل الإشارة التواصلية الجارية في التخاطب في مقامات وظروف وملابسات يظهرها المتكلم في وزن صرفي مشتق - خاصية العربية- ويضمرها في شكل واحد يحققه نحو اللغة بقواعده ومبادئه ومقاييسه.

وهذا المعنى "اللفظي والصيغي " يسترسل بين الجذر والوزن ويولد ما لا حصر له من المعاني الموسومة بالألفاظ المتحققة في الأبنية والصيغ الصرفية.

إذ الصيغة خلاصة تجربة تواصلية في إيقاع مخصوص محكوم بقوانين النحو ونظمه في معنى عملية المزج والاختلاط واحتلال الموضع الواحد والمجرى الواحد في العلاقات التركيبية والدلالية (1).

وفي الكتاب وشروحه تتواتر عبارات من قبيل " موضع" أو " معنى" وفعل فاعل ومفعول وفعيل وفعال ومفعال إسم حدث وإسم فاعل ومفعول وصفة مشبهة وإسم مبالغة وإسم تفضيل وإسم زمان ومكان والة ونسبة وتصغير.

والمشاركة والجعلية والتحويل والبناء الوسيط والمجهول والمعلوم والمتعدي والجزم والدال على الزمان والمظهر والجهة...

ب-أمّا المعاني التصريفيّة المطابقية فتتعلّق بمقولات كليّة عامة في مختلف اللغات كالعدد والجنس والتعيين والحالات الإعرابية.

وكلاهما مفهوم ما صدقي يصدق على أشياء أو دلالات كثيرة.

فالموضع / المعنى الصيغي الاشتقاقي يتصل بسمة وزنية معجمية اساسها هيئة صرفية جذرية - حروف أصول عارية من الحركات - تحريكها بعد سكونها بالحركة العاملة أي المولدة لمعنى متميز مفيد يحتمل الثابت اللفظي وتمتزج الحروف الرؤوس المحمولات بالحركات العوامل في حركية نظمية دالة على معنى معجمي - ونفترض في هذا المقام أن عقد الحرف بالحركة في بنية مقطعية وزنية تلخص دلالة شكلية وتختزل الإشارة التواصلية الجارية في التخاطب في مقامات وظروف وملابسات يظهرها المتكلم في وزن صرفي مشتق - خاصية العربية- ويضمرها في شكل واحد يحققه نحو اللغة بقواعده ومبادئه ومقاييسه.

وهذا المعنى "اللفظي والصيغي " يسترسل بين الجذر والوزن ويولد ما لا حصر له من المعاني الموسومة بالألفاظ المتحققة في الأبنية والصيغ الصرفية.

---

(1) انظر إحصاء جيرار تروبو. المعجم المفهرس 1976 باريس.

إذ الصيغة خلاصة تجربة تواصلية في إيقاع مخصوص محكوم بقوانين النحو ونظمه في معنى عملية المزج والاختلاط واحتلال الموضع الواحد والمجرى الواحد في العلاقات التركيبية والدلالية [1].

وفي الكتاب وشروحه تتواتر عبارات من قبيل " موضع" أو " معنى" وفعل فاعل ومفعول وفعيل وفعال ومفعال إسم حدث وإسم فاعل ومفعول وصفة مشبهة وإسم مبالغة وإسم تفضيل وإسم زمان ومكان والة ونسبة وتصغير.

والمشاركة والجعلية والتحويل والبناء الوسيط والمجهول والمعلوم والمتعدي والجزم والدال على الزمان والمظهر والجهة...

ب-أمّا المعاني التصريفيّة المطابقية فتتعلّق بمقولات كليّة عامة في مختلف اللغات كالعدد والجنس والتعيين والحالات الإعرابية.

يمكن بيان المعاني المقولية – باعتبارها سمات تأليفية للأبنية التركيبية والدلالية من خلال أقوال سيبويه في الأصول والأوائل واعتماد مفهوم جنسيّ صادق على إظهار سمات المطابقة من حيث العدد والجنس والتعيين والحالة الإعرابية في الباب الثاني من الكتاب – وما نعتبره أهمّ أبواب الرّسالة التي شرحها الزّجاجيّ ([2]).

فقد انطلق سيبويه من مفهوم "الشّيء" باعتباره أصلا مجهولا محايدا جامعا لمختلف السّمات قبل انعقادها العاملي في نية التركيب.

فلا عدد ولا جنس ولا تعيين ولا إعراب قبل التخاطب والعقد والتأليف والتواصل [3]. فالشيء مفرد ومذكر ونكرة وجنس ما صد في شائع في الأمة والصنف

---

[1] نظر إحصاء جيرار تروبو. المعجم المفهرس 1976 باريس.

[2] تتكون الرسالة من الأبواب السبعة الأولى من الكتاب. وهي مقدمة نظرية شرحها النحاة في الكثير من مصنفاتهم. انظر الحوليات عدد 29. 1989.

[3] انظر المنصف عاشور. ظاهرة الإسم في التفكير النحوي. 1999/ 2004/ 2015. منشورات كلية الاداب منوبة.



ومطلق البداية في الحالات الإعرابية والسمات النحوية المضمرة قبل أن تندرج في التأليفية وطبقات التعاقد والمطابقة والعمل الإعرابي. فالرفع مطلق (بل غير حالة إعرابية). هو موضع المتكلم العامل الحقيقي مولد مختلف الطبقات الوسمية في عملية المزج والنظم التركيبي والدلالي. ويتوضح النظم العاملي في العلاقات الإسنادية التخاطبية. وينبغي على النحوي تفسير عمليات جزئية مترابطة متألفة متراسلة بين السمات الشكلية المطابقية ليتم المعنى المقصود.

ج-أما المعاني التركيبية الوظيفية فهي متألفة بطبقة السمات المطابقية. ونعتبرها صادرة عن مقولة الحالة الإعرابية منبع توليد مختلف المعاني ومسترسل الأبنية النحوية. وقدم سيبويه في هذا الباب هندسة الجملة معتمدا التعدية في مفهوم يشمل التعلق والوصول إلى المواضع والحالات الإعرابية. فالبداية بالجملة الإسمية و عاملها المتكلم منشئ الدلالة. وانعدام العوامل اللفظية قبل المبتدأ والخبر صورة جملة كلية مطلقة تؤكد العلاقة العملية الاسنادية ومن انعدام العوامل إلى التدرج والاسترسال في تمام العامل ونقصانه مما يدخل على المسند إليه والمسند: فبدأ بالأفعال الناقصة والحروف المشبهة بالأفعال ثم الأفعال الدالة على المقاربة والشك واليقين والأفعال التامة المفضية إلى الجملة الفعلية.

واشتقاق المعاني التركيبية الوظيفية يتعلق بعملية إسنادية تجري بين النقصان والتمام. والتصريف للنواة الاسنادية بنظم الجملة رأسيا بالعدم والوجود لمختلف العوامل التي تستلزمها مبادئ النحو العام ونحو العربية الخاص. وصنفت وجوه التعلق بمقتضى قوة العامل ووصوله إلى مكونات العمدة والفصلة أو الملحقات الخارجة عن المركزية الإسنادية.

نعتبر من خلال شروح الكتاب المطبوعة والمخطوطة والنصوص الشواهد في مصنفات النحاة أن المعاني النحوية التركيبية والوظيفية تتألف طبقات من السمات تظهر في البنية الشكلية أو تضمر بحسب مقتضيات الخطاب والقول والجملة

والمركب. ويتوضح الإظهار في معالجة النحاة للمطابقة والعقد والتركيب والنظم ويتوضح الإضمار في تحقيق الأبنية وإنجازها في عملية التواصل والتخاطب.

د-أما ما تعلق بالمعاني المقترنة بالعوامل والحالات الإعرابية فنفترض أن الكتاب-والنحو العربي -أصل مبادئ ومقاييس علل بواسطتها النحوي الأبنية والعلاقات الإعرابية والدلالية. وعبارات الكتاب موضع عامل وموضع معمل أو معنى عامل ومعنى معمول وموضع ملغى أو غير إعمال وإبطال.

يمكن النظر في باب الإلغاء والتعليق في النحو العربي بداية بالكتاب – فالعامل هو المتكلم يظهر ويضمر: يظهر الأبنية والمركبات والأقوال والجمل فيرفع وينصب ويجر ويجزم. ونسب العمل المضمر بذهن/ بنفس المتكلم إلى العلاقات والألفاظ فجاز فيها الإعمال وأصبحت إشارات وأمارات عاملة نائبة عن المتكلم (١).

نفترض في قراءة الكتاب وشروحه أن العوامل علامات لعلامات وسماتها المتولدة عنها دلالات نحوية تمثلها الحالات الإعرابية أقصى درجات صورنة المعنى النحوي والمعنى في اللغة البشرية. ذلك افتراض من بين ما نستنبطه من نص الكتاب وشرح السيرافي. وعلى هذا الأساس تكون الحالة/ptosis/cas/état/state) = ضربا من القطع والاختيار والانتقاء لمعنى يقصده المتكلم ويتوجه إليه. والرفع والنصب والجر والجزم رموز -شكلية تلخص علاقة "جملية إسنادية جملية "حالة في ثنائية متعددة التسمية والاصطلاح عليها من نحو إلى نحو كالابتداء والبؤرة والموضوع والمعمول والمخبر عنه والمخبر به والمتمم والتكملة والملحقات.

افترضنا في أعمال سابقة كثيرة أنّ الرّفع حالة بداية البدايات في المعاني الإعرابية العاملية. وهي حالة صفر مطلقة بل متحرّرة من العوامل ثم تطرأ العوامل بعدها في

---

(1) الاسترابادي. شرح الكافية ج1. طبعة بنغازي.



الحوسبة النحوية: حوسبة ذهنية داخلية فردية قصدية بصفات النحو الكلّي في الأدنوية الشومسكية (1995-2012) في نحو بيولوجيّ عامّ يحافظ على برنامج النحو التوليدي منذ بداياته [1].

تشتق حالات منجزة عن مقولة الرفع تتجسم في المرفوع والمنصوب والمجرور والمجزوم وحسب أنماطية الحالات =الصرفية والتركيبية والدلالية والمقامية التواصلية. ويمكن بحسب نص الكتاب وشروحه أن نعقد روابط بين المعاني النحوية الإعرابية بدلالة جهية كبرى تخترقها الحالة الإعرابية الدلالية وهي مقابلة عامة تقوم عليها أنماطية الحالات الإعرابية في مختلف الأنحاء واللغات :تلك مقولة الواجب وغير الواجب المتصلة بحركية الوقوع وعدم الوقوع. وليس يستغرب منذ ما قبل الكتاب وفي الكتاب أن يكون الرفع عنوان الحدوث والوقوع والإيجاب والواجب. ونؤول كل ما يجري بحيزه من مركبات توسم بسمة الرفع الواجبة. فالواجب واجب الوقوع وغير واجب الوقوع في تسلسل درجي تسويري يمكن حوسبته في دلالات الجهية الموظفة في الحالة الإعرابية.

ويكون الرفع قمة الإظهار معوضاته مضمرات للرفع وتصريفات له واشتقاقات مختلفة ينظمها المتكلم ويعللها النحوي. فالواجب وغير الواجب عنوان التخاطب والتواصل ومقتضيات الحالة الإعرابية الدلة على الإعلام والتداول التواصلي المقصود.

ت-أما الصنف الأخير في تقسيمنا المقترح فيتعلق بالمعاني الدلالية التداولية المقامية التي تتولد عن الأصناف الأخرى ويعللها النحوي من سيبويه والخليل والسيرافي والأسترابادي والجرجاني وغيرهم تعليلا متكاملا في نظام تفسيري من العلاقات الحاكمة في النظام النحوي المسير للتداول والتواصل.

(1) انظر عملنا. ظاهرة الاسمية. 1997. منشورات كلية الاداب.



ذكرنا أن الحالة الإعرابية الكبرى هي الرفع والحالة الإعرابية الكبرى هي الرفع والحالة الدلالية الكبرى هي الاستفهام والاستعلام والاستخبار. ففي الكتاب سياقات ظاهرة ومضمرة تؤكد محورية الطلب واشتقاق الأخبار من الاستفهام أو النداء وهو رأي الخليل والسيرافي الشارح أي أن غير الواجب الإنشائي منطلق اشتقاق الأبنية والدلالات النحوية.

ونقترح معالجة الاستفهام والإعلام بين المتكلم والمخاطب في دائرة لولبية مسترسلة بين الإضمار والإظهار في نظر سيبويه حسب تأويلنا الخاص للنظرية النحوية المقروءة في كتاب الكتاب وشروحه [1].

يمكن أن تصنف الدلالات المقامية التواصلية وتعلل حسب أصناف الخبر والإنشاء وإفتراض الاستعلام إطارا نظريا لمختلف الجمل والأقوال والدلالات ولم يكن المكون البلاغي علم المعاني وأصول الإسناد سوى طبقة من طبقات تتألف ببقية السمات النحوية.

ولذلك يفصل سيبويه البلاغي عن الإعرابي النحوي العاملي. فالعمل الإعرابي عمل تواصلي بالأساس، وينبغي تفسير التعلق باعتباره جزءا أو سمة قصدية إعلامية تسجلها البنية العاملية.

4-أنماطية المعاني النحوية في الكتاب وشروحه = حسب الإظهار والإضمار

يمكن أن نكون مجموعة من العلاقات الدلالية تؤلف بين مختلف المعاني النحوية الواردة في نص الكتاب وشروحه المخطوطة والمطبوعة.

يحتاج هذا المشروع النحوي بطبيعة الحال إلى ضبط المعايير الأساسية في نمطية المعاني النحوية كالسمات التصريفية والسمات الاشتقاقية والسمات الوظيفية والسمات الدلالية والسمات التخاطبية التداولية.

---

(1)السيرافي. شرح كتاب سيبويه. ج4 ج5 ج6 ج7 ج8. 2005. مصر.



ونجمع هذه الأنماط الشكلية بمقتضى مبدأ نؤكده في قراءتنا وتأويلنا للتنظير الجاري في الكتاب وشروحه هو مبدأ الإضمار والإظهار.

فتنقسم السمات الشكلية من الأنواع الخمسة حسب الظاهر منها والمضمر أي حسب الإنجاز في صورة الأبنية النحوية وحسب النظام القائم على قوانين النحو وأصوله وقواعده النظامية أي شبكة المبادئ والمقاييس المتحكمة في النظام والاستعمال.

ويتحقق هذا النوع من الأنماطية بتأليف المعاني النحوية وربطها بالعمل والاشتقاق والدلالة والوظائف والأدوار المحورية الدلالية والأعمال التواصلية التخاطبية.

يبقى مشروعنا المقترح في مجال التطبيق والرصد والجمع والتصنيف من خلال الكتاب وشروحه، وهو عمل منتشر في عدد من الدراسات والبحوث الدائرة حول التعليل والتفسير والتأويل للمعاني النحوية التي قسمناها إلى خمسة أنواع ذكرناها سابقا.

5-نماذج من الشروح ومنزلة الكتاب من المعاني النحوية:

1.5-تتمثل النظرية النحوية في الكتاب في سابق ثري يتوضح من خلال كثرة النحاة المذكورين فيه وأنواع مواقفهم وطرق تعليلهم للمعاني النحوية على أساس منوال الإضمار والإظهار (1).

2.5-تعدّدت في هذا الإطار المشروح بل لا يمكن للقارئ أن يكتفي بالمعروف منها بل يمكن النظر في مختلف الأقوال المفسّرة والشواهد المتواترة في مختلف مصنفات النحاة بعد الكتاب.

(1) جيرار تروبو. المعجم المفهرس في مصطلحات سيبويه. 1976.باريس

فيبدأ التفسير في نص الكتاب ومتنه بل توجد محاورات في صورة أسئلة وأجوبة بين التلميذ سيبويه والأستاذ الخليل في أصناف الدلالات النحوية وعللها المفسّرة لها نعتبرها ضربا من المجالس العلمية النحوية تدور حول موضوعنا المقترح في هذه المداخلة: فالأسئلة وتبلغ حوالي 280 سؤالا والأجوبة عبارة عن كتاب نظرية الخليل وتحليله نظام اللّغة وأقسامها وأبوابها وفصولها ومكوناتها المتعلقة بالمظاهر اللفظية والمظاهر المعنوية.

3.5-نذكر على سبيل الإيجاز شروح المبرّد وابن السرّاج والفارسي والرمّاني والسيرافي والجرجاني وابن مالك وابن خروف والصفّار [1] في المطبوع والمخطوط من هذه الشروح وغيرها لكن الشرح الأساسي المميّز لموقع الكتاب في النظرية النحوية العربية واللسانيات العامة ما ألفه أبو سعيد السيرافي في الأجزاء التي وصلتنا (وهي 18 جزءا إلى حد الآن).

4.5-موسوعية شرح السيرافي وتبلور الدلالات النحوية

الحالة الإعرابية قاعدة تأليفية للمعاني النحوية تعد الحالة الإعرابية مبدأ المبادئ في اشتقاق المعاني النحوية ونظمها وعقدها. وقد جاء في أجزاء شرح السيرافي رصد مواقع الحالات أي القواعد والأحكام في كل الدلالات النحوية [2].

نقصد بموسوعية شرح السيرافي للكتاب أنه حلّل في شبه نظام تفسيري متناسق أنيق الأقسام والعمليات مختلف المعاني والدلالات النحوية: المعاني التداولية والتواصلية والدلالات النظامية بين إضمار وإظهار ويمكن تصنيف العلل المّطردة في الشرح الموسوعي حسب مقابلات ومجموعات متدرّجة: من الأصل والفرع والشبه والنظير والنقيض والخفة والثقل والحمل على المعنى والموضع والحمل

(1) المخطوط من الكتاب كثير في مختلف مكتبات العالم.وتحتاج إلى تحقيق لغوي حديث.
(2) نذكر أهم الشروح ونخص شرح السيرافي بالمعالجة في مواطن أخرى من بحوثنا.



على اللفظ والسبر والتحليل يقتضي بعضها بعضا في استرسال واضح في مختلف أبواب الإعراب والتصريف.

تحتاج هذه الموسوعية إلى تفصيل -ليس هذا مقامه- للظواهر النحوية ومايفسرها من علاقات وعلل وتحتاج أيضا إلى صورنة وشكلنة يحققها الشرح في الأجزاء التي وصلتنا [1].

5.5 -عرض مختصر لبعض الشروح

1.5.5 -محاورات سيبويه والخليل في الكتاب

يتضمن الكتاب عددا مفيدا من الأسئلة يلقيها سيبويه التلميذ على الخليل بن أحمد الأستاذ تتعلق نصوصها بالمعاني النحوية التي عرضناها وما تقوم عليه من علل تفسرها تفسيرا استدلاليا يحافظ على الأصول والمبادئ العامة في الإعراب والصرف.

تمثل هذه المحاورات وما جاء حولها في شروح الكتاب الدلالات الاشتقاقية والتصريفية والوظيفية والمقامية التداولية في توزيع ثنائي ثابت هو الإظهار والإضمار [2].

2.5.5 -شرح رسالة سيبويه في الإيضاح في علل النحو للزجّاجي

نرى أيضا أن الأبواب السبعة الأولى من الكتاب تبين بوضوح موقع تفكير سيبويه في ما يسمى بالرسالة. وهي مقدمة مرتبة تجمع أصول التحو النظرية الأساسية في صورة تأليفية وتتعلق بأقسام الكلام والإعراب والعمل والإسناد وعلاقة اللفظ بالمعنى والإحالة والإستقامة من الكلام ونحو الشعر.

---

(1) السيرافي -شرح كتاب سيبويه. عدد الأجزاء 18. دار الكتب المصرية. 1992. 2005

(2) جمعنا المحاورات النحوية في شبه مجالس منذ 2002. و هو كتاب قيد الطبع دار الكتاب الجديد- بيروت،لبنان.

وكنّا ألّفنا في الرسالة اعتمادا على ما جاء في كتاب الزجاجي الإيضاح في علل النحو الذي فصّل القول في أصلين هما أقسام الكلام والإعراب وتواصل العرض للرسالة. في شرح السيرافي معتمدا المبدأ نفسه أي تحليل المعاني النحوية بمقتضى الإظهار والإضمار[1].

3.5.5 –شرح السيرافي والإظهارية والإضمارية

لا يمكن في هذا المقام إلا التمثيل لبعض الدلالات النحوية بمقتضى الإظهار والإضمار. ونذكر منها عمليات الحذف والتأويل في أبواب التعدية واللّزوم وإعمال الأفعال الناقصة والتامة وما يشبهها من الأسماء المشتقّة العاملة وحروف المعاني الدالة على المعاني الإنشائية والمعاني الخبرية سواء أكانت تتصدر الجملة أم تقع داخلها.

لعلّ أهم الأبواب التي يظهر فيها المنهج التفسيري السيبويهي إضمار الأفعال في النداء واستعمال الحروف مضمرة في حالات النصب والجزم في باب الحروف التي تضمر بعدها "أنْ" الموصولة المصدرية و "إنْ" الشرطية المولّدتين للنصب والجزم. فالواو و فاء السببية و أو و اللام و كي حروف غير عاملة أصالة لكنها تعمل بإضمار أنْ، أمّ الحروف في النصب و تكون مسبوقة بأوائل و أشياء و معان -و هي ألفاظ النحّاة منذ الكتاب -كالنفي و النهي و الأمر و الاستفهام و التمني و الترجي و العرض و الالتماس و التحضيض و الشك و الاعتقاد و الظن. وهي الأوائل نفسها التي تجزم الفعل بإضمار إنْ الشرطية مثال النصب نحو زرْنا فنكرمك ومثال الجزم نحو أتزورنا نكْرمك، فهذه الدلالات الأوائل ترتبط بحالتي النصب والجزم.

---

(1)انظر حوليات الجامعة التونسية عدد 1989 و2002 في شرح الرسالة.



حالتان لغير الواجب من الدلالات البلاغية التداولية ولها الصدارة في الجملة والخطاب وتقوم الأمثلة على تأويل مقاصد المتكلم والمخاطب يضمر ويظهر ما يعتقده مفيدا مناسبا للتواصل [1].

6 -خلاصة "المعاني النحوية" في الكتاب وشروحه

قدّمنا ملاحظات عامة عن الدلالات النحوية من الكتاب وشروحه بصورة مقتضبة تأليفية. وذلك من مشاريع عدد من الأعمال والبحوث المتصلة بالنظرية النحوية العربية المركزة على كتاب سيبويه وما يقوم عليه من أصول نظرية.

تحتاج أنماطية المعاني النحوية من خلال الكتاب وشروحه إلى تقييم تلك الأعمال والبحوث من جهتي النحو العام والنحو الخاص. ونهدف من هذا المشروع وضع مقدمات نظرية في نطاق اللّسانيات العامة واللّسانيات العربية. وافترضنا أن المعاني الاشتقاقية والتصريفية والوظيفية والدلالية والتواصلية تتعلق بمبدأ الإعراب والعمل والحالات الإعرابية ودور المتكلم في توليد المعاني المقصودة في التخاطب.

ونرى أنّ قراءة الكتاب لم تحقّق بعد. ولن تحقّق إلاّ في نسق نظري يعتبر مكتسبات النظريات اللسانية الحديثة ليفهم نص الكتاب ويعين موقع سيبويه والخليل في تاريخ الدراسات النحوية الخاصة والدراسات اللسانية العامة.

نعتقد أن تقييم ذلك النص قابل ليبني على مقولة السمات النحوية في معناها التوليدي الحديث لإنشاء نحو تأليفي مقوليّ عامليّ يأخذ من النحو الخاص ما قد يتلاءم والنحو الكلّي العام. ونعتقد أيضا أن كتاب سيبويه يمثل نظرية جديرة بالتقييم والتأويل.

(1)سيبويه/ السيرافي-الكتاب. الجزء 3-بداية من ص93 وما بعدها.

السياق في الأمثلة النحوية في كتاب سيبويه ودوره في تعليم اللسان العربي

مسعودة خلاف شكور

أستاذة محاضرة بكلية الآداب واللغات،

جامعة محمد الصديق بن يحي، جيجل، الجزائر

إن المتمعن في كتب اللغويين العرب القدامى يتأكد لديه أن ما كتبه الأوائل منهم كان بالرغم من أنه موجه للخاصة من العلماء وطلبة العلم يراد به في مجمله غاية تعليمية بالدرجة الأولى؛ هي تصويب اللسان العربي الذي فسد بسبب العجمة التي أحدثها اللحن وأصابت ألسنة الجيل العربي الناشئ آنذاك. وما من شك في أن كتاب سيبويه لم يجانب هذه الغاية بالرغم من خلوه من مقدمة تشرح لمن وضع كتابه وأسباب وضعه له؛ فالمجتمع عليه في مكانة "الكتاب" كونه كتابا موجها للخاصة من الدراسين بدليل قول المبرد 286هـ لرجل –وفي ذكره نكرة قد يفهم بأنه من عامة الناس أو من المبتدئين من الطلاب– أراد أن يقرأ عليه الكتاب: "هل ركبت البحر؟"[1]؛ تعظيما واستصعابا وإشفاقا على الرجل، وإيحاء بما في الكتاب من صعوبة ومشقة. ولم يكن ذلك مبالغة من المبرد واستحقارا لجهد ومقدرة الرجل؛ فقد تكررت القصة مع المازني 249هـ الذي روى كيف قرأ عليه رجل كتاب سيبويه في مدة طويلة وحين بلغ آخر الكتاب قال للمازني: "أما أنت فجزاك الله خيرا وأما أنا فما فهمت منه حرفا"[2]، فالكتاب تتلقفه العامة حفظا وعرضا على العماء بالرغم

(1) خديجة الحديثي: كتاب سيبويه وشروحه، مطابع دار التضامن، بغداد، ط1، 1967، ص63-64.

(2) أبو بشر عمرو بن عثمان بن قنبر سيبويه: الكتاب، تحقيق: عبد السلام هارون، مكتبة الخانجي، دت، ص27.

مما فيه من صعوبة يقر بها علماؤهم دون حرج أو معاندة. بل إن قولا من الجاحظ 255هـ: "أردت الخروج إلى محمد بن عبد الملك [يقصد الوزير ابن الزيات]، ففكرت في شيء أهديه إليه، فلم أجد أشرف من كتاب سيبويه"[1]، تصريح بشرف كتاب سيبويه، بعد تصريحه بقيمته العلمية التي قال فيها: "لم يكتب الناس في النحو كتابا مثله وجميع ما كتب الناس عليه عيال"[2].

وليس على ما تقدم ذكره من حرج في انتحاء الفهم أهلاه لتحديد إلى من وجه سيبويه كتابه؛ فكتب الأوائل من علماء اللغة العرب قد سارت على هذا المنهج في التأليف. ولعل في قول (الزبيدي) 379 هـ في "الاستدراك على كتاب سيبويه" إضافة على روايتي المبرد والمازني ما يبرز بأن العامة كالخاصة كانوا مهتمين بالكتاب؛ يقول مشيدا بالكتاب وداعيا إلى اقتفاء أثره في التأليف النحوي: "رأيت علماء النحو في زماننا هذا وما قاربه قد أكثروا التأليف فيه وأطالوا القول على معانيه فأملّوا الناظرين وأتعبوا الطالبين بتكرار معان قد بينت وركوب أساليب قد نهجت...وقد كان ينبغي لمن همّ بذلك منهم أن يتصفح كتاب عمرو بن عثمان المعروف بسيبويه"[3].

لقد بين ابن خلدون 808هـ في مقدمته القيمة التعليمية للكتاب، منبها في ذلك إلى دور الشواهد المنتقاة من كلام العرب في صقل الملكة اللغوية بنماذج من الكلام العربي الفصيح؛ فالكتاب عنده ليس كتابا للنحو العلمي بل هو زيادة على ذلك كتاب تعليمي بامتياز؛ يقول في ذلك: "قد نجد بعض المهرة في صناعة الإعراب بصيرا بحال هذه الملكة، وهو قليل واتفاقي، وأكثر ما يقع للمخالطين لكتاب سيبويه. فإنه لم يقتصر على قوانين الإعراب فقط، بل ملأ كتابه من أمثال العرب

(1) خديجة الحديثي: كتاب سيبويه وشروحه، ص62.
(2) المرجع نفسه، ص61.
(3) أبو بكر محمد بن الحسن الأشبيلي الأندلسي الزبيدي: الاستدراك على كتاب سيبويه في الأبنية والزيادات على ما أورده فيه مهذبا، روما، 1890، ص1.

وشواهد أشعارهم وعباراتهم؛ فكان فيه جزء صالح من تعليم هذه الملكة،...ومن هؤلاء لكتاب سيبويه من يغفل عن التفطن لهذا، فيحصل على علم اللسان صناعة ولا يحصل عليه ملكة"[1].

إن "الكتاب" على ما فيه من صعوبة ما زال إلى اليوم نبعا خصبا ينهل منه الدارسون؛ يقول أحمد بدوي: "أصبح كتاب سيبويه بعد أن ظهر للناس برنامجا لمن أراد الدراسة العليا في النحو، وأصبح الطالب لا يعد مستكملا هذا النوع من الدراسة إلا إذا أقر كتاب سيبويه...والكتاب في نظرنا مرجع من المراجع نعود إليه عندما نؤلف كتابا في القواعد العربية. وهو صورة لآخر ما وصل إليه التقدم العلمي في النحو في أواخر القرن الثاني الهجري"[2]؛ وما من شك في أن الكتاب بشهادات علماء اللغة القدامى والمعاصرين منهم يقدم جهدا هو حلقة هامة من حلقات الدرس النحوي العربي العلمي والتعليمي منه على حد سواء.

إن الشهادات المساقة أعلاه غيض من فيض مما قيل في القيمة التعليمية للكتاب، وتحاول هذه الدراسة أن تضيف شيئا في ذلك فيما تتتبعه في أمثلة الكتاب من سياقات لغوية وغير لغوية؛ مستأنسة في هذا التتبع بالاحتكام إلى ما يقدمه درس تعليمية اللغات من وجهات نظر في المسألة؛ لذلك كان الابتداء فيما يلي من عنوان بالحديث عن مفهوم السياق في تعليمية اللغة.

1- السياق ودوره في تعليم الألسن

تُفعِّل تعليمية الألسن اليوم دور البعد التواصلي في تعلم الألسن وتعليمها؛ وبدا كل حديث عن مقاربة لتعلم الألسن وتعليمها حديثا غير ذي جدوى إذا لم يركز على الوظيفة الرئيسة للسان وهي الوظيفة التبليغية أو التواصلية التي تستحضر

---

(1) عبد الرحمن بن خلدون: المقدمةن دار الفكر للطباعة والنشر والتوزيع، ط1، 1998، ص580.

(2) خديجة الحديثي: كتاب سيبويه وشروحه، ص67.

التعريف اللساني للسان "أداة تواصل"؛ ومن ثم كان التركيز على السياق في تقديم النموذج اللساني ضروريا من أجل احتذاء به والاقتراب أكثر من نموذج ابن اللسان المثالي؛ فما المقصود بالسياق وما هو دوره في تعلم اللسان؟.

1-1 في مفهوم السياق وأقسامه بين القدماء والمحدثين:

السياق بمعناه اللغوي هو التتابع والتوالي؛ جاء في المقاييس: "ساقه يسوقه وسياقا (في مغنى حداه أي دفعه أمامه)"[1]. ولعل أول من قرن السياق بالكلام هو الزمخشري؛ حيث قال: "ومن المجاز تساوقت الإبل: تتابعت، وهو يسوق الحديث أحسن سياق، وإليك يساق الحديث، وهذا الكلام سياقه كذا، وجئتك بالحديث على سوقه: على سرده."[2].

يحافظ السياق في معناه الاصطلاحي عند قدماء اللغويين العرب على معناه اللغوي المحيل على التتابع والتوالي؛ فقد كان سياق الكلام يحمل واحدا من المعاني الاصطلاحية الآتية[3]:

1- تتابع الكلمات في الجمل أو الجمل في النصوص، كقول ابن جني في اللفظ "وليس يجوز أن يكون ذلك (أي تكلف ما تكلفته العرب من الاستمرار على وتيرة واحدة وتقريها "في كلامها" منهجا واحدا تراعيه وتلاحظه) كله في كل لغة لهم

(1) ابن فارس: مقاييس اللغة، تحقيق: عبد السلام هارون، مكتبة القاهرة، القاهرة، ط3، ج3، 1969، ص117.

(2) الزمخشري: أساس البلاغة، تحقيق: محمد باسل عيون السود، دار الكتب العلمية، بيروت، لبنان، ج1، ط1، 1998، ص 474.

(3) ينظر: عبد الفتاح عبد العلي البركاوي: دلالة السياق بين التراث وعلم اللغة الحديث، دراسة تحليلية للوظائف الصوتية والبنيوية والتركيبية في ضوء نظرية السياق، دار الكتب، القاهرة، 1991، ص26-27.

وعند كل قوم منهم اتفاقا وقع حتى لم يختلف في اثنان ولا تنازعه فريقان إلا وهم له مريدون وبسياقهم على أوضاعهم فيه معنيون"[1].

2- المقام الذي يصاحب الكلام كقول ابن سلام في شرح الحديث الشريف: "إذا لم تستح فاصنع ما شئت"، فقال: "وهذا الحديث ليس يجيء سياقه ولا لفظه على هذا التفسير"[2]؛ فكان السياق عنده مرادفا للفظ.

3- القصة أو الظرف الخارجي الذي يمكن فهم الكلام على ضوئها مضافا إلى ذلك ما يستفاد من المقال.

ويلاحظ من هذه المعاني والدلالة أن القدماء قد وعوا مفهوم السياق كما هو في الدرس اللساني المعاصر؛ حيث لم ينفصل عندهم مفهوم السياق عن مفهوم المقام الذي ركز عليه المفهوم المعاصر للسياق وفق نظرية "السياق".

يعرف جورج مونان في قاموس اللسانيات السياق فيقول: "يجب التمييز بين السياق الذي هو لغوي والمقام/ الموقف/ الحال الذي هو التجربة غير اللسانية المعاشة، في هذه الحال يمكن عدّ السياق ترجمة بوسائل لغوية مضبوطة لما هو مهم في المقام/ الموقف/ الحال[3] من أجل بناء رسالة"[4]. فالسياق حسب مونان

---

(1) ابن جني: الخصائص، تحقيق: محمد علي النجار، القاهرة، ج1، 1952، ص228.

(2) ابن سلام: غريب الحديث، تحقيق: حسين محمد شرف، القاهرة، ج1984،3، ص31.

(3) فيما اتفق في اللغة العربية على ترجمة المصطلح الغربي contexte/context بالسياق كان الاختلاف واضحا في ترجمة situation فقد ترجمه حسان تمام إلى المقام والموقف وترجمه رمضان عبد التواب إلى شاهد الحال وترجمه آخرون غير ذلك ولكن تبقى هذه المقابلات الثلاثة هي الأكثر تداولا. ينظر: - عبد الفتاح عبد العلي البركاوي: دلالة السياق بين التراث وعلم اللغة الحديث، ص28. و- رمضان عبد التواب: التطور اللغوي مظاهره وعلله وقوانينه، مكتبة الخانجي، القاهرة، ط2، 1990، ص155. و- تمام حسان: اللغة العربية معناها ومبناها، عالم الكتب، القاهرة، ط5، ص337.

(4) -Georges Mounin: Dictionnaire de la linguistique, PUF, p83.

هو الشكل اللغوي للمقام أو الموقف أو الحال –باختلاف الترجمات–، فهو لا يخرج عن مستويات اللغة المعروفة من مستوى صوتي إلى مستوى دلالي.

إن استحالة فصل السياق والمقام أو الحال عن بعضهما في الرسائل الكلامية هو الذي جعل اللغويين عربا وأعاجم يسلمون بوجود ناحيتين ينظر إلى السياق من خلالهما؛ سياق النص أو السياق اللغوي وسياق المقام؛ قال (تمام حسان) في ذلك معرفا السياق: "المقصود بالسياق (التوالي) ومن ثم ينظر إليه من ناحيتين أولاهما: توالي العناصر التي يتحقق بها التركيب والسبك، والسياق من هذه الزاوية يسمى سياق النص، والثانية: توالي الأحداث التي صاحبت الأداء اللغوي وكانت ذات علاقة بالاتصال ومن هذه الناحية يسمى السياق (سياق الموقف)"[1]، فالسياق في مفهومه إذن يأخذ من معناه اللغوي دلالة التوالي التي تحيل على وجود ترابط ونظم في مستويين، مستوى أول هو مستوى العلاقات بين العلامات اللغوية المشكلة للرسالة لغوية، ومستوى ثاني هو مستوى خارج اللغة / الموقف الذي كان سببا في الرسالة.

للسياق إذن وجهان وجه لغوي اصطلح عليه السياق اللغوي/ اللفظي ووجه غير لغوي اصطلح عليه سياق الحال أو سياق المقام أو سياق الموقف؛ والأول منهما داخلي، والثاني خارجي، وفي ذلك يقول عبد الرحمن بودرع محددا هذين الوجهين للسياق في النص الديني –الرسالة اللغوية التي هي مدونة الدراسة في مؤلفه "منهج السياق في فهم النص– قرآنا وحديثا: "يضاف إلى السياق اللغوي سياق آخر هو سياق الحال أو المقام وما يتصل به من عناصر الحال والزمان والمكان وصاحب

---

[1] تمام حسان: قرينة السياق، بحث مقدم في الكتاب التذكاري للاحتفال بالعيد المئوي لكلية دار العلوم، مطبعة عبير للكتاب، 1993، ص375.

الكلام والمخاطبين بالكلام، وغير ذلك من الطبقات المقامية والتداولية المختلفة التي ينتج فيها النص"[1].

إن الانتباه إلى السياق في الدرس اللغوي المعاصر سببه الوظيفة التي يقوم بها السياق في تحديد دلالات الرسالة الكلامية؛ لكنها بتأثير من صرامة الدراسة اللسانية الوصفية أبعدت عن التحليل اللساني بعدّها من العناصر الخارجية، وقد وضح عبد الرحمن بودرع وظيفة السياق التي يتحدد ويعرّف بها؛ فقال: "السياق إطار عام تنتظم فيه عناصر النص ووحداته اللغوية، ومقياس تتصل بوساطته الجمل فيما بينها وتترابط، وبيئة لغوية وتداولية ترعى مجموع العناصر المعرفية التي يقدمها النص للقارئ"[2]. إن السياق ها هنا ذو طبيعة لغوية كما قال مونان ترجمة لما هو غير لغوي –بيئة لغوية تداولية– ولكن هذا الشكل اللغوي للسياق يجعله الأداة التي تحقق بها الرسالة الكلامية في المواقف التواصلية دلالاتها. وهو أيضا أداة ضبط وتنظيم لعناصر الرسالة أو النص، يقول عبد الرحمن بودرع في ذلك "يضبط السياق حركات الإحالة بين عناصر النص، فلا يفهم معنى كلمة أو جملة إلا بوصلها بالتي قبلها أو بالتي بعدها داخل إطار السياق"[3]، والأمر مماثل في أبسط رسالة كلامية ينجزها المتكلم، ولذلك كان ستيفن أولمان صريحا في نفي أن تكون للكلمات معاني معجمية خالصة جاهزة تجعلها حرة أو مستقلة حين توظف في النصوص – وهو حكم صادق أيضا على كل رسالة كلامية؛ يقول في تحديد الدور الذي يقوم به السياق في تنظيم النص "ينبغي[أي السياق] ألا يقتصر على الكلمات والجمل الحقيقية (السابقة واللاحقة) بل يشتمل القطعة كلها والكتاب كله، كما ينبغي أن يشتمل –بوجه من الوجوه– كل ما يتصل بالكلمة من ظروف وملابسات. والعناصر

---

[1] عبد الرحمان بودرع: منهج السياق في فهم النص، كتاب الأمة، قطر، ط1، 2006، ص32.
[2] المرجع نفسه، ص30.
[3] م ن، ص31.

غير اللغوية المتعلقة بالمقام الذي تنطق فيه الكلمة، لها هي الأخرى أهميتها البالغة في هذا الشأن"[1].

ما يقال في البنية الإفرادية للعناصر اللغوية صادق على بنيتها التركيبية؛ فتوالي الكلمات مع سابقاتها ولاحقاتها في الرسالة الكلامية على شكليته خاضع للسياقين الداخلي والخارجي معا، إذ يفرض الأول صرامته الشكلية على مستوى محوري الاستبدال والتركيب، ويفرض الثاني صرامته المنطقية أو العقلية أو العرفية لعلاقته الوطيدة بالدلالة والمضمون ولذلك يكون الفصل بين الدلالة والنحو في التحليل اللساني الوصفي فصلا إجرائيا محضا يجمد السياق ولا يلغيه؛ إذ "يقوم السياق في أحيان كثيرة بتحديد الدلالة المقصودة من الكلمة في جملتها...ولاتكون للعلاقة النحوية ميزة في ذاتها، ولا للكلمات المختارة ميزة في ذاتها، ولا لوضع الكلمات المختارة في موضعها الصحيح ميزة في ذاتها ما لم يكن ذلك كله في سياق ملائم"[2].

إن المقولة الشهيرة "لكل مقام مقال" التي تحولت إلى مقولة بلاغية تعرّف بها البلاغة تعكس وعي المتكلم العربي بأن للرسالة اللغوية مقتضيات لا يجوز التغاضي عنها؛ وهو الوعي التي ترجمته تعريفات علماء اللغة القدامى من بلاغيين ونحويين وأصوليين؛ فقد ركز البلاغيون مثلا على مفهوم مقتضى الحال الذي هو العلاقة بين المقال والمقام؛ فالمصطلحان الموقف والمقام وردا بمعنى السياق الذي أريد به الظروف المصاحبة للمقال، يقول ابن المقفع معرفا البلاغة اسم جامع لمعان تجري في وجوه كثيرة فمنها ما يكون في السكوت ومنها ما يكون في الاستماع...إلى أن قال: فقيل له: فإن مل السامع الإطالة التي ذكرت أنها حق ذلك الموقف؟ قال: إذا أعطيت كل مقام حقه، وقمت بسياسة الذي يجب من سياسة

---

(1) ستيفن أولمان: دور الكلمة في اللغة، ترجمة: كمال بشر، مكتبة الشباب، القاهرة، ط3، 1972، ص.

(2) محمد حماسة عبد اللطيف: النحو والدلالة، (مدخل لدراسة المعنى النحوي -الدلالي)، دار الشروق، القاهرة، ط1، 2000، ص98.

ذلك المقام وأرضيت من يعرف حقوق الكلام فلا تهتم لما فاتك من رضا الحاسد والعدو فإنه لا يرضيهما شيء"[1]. وقيل في البلاغة أيضا: "بلاغة الكلام هي مطابقة الكلام لمقتضى الحال مع فصاحته"؛ وبذلك يكون الحال والمقام متقاربين في المفهوم، والمصطلح عندهم يعالج في مباحث علم المعاني، يقول التهانوي في تعريف الحال: "الحال في اصطلاح أهل المعاني هي الأمر الداعي إلى المتكلم على وجه مخصوص – أي الداعي إلى أن يعتبر مع الكلام الذي يؤدى به أصل المعنى خصوصية ما هي المسماة بمقتضى الحال، مثلا كون المخاطب منكرا للحكم حال يقتضى تأكيد الحكم والتأكيد مقتضاها... (علم المعاني) علم يعرف به أحوال اللفظ العربي التي بها يطابق اللفظ مقتضى الحال – أي يطابق صفة اللفظ مقتضى الحال، وهذا هو المطابق بعبارات القوم حيث يجعلون الحذف والذكر إلى غير ذلك معللة بالأحوال"[2]. ولكن المقام عند حسان تمام لا يتوقف عند دوره البلاغي المحدد في نماذج ساكنة؛ بل هو عنده دينامي متحرك متغير بتغير الرسالة الكلامية وظروفها المحيطة وبتغير كل من المتكلم والمستمع كذلك؛ يقول في ذلك: "المقام عند البلاغيين سكوني (static) فالذي أقصده بالمقام ليس إطارا ولا قالبا، وإنما هو جملة الموقف المتحرك الاجتماعي الذي يعتبر المتكلم جزءا منه، كما يعتبر السامع والكلام نفسه، وغير ذلك مما له اتصال بالمتكلم speach events وذلك أمر يتخطى مجرد التفكير في موقف نموذجي ليشمل كل عملية الاتصال...أجد لفظ المقام أصلح ما أعبر به عما أفهمه من المصطلح الحديث (context of situation)"[3].

---

(1) الجاحظ: البيان والتبيين، تحقيق: عبد السلام هارون، ج1، ط4، القاهرة، 1975، ص116.

(2) محمد علي التهانوي: كشاف اصطلاحات الفنون، الهيئة المصرية العامة للكتاب، مصر، 1977، ص152.

(3) تمام حسان: الأصول، دار الثقافة، الدار البيضاء، 1411، ص332.

ويتكون سياق الحال من جملة من العناصر المكونة للموقف الكلامي هي[1]:

1- شخصية المتكلم والسامع وتكوينهما الثقافي وشخصيات من يشهد الكلام غير المتكلم والسامع وبيان ما لذلك من علاقة بالسلوك اللغوي.

2- العوامل والظواهر الاجتماعية ذات العلاقة باللغة والسلوك اللغوي لمن يشارك في الموقف الكلامي وكل ما يطرأ أثناء الكلام ممن يشهد الموقف الكلام من انفعال أو أي ضرب من ضروب الاستجابة وكل ما يتعلق بالموقف الكلامي أيا كانت درجة تعلقه.

3- أثر النص الكلامي في المشتركين كالاقتناع أو الألم أو الإغراء أو الضحك...إلخ.

ومما تقدم ذكره يمكن القول بأن مفهوم السياق المحيل على الظرف الخارجي يرادفه في التراث العربي كلا من المقام والحال والموقف، ويتسع هذا المفهوم في الدراسات اللغوية الحديثة ليشمل السياق الداخلي أي سياق النص، وبذلك يكون السياق سياقين:

- السياق اللغوي/ اللفظي contexte verbal ويستفاد من عناصر لغوية داخل النص/ الرسالة.

- السياق الخارجي contexte de situation ويستفاد من عناصر غير لغوية خارج النص/ الرسالة.

1-2-البعد التواصلي للسان ودور السياق في نمذجة اللسان وتوصيفه:

الاكتفاء في تعليم اللسان بمستوياتها الصرفية والتركيبية والدلالية والصوتية كما يحيل عليه المصطلح لسان/ نظام لا يقدم متعلما للسان بقدر ما يقدم عارفا

---

(1) ينظر: نهاد الموسى: نظرية النحو العربي في ضوء مناهج النظر اللغوي الحديث، دار البشير، مكتبة وسام، الأردن، ط2، 1987، 94.

بقواعده؛ لاسيما قواعده النحوية التعليمية؛ مادامت السلامة اللغوية تحتم التركيز أكثر على دروس النحو التعليمي لمتعلمي اللسان. لقد بات أكيدا اليوم أن النحو التعليمي بتجريده وتعميمه وإبعاده للسياق غير كاف بتاتا لضمان السلامة اللغوية المنشودة في اللسان الهدف لسببين؛ الأول كون السلامة اللغوية تعني معرفة دقيقة باستعمال القواعد اللغوية بعد إضمارها، ومن ثم ارتباطها، والثاني كون المتعلم لو تعلم كل قواعد اللسان الهدف ما أغناه ذلك عن الخطأ في الكلام وفي تبليغ مراده إذا أضمر القواعد دون معرفة بسياقات استعمالها[1]. لذلك يقترح الدرس النحوي التعليمي اليوم نحو النص بدلا من نحو الجملة بعد أن تعمق الدرس اللساني أكثر فيما يعرف باللسانيات التداولية التي أعادت الاهتمام بالسياقات غير اللغوية لمعرفة كيفية تأثيرها واتساقها ضمن نظامية اللسان؛ وقد كان اللسانيون الاجتماعيون قد قالوا بوجود علاقة وثيقة تربط البنى اللغوية بالبنى الاجتماعية، وأنه لا يمكن دراسة أي لغة بمعزل عن المعطيات الاجتماعية[2].

ولابد من القول إن الاهتمام بالسياقات في الدرس اللغوي العربي لا يعد أمرا جديدا؛ ذلك أن الدرس اللغوي العربي في بدايات ظهوره -التي كانت مؤسسة على غاية تعليمية لحماية اللسان العربي من اللحن الذي أصابه- لم تغفل دور السياق في دعم السلامة اللغوية والإبانة عن المقصود بهذا اللسان فيما يقال وينظم من الكلام؛

(1) إن ظهور ما عرف في الدرس اللساني باللسانيات النظامية بنحوها النظامي هو محاولة لإعادة مفهوم السياق إلى نظام اللغة؛ فالسياق في هذه النظرية اللسانية يقوم على مفهوم النسقية التي تلتئم بين الكلمات التي تمثل كل واحدة منها موقعا في الجملة. وهذا يعني لأن السياق لم يعد مجرد سلسلة كلامية. بل هو سلسلة تفرضها المواقع التي تشغلها هذه الكلمات والوظائف العلاقية فيما بينها. ينظر: سمير إستيتية: اللسانيات المجال والوظيفة والمنهج، عالم الكتاب الحديث، الأردن 2008، صص201-205.

(2) - Louis-jean Calvet: La sociolinguistique, PUF, 1993, p90.

فقد كانت الغاية التعليمية من تلك الكتب قد امتلأت بالشواهد من كلام العرب شعرا ونثرا في محاولة لتقديم البيئة اللسانية الاصطناعية للمتعلمين.

إن ما هو صادق على المستوى التركيبي من اللسان، يصدق أيضا على مستواه المعجمي؛ فمهما تعلم المتعلم من معجم المفردات اللسان الهدف ما أغناه ذلك عن الإصابة فيما يريد قوله؛ لأن استخدام المفردات منوط بالتركيب لتحقيق الغاية التواصلية؛ لذلك ف"المتعلمون محتاجون إلى تعلم المفردات في سياقاتها لمعرفة كيف تستعمل في الكلام...ولذلك فاكتساب مفردات جديدة مرتبط بقراءة النصوص أو بالاستماع إلى الوسائل السمعية لرؤية أو سماع هذه المفردات وهي في حالة عمل/ استعمال"[1]، ويبدو ربط المفردة واستعمالها بالسياق -بما له من أهمية- مبطنا لقضايا الدرس البلاغي العربي الذي ربط الفصاحة والبلاغة والبيان بمقولات "مراعاة الحال، والمقام، ومطابقة الكلام لمقتضى الحال"، وهي القضايا التي لم يغفل عنها ابن خلدون فجعلها مدار تعلم اللسان؛ يقول في توضيح عدم إمكانية الاستغناء عن السياق في تعليم اللسان: "اعلم أن اللغات كلها ملكات شبيهة بالصناعة، إذ هي ملكات في اللسان، للعبارة عن المعاني وجودتها وقصورها بحسب تمام الملكة أو نقصانها. وليس ذلك بالنظر إلى المفردات، وإنما هو بالنظر إلى التراكيب؛ فإذا حصلت الملكة التامة في تركيب الألفاظ المفردة، للتعبير بها عن المعاني المقصودة، ومراعاة التأليف الذي يطبق الكلام على مقتضى الحال، بلغ المتكلم حينئذ الغاية من إفادة مقصوده للسامع، وهذا هو معنى البلاغة"[2]. ولا يعلم بعد هذه الآراء من ابن خلدون وتلك الجهود من سيبويه وغيره ممن اهتم بالشاهد النحوي وسياقيه اللغوي والاجتماعي لماذا انتظر الدرس التعليمي العربي

---

(1) - Jeremy Harmer: The practice of English language teaching, Pearson, Longman, England, 4th edition, 2008, p229.

(2) ابن خلدون: المقدمة، ص574.

ما يقدمه الدرس الغربي كي يأخذ نتائج ومسلمات ونظريات تقود إلى التعلم المنشود للسان قررها علماء اللغة العرب القدامى منذ قرون خلت؟.

1-3 السياق ومفهوم الكفاءة التواصلية في تعليم الألسن من وجهة نظر تعليمية الألسن:

عارض اللساني الاجتماعي الأمريكي دل هايمز Dill Hymes مفهوم الكفاءة اللغوية التي قال به نوام تشومسكي Noam Chomsky واتهمها بالقصور؛ فالكفاءة اللغوية -التي جعلت تشومسكي يبحث في القواعد التوليدية فقدم قواعد تجريدية صورية واضحة ومنطقية عن نسقية اللسان- على أهميتها في نمذجة اللسان- تعالج حسب هايمز أشكال اللسان وليس مستواه الأعمق الذي يكشف عن كون الذاكرة والإدراك والفكر والمعنى والعاطفة تنتظم متكاملة ومتداخلة في البنية العليا للعقل البشري؛ وبذلك فهي عاجزة عن الإمساك بالجانب المراوغ من اللغة؛ جانب المعنى[1]؛ إنها حسبه تقتصر على ظاهر اللسان، بالرغم من محاولتها التعامل مع المعاني. ولأن نظرية تشومسكي تعزل اللسان عن مجتمعها ومحيط استخدامها فهي إذن غير شاملة لجوانبه المختلفة؛ وخاصة الظروف التي تتحكم في استخدامه الفعلي في المجتمع، ومن ثم عودة الاهتمام بالسياق الداخلي والسياق الخارجي واستثمارهما في تحقيق من أجل تمكن أمثل من اللسان الهدف.

فيما كان تشومسكي يبحث عما يكوّن القدرة أو الملكة اللغوية دعا دل هايمز زملاءه من اللغويين وعلماء الاجتماع والأنثروبولوجيا إلى البحث عن قواعد القدرة على التواصل أو ملكة التواصل التي تشمل القدرة اللغوية، ولكنها تتعداها إلى استخدام اللسان في المجتمع[2]؛ ومن ثم كانت الكفاءة اللغوية التي تحدث عنها

(1) دوجلاس براون: أسس تعلم اللغة وتعليمها، تر: عبد الراجحي وعلي علي أحمد شعبان، دار النهضة العربية، بيروت، 1994، ص41-42.

(2) نايف خرما وعلي حجاج: اللغات الأجنبية تعلمها تعليمها،، المجلس الوطني للثقافة والآداب والفنون، الكويت، 1988 ص39.

تشومسكي جزءا مما يكتسب أو يتعلم من السان؛ إنها قواعد تؤمن السلامة اللغوية ولكنها لا تؤمن التواصل الذي هو الوظيفة الرئيسة للسان؛ لأن "امتلاك النظام اللغوي وحده ليس كافيا لتحقيق أداء لغوي متوازن، بل بلا بد من امتلاك القدرة على استخدام اللغة في مواقف ملائمة ومناسبة"[(1)].

عوض هايمز الكفاءة اللغوية بالكفاءة التواصلية وهي عنده "ما يحتاج المتعلم إلى معرفته للتواصل بشكل فعال في السياقات الثقافية ذات مغزى"[(2)]. وكانت وظيفة السياق هي الوظيفة السابعة التي أضافها هايمز على وظائف جاكبسون المعروفة[(3)]. ومادام الهدف النهائي لتعلم اللسان هو استخدام أشكالها ورموزها في الاتصال فإن إتقان اللسان يتم بتحقيق وظائفه التواصلية.

وقد حددت الكفاءة التواصلية التي ينتظر من متعلم اللسان الوصول إلى امتلاكها بأربعة مكونات هي[(4)]:

- الكفاءة النحوية وتقابل الكفاءة اللغوية عند (تشومسكي)؛ وتشتمل المعرفة بالوحدات المعجمية وقواعد الصرف والتراكيب ودلالة الجملة والأصوات؛ أي أنها تعني السيطرة على الرمز اللساني.

---

(1) وليد أحمد العناتي: نهاد الموسى وتعليم اللغة العربية، رؤى منهجية، وزارة الثقافة، الأردن، 2005، ص94.

(2) Hymes. D et Gumperz. J: The ethnography of communication, American Anthropologist, vol 66, 1964, Washington, p25.

(3) Coste. D: Lecture et compétence de communication. Le Français dans le monde, n° 141, 1978, pp25-33.

(4) - Michael Canal and Merrill Swain: Theoretical bases of communicative approaches to second language teaching and testing, Applied linguistics 1, 1980 pp10-22.

- الكفاءة الخطابية؛ وهي كفاءة ربط الجمل لتكوين الخطاب ولتشكيل تراكيب ذات معنى في سلسلة متتابعة؛ وهي تفوق الكفاءة النحوية التي تركز على الجمل لتركيزها على ما بين الجمل من علاقات.
- الكفاءة اللغوية الاجتماعية؛ وتعني معرفة القواعد الاجتماعية والثقافية للسان وللخطاب، وهي تقتضي فهم السياق الاجتماعي الذي يستخدم فيه اللسان.
- الكفاءة الاستراتيجية وتعني ما يوظف من استراتيجيات لغوية وغير لغوية لتعويض النقص الذي ينشأ عن متغيرات الأداء أو عدم توافر الكفاءة؛ أي هي المقدرة على إصلاح ما يقال بمعالجة المعرفة الناقصة ومواصلة الخطاب بشرح العبارات أو بالدوران حول المعنى أو بالتكرار أو التردد أو التحاشي أو التخمين، أو تغيير اللهجة والأسلوب.

2-السياق في الأمثلة النحوية في كتاب سيبويه وأبعادها التواصلية والاجتماعية

قبل الخوض في الأمثلة النحوية التي ساقها سيبويه في الكتاب والبحث في سياقاتها اللغوية وما تحيل عليه من أبعاد تواصلية واجتماعية لها دورها غير المستغنى عنه في تعليم الألسن قد يكون من المنهجي توضيح مادة الدراسة التي هي المثال النحوي، وبذلك يجب التوضيح بأنه هناك فرق بين الشاهد اللغوي والمثال اللغوي؛ فالشاهد اللغوي الذي هو "ما يؤتى به من الكلام الفصيح ليشهد بصحة نسبة لفظ أو صيغة أو عبارة أو دلالة إلى العربية"[1]، يختلف عن المثال النحوي الذي هو "تركيب مصنوع يضعه النحاة تطبيقا لقاعدة نحوية ومثالا عليها"[2]؛ فالأول منهما يأخذه

---

(1) عبد الرزاق صالحي: الشاهد اللغوي في النقد والبلاغة، قضايا وظواهر ونماذج، عالم الكتب الحديث، الأردن، 2010، ص35.

(2) حسن خميس الملخ: رؤى لسانية في نظرية النحو العربي، دار الشروق للنشر والتوزيع، الأردن، ط1، 2007، ص144.

النحوي من المادة اللغوية المدونة في الكتب قرآنا أو حديثا أو شعرا أو نثرا، بينما الثاني فهو من صنع النحوي نفسه يركبه بما يراه مناسبا للقاعدة النحوية ليسهل فهمها على المتعلم، وهو بذلك لا يخرج فيه عن لسان عصره وما تقبله بيئته المتكلمة من أعراف كلامية وأخلاقية، ويبدو بذلك أكثر توضيحا لعلاقة اللسان بالمجتمع.

2-1السياق في أمثلة سيبويه في الكتاب وبعدها اللغوي (نمذجة اللسان):

حين يتأمل القارئ قائمة المواضيع التي يحتويها الكتاب بأجزائه يجد بأنها جميعا تقدم نماذج لقواعد اللسان العربي؛ فعناوين الأبواب المقدمة تمثل كيف يتم التكلم باللسان العربي وفق القواعد اللغوية التي تضمن السلامة اللغوية. ومن أمثلة ذلك في الجزء الأول[1]:

- هذا باب علم الكلم من العربية.
- هذا باب مجاري أواخر الكلم من العربية.
- هذا باب المسند والمسند إليه.
- هذا باب الاستقامة من الكلام والإحالة.
- هذا باب ما يكون من الأسماء صفة مفردا وليس بفاعل ولا صفة تشبه بالفاعل كالجنس وأشباهه.
- هذا باب الفاعل الذي لم يتعده فعله إلى مفعول والمفعول الذي لم يتعد إليه فعل فاعل ولم يتعده فعله إلى مفعول آخر.
- هذا باب الفاعل الذي يتعداه فعله إلى ثلاث مفعولين ولا يجوز لك أن تقتصر على مفعول منهم واحد دون الثلاثة.

---

[1] ينظر: سيبويه: الكتاب، ج1، ص12-41.

ومن الجزء الثاني عناوين من مثل[1]:

- هذا باب مجرى نعت المعرفة عليها.
- هذا باب بدل المعرفة من النكرة والنكرة من المعرفة وقطع المعرفة من المعرفة مبتدأة.

إن التمعن في العناوين السابقة يكشف كيف أن تصنيفها قائم على استنباط لقواعد اللسان مما هو موجود على ألسنة المتكلمين، ويبدو جليا أنها معاينة وصفية للسان الغرض من ورائها سوق النماذج اللغوية المعيارية التي يمكن لمتصفح الكتاب أن يعرف عن طريقها الضوابط اللغوية التي يحتكم إليها اللسان العربي لتمييز الخطأ فيها من الصواب؛ أي أنها نمذجة وتقييس للسان في قواعد جاهزة. ففي قوله في باب علم الكلم من العربية: "فالكلم: اسم، وفعل، وحرف جاء لمعنى ليس باسم ولا فعل. فالاسم: رجل، وفرس، و[حائط]. وأما الفعل فأمثلة أُخذت من لفظ أحداث الأسماء، وبُنِيت لما مضى، ولما يكون ولم يقع، وما هو كائن لم يَنقطع. فأما بناء ما مضى فذَهَبَ وسَمِعَ ومَكُث وحُمِدَ. وأما بناء ما لم يقع فإنه قولك آمرا: اذهَب واقتُلْ واضرِبْ، ومخبرا: [يَقْتُلُ و] يَذْهَبُ ويَضرِبُ ويُقْتَلُ ويُضرَبُ. وكذلك بناء ما لم ينقطع وهو كائن إذا أخبرتَ. فهذه الأمثلة التي أخذت من لفظ أحداث الأسماء، ولها أبنية كثيرة ستبين إن شاء الله. والأحداث نحو الضرب والحمد والقتل. وأما ما جاء لمعنى وليس باسم ولا فعل فنحو: ثم، وسوف، وواو القسم ولام الإضافة، ونحوها"[2]. واضح من هذا النص كيف أن سيبويه قد ذكر أقسام الكلم في وصف ما هو موجود في الواقع اللغوي لهذا الجزء من النظام اللغوي للسان العربي، وجعل للأقسام المساقة في هذا الباب أمثلة من هذا الواقع اللغوي أيضا؛ فقوله في الأسماء رجل وفرس وحائط، وفي الأفعال ذَهَبَ

---

(1) ينظر: سيبويه: الكتاب، ج2، ص5-18.

(2) المصدر نفسه، ج1، ص12.

وسَمِعَ ومَكُث وحُمِدَ، وفي الحروف ثم وسوف وواو القسم ولام الإضافة يمثل سيبويه بعناصر لغوية من الواقع اللغوي الذي يستعمل هذه الأقسام للكلم بهذا التمايز بين أنواعها، وهو في ذكره ذلك لم يضف شيئا مما هو من خارجية اللسان.

والملاحظة ذاتها يمكن تسجيلها في باب اللفظ للمعاني؛ حيث يقول: "اعلم أن من كلامهم اختلاف اللفظين لاختلاف المعنيين، واختلاف اللفظين والمعنى واحد، واتفاق اللفظين واختلاف المعنيين. وسترى ذلك إن شاء الله تعالى. فاختلاف اللفظين لاختلاف المعنيين هو نحو: جلس وذهب. واختلاف اللفظين والمعنى واحد نحو: ذهب وانطلق. واتفاق اللفظين والمعنى مختلف قولك: وجدت عليه من الموجدة، ووجدت إذا أردت وجدان الضالة. وأشباه هذا كثير"[1]. إن ابتداء سيبويه بقوله "اعلم في أن من كلامهم" خير دليل على ما يقدمه من نماذج مأخوذة من وصف لما تستعمله العرب في كلامها، يتضح ذلك أكثر في التقسيمات التي هي مطابقة للواقع اللغوي فيما يعد وصفا لسانيا محضا. والأمثلة المساقة في هذه التقسيمات تعد الدليل على كون قواعد سيبويه جاءت منتقاة من القوائم المعجمية التي يقدمها الواقع اللغوي، والفيصل في الاختلاف الواقع في هذه الألفاظ والمعاني هو السياق اللغوي الذي يجيز ويمنع استعمال إحداها مكان الأخرى في الكلام.

يقول سيبويه في "باب إجرائهم ذا وحده منزلة الذي": "وليس يكون كالذي إلا مع ما ومن في الاستفهام، فيكون ذا بمنزلة الذي ويكون ما حرف الاستفهام، وإجرائهم إياه مع ما بمنزلة اسم واحد. أما إجراؤهم ذا بمنزلة الذي فهو قولك: ماذا رأيت؟ فيقول: متاع حسن"[2]. إن ابتداء سيبويه بقوله "إجرائهم" دليل على أنه

(1) نفسه، ج1، ص24.

(2) سيبويه: الكتاب، ج2، ص416-417.

سيكون ناقلا في القاعدة التي يصفها ما يستعمله المتكلم العربي، كما سيكون كذلك في أمثلته؛ فذا في التركيب "ماذا" في كونها بمنزلة الذي لا تحدث في كلام العربي إلا في حال الاستفهام، وهي حال من الاستعمال اللغوي لهذا العنصر اللغوي، ولذلك كان قول سيبويه مسجلا هذه الحال بقوله "وليس يكون..." -مما يعني أنه لم يكن في كلام العرب منه شيء من ذلك- استثمارا آخر للسياق لفهم وظيفة العناصر اللغوية.

إن تكرار ورود الإحالة إلى الجماعة المتكلمة في القواعد التي يذكرها سيبويه من مثل قوله "من كلامهم، إجراؤهم، ليس يكون..." يجعل سيبويه أمينا في نقل الواقع اللغوي، ومعتمدا في توضيح السياق اللغوي على ما يثبته المتكلم العربي من توالي لعناصر الكلم. وهو الأمر الذي يجعل الأمثلة المساقة إلى جانب القاعدة اللغوية نمذجة للسان العربي وفق وصف لساني منطلق من اللسان ومن أجله فيما مكن عدّه مماثلة لما تنص عليه اللسانيات.

2-2السياق في أمثلة سيبويه وبعدها التواصلي (وظيفة اللسان).

كان البعد الوظيفي للألسن حاضرا في كتاب سيبويه كثيرا؛ فمعظم الوظائف النحوية التي جعلها للعناصر اللغوية بدءا من الكلمة وانتهاء بالتركيب لا يتوقف معها عند توضيح وظيفتها النحوية بل ينتقل فيها إلى بيان بعدها التواصلي عن طريق توضيح ما تقبله العرب منها وما ترفضه من كلام بالرغم من موافقته شكليا للقاعدة. في توضيحه لوظيفة العناصر اللغوية في الكلام يقول في بيان وظيفة المسند ووظيفة المسند: "وهما ما لا يغنى واحد منهما عن الآخر، ولا يجد المتكلم منه بدا. فمن ذلك الاسم المبتدأ والمبنى عليه. وهو قولك عبد الله أخوك: وهذا أخوك. ومثل ذلك: يذهب عبد الله، فلابد للفعل من الاسم كما لم يكن للاسم الأول بد من الآخر في الابتداء. ومما يكون بمنزلة الابتداء قولك: كان عبد الله منطلقا، وليت زيدا

منطلق، لأن هذا يحتاج إلى ما بعده كاحتياج المبتدأ إلى ما بعده"[1]. فهذا الوصف كما هو واضح يعتد بالسياق اللغوي الذي يربط بين العناصر اللغوية ويثبت وظيفتها ضمن التركيب، وهو سياق لغوي محض "وهما ما لا يغنى واحد منهما عن الآخر"، "هذا يحتاج إلى ما بعده كاحتياج المبتدأ إلى ما بعده"؛ فوظيفة الكلمات هنا تدعمها الوظيفة النحوية للمسند والمسند إليه التي يقدمها السياق اللغوي الخالص المحتكم إلى القاعدة النحوية "هذا يحتاج إلى ما بعده كاحتياج المبتدأ إلى ما بعده"، والأمثلة التي توضح ذلك عنده أمثلة تعكس هذه الوظيفة النحوية أكثر من أي شيء آخر على علاقة بالمعنى "كان عبد الله منطلقا/ ليت زيدا منطلق".

ويحدث أن يتضافر السياق اللغوي مع الوظيفة الدلالية بسبب الوظائف النحوية للعناصر اللغوية؛ مقدما قاعدة لغوية تخرج فيها السلامة اللغوية من مجرد الاعتداد بالسياق اللغوي وما يقره من ترتيب للعناصر اللغوية إلى الاعتداد بالوظيفة النحوية وما تقدمه من معنى؛ وقد مثل سيبويه على ذلك في باب اللفظ للمعاني فقال في اتفاق اللفظين والمعنى مختلف: "وجدت عليه من الموجدة، ووجدت إذا أردت وجدان الضالة. وأشباه هذا كثير"[2]. فوجدت الأولى فعل لازم تختلف عن وجدت الثانية المتعدية، ومن ثم يكون دلالة الأولى على الحزن المرتبطة أساسا بالسياق اللغوي المستحضر للعنصر اللغوي "عليه" محددة بالوظيفة النحوية للفعل وجد اللازم في هذه الحال وليس المتعدي.

ومن أمثلة تضافر الوظيفة النحوية مع القيمة البلاغية في تحديد السياق اللغوي قوله في باب الفاعل الذي يتعداه فعله إلى مفعول في أمثلة سيبويه قوله: " ذلك قولك: ضرب عبدُ الله زيدا. فعبد الله ارتفع ههنا كما ارتفع في ذهب، وشغلت

---

(1) المصدر نفسه، ج1، ص23.

(2) نفسه، ج1، ص24.

ضربَ به كما شغلت به ذهب، وانتصب زيد لأنه مفعول تعدى إليه فعل الفاعل. فإن قدمت المفعول وأخرت الفاعل جرى اللفظ كما جرى في الأول، وذلك قولك: ضرب زيدا عبد الله؛ لأنك إنما أردت به مؤخرا ما أردت به مقدما، وهو عربي جيد كثير، كأنهم [إنما] يقمون الذي بيانه أهم لهم وهم ببيانه أعنى، وإن كان جميعا يُهِمانهم ويعنيانهم"[1]. إن ظاهرة الاشتغال التي هي وظيفة نحوية كما هي واضحة في مثال "ضرب زيدا عبد الله" تعد في كلام العربي من العربي الجيد وذلك لقيمتها البلاغية، فالتقديم والتأخير اللذان هما ظاهرة لغوية يكتسبان قيمة في التواصل حسب مثال سيبويه بسبب القيمة المضافة القيمة البلاغية للتقديم والتأخير؛ إذ تعتد العربية حسب ما وضحه في هذا المثال بترتيب العناصر الكلامية لبيان أيها أهم في الرسالة الكلامية.

وحدث أن ركز سيبويه في القاعدة وفي المثال على البعد التواصلي لا على الوظيفة النحوية فحسب؛ فتكون بعض التراكيب عنده مرفوضة في كلام العرب بسبب دلالتها التي تخالف المراد منها، كقوله: "ومما ينتصب لأنه حال وقع فيه الفعل قولك: بعتُ الشاء شاة ودرهما، وقامرته درهما في درهم، وبعته داري ذراعا بدرهم، وبعت البر قفيزين بدرهم، وأخذت زكاة ماله درهما لكل أربعين درهما، وبينت له حسابه بابا بابا، وتصدقت بمالي درهما درهما. واعلم أن هذه الأشياء لا ينفرد منها شيء دون ما بعده، وذلك أنه لا يجوز أن تقول: كلمته فاه إلى فيّ، لأنك إنما تريد مشافهة، والمشافهة لا تكون إلا من اثنين"[2]. فالتركيب "كلمته فاه/ بايعته يدا "تركيب مرفوض في العربية حسب ما قرره سيبويه لمخالفته المعنى الذي يحمله العنصر اللغوي كلم/ بايع؛ حيث لا تقع المشافهة إلا بين اثنين وكذلك المبايعة، فيكون التوقف على تركيب تام العناصر من الناحية الشكلية "كلمته" مجازا ولكن

---

[1] سيبويه: الكتاب، ج1، ص34.
[2] المصدر نفسه، ج1، ص393-394.

متى ألحق به الحال فلا يجوز التوقف عنده لأنه تركيب تلازمي لا بد أن يوظف تام العناصر شكلا كي يتضح المعنى الدقيق مضمونا.

وقد ترفض بعض التراكيب في اللسان العربي حسب ما عاينه سيبويه لغياب قصد المتكلم ومراده فيؤدي إلى لبس تختل بسببه العملية التواصلية؛ وفي ذلك تركيز على السياق الخارجي وما فيه من إحالة على ضرورة ملاءمة السياق اللغوي لما ألفه المتكلمون في لسانهم من استعمالات، ويضرب سيبويه مثالا على ذلك فيقول: "لا يجوز أن تقول: بعت داري ذراعا، وأنت تريد بدرهم، فيرى المخاطب أن الدار كلها ذراع"[1]؛ فالمثال النحوي "بعت داري ذراعا" مرفوض حسب سيبويه لأنه فيه ايهام للمستمع بأن المتكلم يريد القول بأنه الدار كلها ذراع فيما يريد المتكلم أن يقول بأنه باع الذراع بدرهم.

وقد يكون التركيب صحيحا من الناحية النحوية ولكنه مرفوض في العرف اللغوي حسب ما يسوقه سيبويه من حالات؛ وذلك لأن السياق الخارجي للتركيب لا يطابق الاستعمال اللغوي المتعارف عليه؛ ومن أمثلة ذلك عنده قوله: "زعم الخليل رحمه الله أن قولهم: ربحت الدرهم درهما، محال، حتى تقول: في الدرهم وللدرهم، وكذلك وجدنا العرب تقول"[2]؛ فالجملة في سياقها اللغوي ربحت الدرهم درهما سليمة ولكنها في سياقها الخارجي غير مقبولة لأن العرب لم تتكلم على هذا النحو؛ ولذلك كان الاحتجاج على المتكلم الذي يقول: "فاحذف حرف الجر وانوه"[3]؛ أي ظنه بأن الجملة ربحت الدرهم درهما تماثل في الصحة جملة

---

(1) نفسه، ج1، ص394.
(2) سيبويه: الكتاب، ج1، ص395.
(3) المصدر نفسه، ج1، ص395.

ربحت في الدرهم درهما ظن خاطئ "لا يجوز ذلك كما لا تقول مررت أخاك وأنت تريد بأخيك، فإن قال: لا يجوز حذف الباء من هذا قيل له: فهذا لا يقال أيضا"[1].

إلى جانب ما تقدم يقف سيبويه في كتابه عند عدد من النماذج اللغوية التي تعكس وعيه بدور السياق الخارجي فيحلل النماذج والأمثلة في ضوء الظروف المحيطة بالمتكلمين؛ ففي باب ما تقوله العرب فيه ما أفعله وليس له فعل وإنما يحفظ هذا حفظا ولا يقاس: "قالوا: أحنك الشاتين وأحنك البعيرين، كما قالوا: آكل الشاتين؛ كأنهم قالوا: حنك ونحو ذلك. فإنما جاءوا بأفعل على نحو هذا وإن لم يتكلموا به"[2]. فالأمثلة المساقة تبدو غير موافقة للقاعدة اللغوية ولكنها في استعمال المتكلمين صحيحة، وهو ما جعله يصنفها في باب ما يحفظ حفظا ولا يقاس لمخالفته للقاعدة.

ويأخذ الاستعمال اللغوي أهمية في تحديد دور السياق الخارجي في قبول الكلام على منحى العرب في القول؛ بالنظر إلى المعنى الذي يريده المتكلم؛ فيقول في باب من النكرة يجرى مجرى ما فيه الألف واللام من المصادر والأسماء: "وذلك قولك: سلام عليك ولبيك، وخير بين يديك، وويل لك، وويح لك، وويس لك، وويلة لك، وعولة لك، وخير له، وشر له، و(لعنة الله على الظالمين)، فهذه الحروف كلها مبتدأة مبني عليها ما بعدها، والمعنى فيهن أنك ابتدأت شيئا قد ثبت عندك، ولست في حال حديثك تعمل في إثباتها وتزجيتها، وفيها ذلك المعنى...فإنما تجريها كما أجرت العرب، وتضعها المواضع التي وضعن فيها، ولا تدخلن فيها ما لم يدخلوا من الحروف"[3].

---

(1) نفسه، ج1، ص395.
(2) م ن، ج4، ص100.
(3) م ن، ج1، ص330.

يتضح وعي سيبويه بالسياق الخارجي أيضا فيما يقدمه من وظائف تداولية لأضرب الكلام، ففي باب الاستقامة من الكلام والإحالة يجعل للكلام خمسة أنواع هي في قوله: "فمنه مستقيم حسن، ومحال، ومستقيم كذب، ومستقيم قبيح، وما هو محال كذب"[1]، ويمثل على كل نوع على النحو الآتي[2]:

- المستقيم الحسن: أتيتك أمس وسآتيك غدا.
- المحال أن تنقض أول كلامك بآخره فتقول: أتيتك غدا، وسآتيك أمس.
- المستقيم الكذب: حملت الجبل، وشربت ماء البحر، ونحوه.
- المستقيم القبيح، أن تضع اللفظ في غير موضعه، نحو قولك: قد زيدا رأيت، وكي زيد يأتيك.
- المحال الكذب: سوف أشرب ماء البحر أمس.

وواضح كيف أن الأنواع الثلاثة؛ النوع الأول والثالث والرابع مقبولة من الناحية النحوية كما تفسره كلمة "المستقيم"، أي السياق اللغوي، لكن الأول منها يضيف عليها قبوله من الناحية الدلالية كما تفسره عبارة "الحسن" المحيلة على السياق الاجتماعي، فيما الثاني والثالث منها مرفوض فيها لعدم مطابقته لاستعمالات العرب في لسانهم المتداول، كما تفسره عبارتي "الكذب" و"القبيح" المحيلتين على السياق الخارجي وما فيه من دور للمتكلمين. وعلى عكسهما يرفض الثاني والخامس لاعتبارات متعلقة بالسياق اللغوي "المحال"في كليهما والسياقين اللغوي والاجتماعي في الأخير منهما "المحال الكذب".

إن سيبويه إذ يقدم لقواعده وأمثلته وحتى شواهده بعبارة من مثل "قولك"، و"قولهم" يبدو على وعي تام بأن اللسان في استقلاليته الشكلية لا يمكن أن يقدم

(1) سيبويه: الكتاب، ج1، ص25.

(2) المصدر نفسه، ج1، ص25-26.

النموذج اللغوي الأمثل، ولذلك كان يخرج من نظامية اللسان في النماذج المعطاة إلى السياق الخارجي لاسيما حين يحلل حذف العناصر من الجملة؛ فقد كان حذف أحد عناصر التركيب مبررا عنده إذا كان في السياق الخارجي ما يدل عليه يقول: "اعرف فيما ذكرت لك أن الفعل يجري في الأسماء على ثلاثة مجار: فعل مظهر لا يحسن إضماره، وفعل مضمر مستعمل إظهاره، وفعل مضمر متروك إظهاره. فأما الفعل الذي لا يحسن إضماره فإنه أن تنتهي إلى رجل لم يكن في ذكر ضرب ولم يخطر بباله، فتقول: زيدا. فلا بد من أن تقول له اضرب زيدا، وتقول له: قد ضربت زيدا. أو يكون موضعا يقبح أن يعرى من الفعل نحو أن وقد وما أشبه ذلك. وأما الموضع الذي يضمر فيه وإظهاره مستعمل، فنحو قولك: زيدا، لرجل في ذكر ضرب، تريد: اضرب زيدا"[1].

ولعل من أهم عناصر السياق الخارجي التي تسجل حضورها في الكتاب المتكلم الذي يوظف منه سيبويه عدة نماذج منها

2-3السياق في أمثلة سيبويه وبعدها الاجتماعي (صورة المجتمع العربي).

بتوظيف للسياقين الخارجي والداخلي في تحليل اللسان ووصفه يرسم سيبويه صورة للمجتمع العربي؛ فقد استطاع السياق اللغوي للأمثلة المساقة أن يقدم ملامح للمجتمع العربي لعل أبرزها:

- الملمح الاجتماعي ممثلا في القبائل العربية المكونة للجنس البشري؛ كقوله في باب هذا ما جرى من الأسماء التي لم تؤخذ من الفعل مجرى الأسماء التي أخذت من الفعل: "وذلك قولك: أتميميا مرة وقيسيا أخرى...وحدثنا بعض العرب، أن رجلا من بني أسد قال يوم جبلة واستقبله بعير أعور فتطير [منه]، فقال: يا بني أسد،

[1] نفسه، ج1، ص296-297.

أعور وذا ناب"[1]. فبعيدا على ما يحمله هذا الباب النحوي من قاعدة ومثال نحوي تظهر معالم المجتمع العربي في هذا السياق ممثلة في القبائل الثلاث تميم وقيس وبني أسد لتقول بأن المجتمع مجتمع قبلي.

وفي الكتاب أيضا ما يشير إلى سيطرة الفكر الذكوري على المجتمع العربي؛ وهي مما يعد ملمحا من ملامح المجتمع العربي التي يسوقها الكتاب في تحليل العينات اللغوية من ذلك قول سيبويه: "الأشياء كلها أصلها التذكير ثم تختص بعد، فكل مؤنث شيء، والشيء يذكر، فالتذكير أول وهو أشد تمكنا"[2]. ثم إن هذه الذكورة تكاد تغلب على أمثلة الكتاب التي يتكرر فيها ذكر زيد وعمر وعمرو وعبد الله في معظمها، ولعل ذلك راجع أيضا إلى كون المرأة في المجتمع العربي لا يشار إليها بالاسم حياء كما هو في القصص القرآن من مثل قصة حواء وآدم وملكة سبأ والملك سليمان والرسول وزوجاته.

– الملمح الديني مثلا في الدين الإسلامي الذي عكسته فضلا عن الشواهد القرآنية وشواهد من الحديث النبوي الشريف[3] أسماء الأعلام من مثل عبد الله؛ يقول في باب يكون المبتأ فيه مضمرا ويكون المبني عليه مظهرا "ذلكأنك رأيت صورة شخص فصار آية لك على معرفة الشخص فقلت: عبد الله"[4]. كما وظف عبارات دينية من مثل قوله رحمه الله وإن شاء الله[5]. ووظف أيضا أمثلة تدل على انتمائه الديني الإسلامي كقوله: " كقولك نهارك صائم وليلك قائم"[6]. وقوله أيضا: "ومثل ذلك: عائذا بالله من شرها، كأنه رأى شيئا يتقى فصار عند نفسه في

(1) سيبويه: الكتاب، ج1، ص343.
(2) المصدر نفسه، ج3، ص241.
(3) نفسه، ج1، ص336.
(4) م ن، ج1، ص130.
(5) ينظر: م ن، ج1، ص395.وص336
(6) م ن، ج1، ص337.



حال استعاذة"[1]. وكقوله أيضا: "ومنه أن ترى رجلا متوجها إلى الحج فتقول: مكة ورب الكعبة، أيك أراد ويريد مكة"[2].

– البيئة وهي في أمثلته تبدو بيئة بدوية رعوية ومن أمثلة ذلك قوله: "قالوا: أحنك الشاتين وأحنك البعيرين"[3]. فذكر الشياه والبعير من ملامح البيئة العربية البدوية، والأمر ذاته في استشهاده بمثل فيقول: "من ذلك قول العرب في مثل من أمثالهم: "اللهم ضبعا وذئبا" إذا كان يدعو بذلك على غنم رجل"[4].

3- حوصلة ونتائج

وعي سيبويه بالسياق بنوعيه اللغوي والخارجي كان واضحا أيضا؛ وقد كان السياق اللغوي متضافرا مع السياق الخارجي الذي استحضر عناصره من متكلم ومخاطب وظروف محيطة بهما.

كانت الغاية التعليمية التي وضع من أجلها سيبويه كتابه واضحة جدا؛ فقد كانت القواعد اللغوية المساقة كلها تقدم بأسلوب يخاطب فيه سيبويه المستمع أو القارئ المتخيل.

وظف سيبويه السياق بنوعيه الداخلي والخارجي موضحا فيها العلاقات السياقية المتنوعة والمتداخلة:

– ارتبط السياق اللغوي عنده بالسياق الخارجي حيث كان اختيار العناصر اللغوية عنده محتكما بدرجة أولى على اختيار الألفاظ المناسبة للمعنى المراد.

---

(1) م ن، ج1، ص341.
(2) م ن، ج1، ص257.
(3) سيبويه: الكتاب، ج4، ص100.
(4) المصدر نفسه، ج1، ص255.

- الوظائف النحوية جزء من الوظائف التواصلية إذ لا انفصال في التركيب بين بنيته الشكلية وبنيته العميقة التي هي الأصل في إقامة تواصل لغوي.

- ارتبط سياق الموقف عنده بالاستعمال اللغوي العربي، وارتبط أيضا بالمتكلمين وطبيعة العلاقة بينهم.

- البعد التواصلي كان أساسيا في تحديد التراكيب اللغوية وما تشتمل عليه من عناصر لغوية حيث كان المتكلم مطالبا بالابتعاد عن التراكيب التي تحتمل تعدد المعنى ومنه عدم اتفاق المستمع والمتكلم على معنى الرسالة اللغوية.

- تعدى السياق الخارجي الكشف عن البعد الاجتماعي للسان إلى الكشف عن البيئة المتكلمة نفسها وما فيها من ملامح مجتمعية وبيئية ودينية، مما يؤكد بأن اللسان لا يمكن عزله عن المجتمع المتكلم.

- الغاية التعليمية التي وضع من أجلها سيبويه كتابه واضحة جدا؛ فقد كانت القواعد اللغوية المساقة كلها تقدم بأسلوب يخاطب فيه سيبويه المستمع أو القارئ المتخيل، كما كانت تقدم في ربط بين السياقين اللغوي والخارجي في وعي من سيبويه بأن اللسان لا يمكن تعلمه بالتركيز على جوانيته وإهمال برانيته، التي استحضرها هو في أمثلته بتركيزه على السياق بنوعيه الداخلي والخارجي.

سيبويه وجمع التكسير

د. إغناثيو فيراندو، جامعة قادس إسبانيا

يعد جمع التكسير من أبرز الظواهر اللسانية التي تميز اللغة العربية عن غيرها من لغات العالم. ولا غرابة إذا فيما قدم لنا سيبويه من تعامل عميق مع هذه الظاهرة في الكتاب، حيث خصص لجمع التكسير بابا متميزا بعنوان "باب تكسير الواحد للجمع" يتضمن أكثر من ثمانين صفحة[1].

لن ندخل هنا في تفاصيل مسألة أصل جمع التكسير وحضوره في اللغات السامية، مع أنها مسألة مهمة جدا تطرق إليها العديد من الباحثين الغربيين ومنهم من يرى أن جمع التكسير

نشأ في اللغات السامية الجنوبية الغربية، أي، في العربية والحبشية والعربية الجنوبية كظاهرة لغوية حديثة لا مثيل لها في اللغات السامية الشمالية والشرقية، ومنهم من يرى أن جمع التكسير ظاهرة تعود إلى العصور السامية الأولى اختفت في اللغات الشمالية والشرقية وبقيت متداولة في اللغات السامية الجنوبية[2].

---

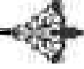
(1) سيبويه، الكتاب، تحقيق عبد الصلاح محمد هارون، دار الكتب العلمية، بيروت، 1988، الطبعة الثالثة، المجلد الثالث، ص. 567 – 650.

(2) انظر على سبيل المثال:

F. Corriente, *Problemática de la pluralidad en semítico: el plural fracto*, Consejo Superior de Investigaciones Científicas, Madrid, 1971.

Ratcliffe, *The broken plural problem in Arabic and comparative Semitic. Allomorphy and analogy in non-concatenative morphology*, John Benjamins, Amsterdam-Philadelphia, 1998.

I. Ferrando, “El plural fracto en semítico. Nuevas perspectivas”, Estudios de Dialectología Norteafricana y Andalusí (EDNA), 4 (1999), 7-23.



فمهما يكن من أمر، إنما يهمنا في هذا البحث مسألة أخرى لفت انتباه الباحثين وهي التنوع الواسع في أوزان جموع التكسير وطريقة سيبويه لمقاربتها. يتمثل التنوع المذكور في استعمال وزنين مختلفين أو أكثر من وزنين للتعبير عن جمع التكسير لمفرد معين. يكفي بإلقاء نظرة على المعاجم العربية لاكتشاف أن الكثير من الأسماء لها أكثر من جمع. على سبيل المثال، يجمع اسم "البحث" على الأبحاث والبحوث، ويجم اسم الجرح على الجراح والجروح، واسم الحمار على الحمير والحمر. وفي بعض الحالات توفر القواميس حتى ستة أوزان مختلفة لمفرد واحد، مثل اسم الفرخ الذي يجمع على أفرُخ وأفراخ وأفرِخة وفروخ وفراخ وفِرخان. يميل الباحثون المحدثون لتفسير هذا التنوع الصرفي الواسع إلى ذكر بعض العوامل التي أدت إلى ظهوره ومنها تنوع لغات العرب القديمة والتحولات الدلالية، مع تقديم إحصائيات وجداول غاية في التعقيد تجمع أوزان الجموع العديدة الواردة في العربية(1). إلا أن الدراسات الحديثة، ولا سيما من منها المكتوبة في الغرب وبلغات أجنبية، لم تول لأقوال سيبويه في هذا الخصوص ما يستحقه من الاهتمام. وغني عن القول أن قراءة متأنية لما يقوله إمام النحاة عن جمع التكسير في كتابه الشهير فيها إفادة بالغة لمقاربة مسألة التنوع في أوزان جموع التكسير من الداخل لا من الخارج. وهذا هو الغرض المقصود من هذا البحث: إبراز مركزية آراء سيبويه ومنهاجه عند معالجة مسألة جمع التكسير.

الملاحظة الأولى قد أشرنا إليها أعلاه، وهي أن عدد الصفحات المكرسة لتحليل أوزان جمع التكسير في كتاب سيبويه يتجاوز الثمانين صفحة وهو عدد كبير مقارنة

(1) انظر على وجه التحديد إحصائيات راتكليف في:

R. Ratcliffe, *The broken plural problem in Arabic and comparative Semitic. Allomorphy and analogy in non-concatenative morphology*, John Benjamins, Amsterdam-Philadelphia, 1998, p.75-76.



مع الصفحات التي خصصها النحاة الآخرين للمسألة نفسها حيث نرى أن هؤلاء يكتفون بتلخيص ما كتبه سيبويه دون أن يضيفوا إلا القليل جدا من الملاحظات والتعليقات الجديدة (1).

ينطلق سيبويه في عرضه عن جمع التكسير من صيغة المفرد لا من صيغة الجمع. ولا أدل على ذلك من العنوان الرئيسي الذي يتصدر العرض، وهو "هذا باب تكسير الواحد للجمع"، حيث يتضح أن الأساس في الدراسة هو الاسم المفرد الذي ينتج عن "تكسيره" اسم آخر في صيغة الجمع. يعني ذلك أن سيبويه لا يكتفي بتقديم قائمة أوزان جموع التكسير، بل يتعدى إلى أبعد من ذلك عبر التعمق في مسألة العلاقة الصرفية والصوتية بين وزن المفرد ووزن الجمع، وهي علاقة متينة يبينها سيبويه عبر قائمة مفصلة لكل أوزان الأسماء المفرد، ابتداء من ابسط الأوزان الثلاثية (فَعْل فَعَل فِعْل فُعْل) ووصولا إلى الأوزان الرباعية والخماسية (فَعال فِعال فاعل مفعل مفعال وهلم جرا). لكل مفرد يعطي سيبويه تفاصيل دقيقة عما يقابله من وزن جمع تكسير، مما يعني أن الفرضية التي ينطلق منها إمام النحاة هي أنه من الممكن صياغة الجمع من كل اسم مفرد استنادا إلى صيغة المفرد. وفي ذلك تناقض مع ما يتداول ذكره في الكثير من كتب النحو والقواعد سواء الغربية منها والعربية، أي، أن جمع التكسير ظاهرة معجمية محضة ولا يمكن تنبؤ صيغة الجمع اعتمادا على الأسس الصرفية ومن الضروري لمعرفة الجمع الاطلاع على القاموس (2).

(1) انظر على سبيل المثال لا الحصر الفراء، معاني القرآن، تحقيق أحمد يوسف نجاتي ومحمد على النجار، دار الكتب المصرية، القاهرة، 1980؛ المبرد، كتاب المقتضب، تحقيق محمد عبد الخالق، دار الكتب العلنية، القاهرة، 1966-1969، 4 مجلدات؛ الزمخشري، المفصل في علم اللغة، تحقيق محمد مجيد السعيد، دار الكتب العلمية، بيروت، 1990؛ ابن الأنباري، شرح ابن عقيل على ألفية ابن مالك، تحقيق قاسم شرف رقاعي، دار الكتب العلمية، بيروت، 1987،

(2) انظر على سبيل المثال:

Elsaid Badawi, M.G. Carter & Adrian Gully, *Modern Written Arabic. A comprehensive grammar*, Routledge, London-New York, 2007 (2nd ed.), p. 91

حيث يقول المؤلفون بالحرف الواحد: "لا يمكن تقييد مبادئ اختيار الوزن في مجموعة من القواعد، ←

وبرأينا يكون موقف سيبويه أقرب إلى حقيقة اللغة إذ أن معرفة وزن المفرد غالبا ما يسمح بمعرفة وزن الجمع إذا استثنينا بعض الأسماء التي تجمع على وزنين مختلفين متداولين في اللغة دون أن يكون بوسع المتحدث تمييز الوزن الشائع عن الوزن المهمل عبر تطبيق مبادئ القياس وهذا ما يلاحظ في وزن "فعل" الذي يجمع للدلالة على أكثر العدد على "فِعال" وفُعول". أما سائر الأوزان، فمن الممكن للناطق باللغة أن يستخرج الجمع من المفرد دون أن يرتكب إلا نسبة قليلة من الخطأ، استنادا إلى حسه اللغوي وجبلته. ولا ينطبق هذا بنفس الدرجة من السهولة والسلاسة على متعلم اللغة العربية من غير أبنائها إذ عليه في الكثير من الأحيان اللجوء إلى القاموس لمعرفة صيغة الجمع مما جعل الدارسين غير العرب يقولون في مصنفاتهم حول قواعد العربية إن جمع التكسير ظاهرة معجمية بحتة في حين أن العكس أقرب إلى الحقيقة في رأينا.

فيما يتعلق بالمسألة الرئيسية التي نود التطرق إليها في هذا البحث، أي التنوع في أوزان جمع التكسير ومقاربة سيبويه عند دراسة هذا الموضوع، فيجب ذكر أن العامل الأساسي الذي يحكم في اختيار صيغة معينة للجمع هو عدد الأفراد التي يتكون منها الجمع. فبناء على هذا العدد تقسم أوزان الجموع إلى أوزان جمع القلة التي تدل على عدد من ثلاثة إلى عشرة وأوزان جمع الكثرة التي تدل على كل عدد يتجاوز العشرة. فلنقتبس كلمات سيبويه عندما يفرق بين جمع القلة[1] وجمع الكثرة فيما يخص أول وزن يضعه في الحسبان، وهو وزن "فَعْل":

ومن الأفضل معالجة الجمع على اعتباره ظاهرة معجمية". النص الإنجليزي:

"The principles of selection of a given pattern cannot be reduced to a set of rules, and it is best to treat the plural as a lexical feature".

وانظر أيضا جورج متري عبد المسيح وهانئ جورج تابري، الخليل. معجم مصطلحات النحو العربي، مكتبة لبنان، 1990، ص.

(1) يلاحظ أن سيبويه لا يستعمل تعبير "جمع القلة" بل "أدنى العدد"، ويبدو أن أول من استخدم "جمع القلة" هو الزمخشري، المرجع السابق، ص. 227.



أما ما كان من الأسماء على ثلاثة أحرف وكان (فَعْلا) فإنك إذا ثلثته إلى أن تعشره فإن تكسيره (أفعُل)، وذلك قولك: كلب وأكلب وكعب وأكعب وفرخ وأفرخ ونسر وأنسر. وإذا جاوزت العدد فإن البناء قد يجيء على (فِعال) وعلى (فُعول)، وذلك قولك: كلاب وكباش وبغال. وأما الفعول، فنسور وبطون، وربما كانت فيه اللغتان فقالوا: فعول وفعال، وذلك قولهم: فروخ وفراخ وقعوب وقعاب وفحول وفحال[1].

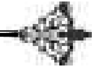
يتضح من هذا الاقتباس أن المعيار الأساسي الذي يقود سيبويه عند ذكر أوزان الجمع هو العدد الكبير أو القليل المراد من الجمع، فباختلاف العدد يختلف الوزن. ويجري سائر الأوزان نفس المجرى في عرض سيبويه، أي، تقسيم كل باب من أبواب الأسماء المفردة إلى قسمين منتظمين لا يكاد يخلو منهما باب: قسم جمع القلة[2] وقسم جمع الكثرة. فيما يلي نقدم جدولا بسيطا يتضمن أوزان جمع القلة وفقا لمعلومات سيبويه الواردة في الكتاب[3]:

المفرد	أوزان جمع القلة	أمثلة
فَعْل	أفعُل	أكلب، أفرخ
فَعَل، فَعِل، فِعَل، فَعُل، فُعُل	أفْعال	أجبال، أكتاف، أعناب، أعجاز، أعناق
فُعَل	فِعْلان، أفْعال	صردان، أرباع

(1) سيبويه، المرجع السابق، ص. 567.

(2) للمزيد من التفاصيل حول مفهوم جمع القلة ومقاربة هذه الظاهرة في كتاب سيبويه، انظر:
Ignacio Ferrando, "Sibawayhi y la noción de de *jamʿu l-qilla*", *Al-Qantara* 22, 2001, p. 271-297.

(3) لم ندرج في هذا الجدول بعض الأوزان الاستثنائية والنادرة التي يذكرها سيبويه ولا بعض التغيرات الصوتية الخفيفة التي تطرأ مجموعة من هذه الأوزان.



فِعِـل (شـاهد واحـد فقط)	أفْعال	آبال
فِعْل	أفْعال، فِعَلة، أفعُل	أحمال، قردة، أذؤب
فُعْل	أفْعال	أجناد
فَعْلة، فَعَلة	فَعَلات	جَمَرات، رَحَبات
فُعْلة	فُعُلات، فُعَلات	غُرُفات، غُرَفات
فِعْلة	فِعِـلات، فِعَـلات، فِعْلات، أفْعُل (نادر)	كِسِـرات، كِسَـرات، كِسْرات، أنعم
فِعـال، فَعـال، فُعـال، فَعيل، فَعول	أفْعِلة	أحمرة، أزمنة، أغربية، أرغفة، أخرفة
فُعْلـى (مـن غيـر اسـم التفضيل)	فُعْلَيات	حُبليات
فِعالـة، فَعالـة، فُعالـة، فَعولة	فِعـالات، فَعـالات، فُعالات، فَعولات	رسـالات، حمامـات، ذبابات، حلوبات

وإن دل هذا على شيء إنما يدل على أن جمع القلة كانت في أيام سيبويه ظاهرة أكثر انتشارا وشيوعا مما هي عليه في عربية العصر الحديث، كما يلاحظ في جمع كلب على وزن أكلب، من بين أمثلة أخرى كثيرة، وهو جمع تم إهماله تماما إذ أن اللغة العربية كغيرها من اللغات تتطور نحو ما هو أسهل، وذلك تفاديا من التعقيد اللغوي. ونتيجة لهذا التيار الطبيعي فإن جموع القلة التي لها حضور وقدرة وظيفية حقيقية باتت قليلة العدد وحتى نادرة، ومن أمثلتها القليلة الأشهر مقابل الشهور



والآلاف مقابل الألوف[1]، إلى درجة أن بعض اللغويين اقترحوا حذف التفريق بين جمع القلة وجمع الكثرة واعتبارهما بابا واحدا ومحو ظاهرة جمع القلة من كتب تعليم اللغة العربية، إذ أن "صيغ جمع التكسير جميعا مشتركة في الدلالة على القلة والكثرة بحيث تستعملان فيهما استعمالا واحدا، والسياق والقرينة هما اللذان يعيّنان الدلالة"[2].

صحيح أن باب جمع التكسير في كتاب سيبويه يحتوي على عدد لا بأس به من الاستثناءات التي تثبت القاعدة، وهي الحالات التي يقوم جمع القلة مقام جمع الكثرة أو بالعكس. على سبيل التوضيح، نقتبس هنا كلمات إمام النحاة فيما يخص أوزان الجموع المشتقة من الأسماء المفردة على وزن "فَعَل":

وربما جاء الأفعال يستغنى به أن يكسر الاسم على البناء الذي هو لأكثر العدد، فيستغنى بذلك البناء من العدد. وذلك نحو قتب وأقتاب ورسن وأرسان ونظير ذلك من باب الفَعْل الأكف والأرآد.

وصحيح أيضا أن بعض الأسماء يستحيل فيهما صياغة أكثر من جمع مما يحول دون أي تنوع فيها، مثل ما يجري على الأسماء الواقعة على وزن مفعل التي لا يجوز

---

(1) من المعروف أن بعض الجموع التي كانت في القديم من باب القلة تطور معناها بمرور الزمان وأصبحت تدل على دلالة تختلف عن دلالة صيغة الكثرة، وهذا ما يلاحظ في لفظة السهم الذي يجمع على سهام للدلالة على السلاح وعلى أسهم للدلالة على صك يمثل جزءا من رأسمال شركة، أو الوجه الذي يجمع على وجوه للدلالة على ما يواجهنا من الرأس وعلى أوجه بمعنى الجوانب أو العوامل. انظر للمزيد من التفاصيل في هذا الموضوع:

I. Ferrando, “The Plural of Paucity in Arabic and Its Actual Scope: On two claims by Sibawayhi and Al-Farraʾ”, *Perspectives on Arabic Linguistics XVI. Papers from the sixteenth annual symposium on Arabic linguistics, Cambridge, March 2002*.Edited by Sami Boudelaa. Cambridge University Press, 2006, p. 39-61.

(2) شوقي ضيف، تيسيرات لغوية، دار المعارف، القاهرة، 1990، ص. 56-64.



فيها إلا وزن واحد للجمع وهو مفاعل. كل ذلك صحيح، غير أن شمولية مقاربة سيبويه ودقته في ذكر الأمثلة وانتظامه في تقديم المادة اللغوية تجعلنا نثق بما يقدم لنا من وصف مفصل للجموع إذ أنه كان يعتمد في تسجيله اللساني على حقيقة لغة عصره وعصر ما قبله، لا عصرنا الحالي. فمن تنوع غير منظم جعل العلامة البصري نماذج مصنفة تصنيفا دقيقا.

سيبويه وأصالة النحو العربي
موقف المستشرق جيرار تروبو (G. Troupeau)

د. أحمد بوعود

أستاذ الفلسفة بجامعة عبد المالك السعدي –المغرب

مقدمة

اهتم المستشرقون بدراسة القرآن الكريم والسنة الشريفة، كما اهتموا بدراسة التراث الإسلامي بمختلف مجالاته. وعن هؤلاء يصدر كثير من الحداثيين العرب، ليتخذوا بذلك مواقف سلبية، بل عدائية، من التراث الإسلامي والوحيين. ولا تخرج اللغة العربية عن هذا، خاصة أنها لغة القرآن الكريم، شرفت بشرفه وشرف حمله، فكان الطعن فيها (نشأتها وأصولها...) طعنا في القرآن الكريم.. ولما فتح المسلمون شبه الجزيرة الإيبيرية في بداية القرن الثامن الميلادي بدأ تحول كبير يطرأ على مجتمع هذه البلاد في نواح دينية واجتماعية وثقافية، حيث اعتنق كثير من أهلها الإسلام. ولم يكد ينصرم القرن الثامن هذا حتى تأسست في إسبانيا دولة دينها الإسلام ولغتها العربية. من هنا بدأ الاهتمام بدراسة اللغة العربية كما بدأ الاهتمام بالقرآن الكريم والسنة النبوية ترجمة ودراسة.

والحديث عن اللغة العربية هو حديث مباشر عن "قرآن النحو" الذي خلفه سيبويه منذ أزيد من ألف سنة وشكل لبنات الفكر اللغوي. هذا الكتاب كان ثمرة من ثمار الصحبة الطيبة لأستاذه الخليل بن أحمد الفراهيدي. ومن اهتمام المستشرقين بالنحو العربي عامة، وكتاب سيبويه خاصة، صدور الطبعة الأولى منه

على يد المستشرق الفرنسي هرتويغ درنبورغ (توفي عام 1908) Hartuig Derenbourg. ولقيمة كتاب سيبويه تعدد شروحاته وتنوعت.

وقد ذهب بعض المستشرقين، منهم ميركس ودي بور وفرستيغ، إلى أن النحو العربي تأثر بالمنطق والنحو اليونانيين واقتبس مفاهيمهما ومصطلحاتهما، كما نزع هذا المنزع بعض المفكرين العرب كإبراهيم مدكور.

لكن في المقابل، نجد من المستشرقين من يؤكد أصالة النحو العربي وأصالة ما أنتجه سيبويه، وعلى رأسهم الإنجليزي مايكل كارتر والفرنسي جيرار تروبو.

فما هي مرتكزات القائلين بأطروحة التأثير اليوناني؟ وما موقف تروبو منها ؟ وهل فعلا اقتبس سيبويه مصطلحات النحو ومفاهيمه من العلم اليوناني ومنطق أرسطو؟ وإلى أي حد يمكن التسليم بأصالة النحو العربي؟

هدف البحث:

إن الهدف الرئيس من هذا البحث هو الإجابة عن هذه الأسئلة، وذلك من خلال دراسة موقف المستشرق الفرنسي جيرار تروبو من كتاب سيبويه، لاستخلاص تصور عام عن مدى أصالة النحو العربي.

منهج البحث:

والإجابة عن هذه الأسئلة وتحقيق هدف هذه الدراسة يتطلبان سلوك منهج ذي بعدين:

- بعد تحليلي: وصف مواقف المستشرقين وتحليلها، مع بيان مرتكزاتها، وأيضا وصف موقف تروبو من كتاب سيبويه وربطه بأصوله المعرفية.

- بعد نقدي: نقد مختلف الآراء والمواقف استنادا إلى حججها وأصولها المعرفية التي بنيت عليها.



كما أنني سعيت جهد الإمكان إلى توثيق النصوص التي أتى بها كل باحث والرجوع إلى مظانها للتأكد منها ومن دلالتها.

خطة البحث:

أما خطة البحث التي تم اتباعها لتحقيق هذا الهدف فهي كالتالي:

مقدمة (تبين أهمية البحث وقيمته وأهدافه ومنهجه وخطته).

المبحث الأول: أطروحة التأثير اليوناني في النحو العربي: عرض وتحليل.

1 – أطروحة ميركس.

2 – أطروحة دي بور.

3 – أطروحة إبراهيم مدكور.

4 – أطروحة فرستيغ.

المبحث الثاني: تروبو ونقد التأثير اليوناني في النحو العربي من خلال كتاب سيبويه.

1 – تروبو والدراسات الاستشراقية للنحو العربي.

2 – دعوى تقسيم الكلام.

3 – دعوى الإعراب والصرف والتصريف والكلمة.

4 – دعوى التأثير اليوناني من الناحية التاريخية.

5 – دعوى التأثير اليوناني من الناحية المنهاجية.

خاتمة تتضمن أهم النتائج و التوصيات.

المبحث الأول: أطروحة التأثير اليوناني في النحو العربي: عرض وتحليل

ذهب كثيرون إلى أن النحو العربي تأثر بالمنطق اليوناني الأرسطي وبالنحو اليوناني في وضع قواعده. ويعتبر المستشرقون ميركس ودي بور وفرستيغ أبرزَ القائلين بهذه الأطروحة. كما ذهب إلى ذلك من العرب إبراهيم مدكور. وتشير أغلب المصادر إلى أن أطروحة التأثير اليوناني ظهرت أول مرة على يد الألماني ميركس، وإن كان هناك من ينسب ظهورها إلى ما قبل ميركس بحجة أن المستشرق الإنجليزي كارتر ذكر "أن المستشرق الألماني إفالد نفى عام 1830 ما كان شائعا وقته من تأثير للفكر اليوناني في النحو العربي..."(1) لكن لا دليل على ذلك يمكننا الاستناد إليه. من هنا، فإنه لا مناص من بحث أطروحة التأثير اليوناني، كما بناها الألماني ميركس ثم بحث صداها عند بعض اللاحقين.

1- أطروحة ميركس

يعتبر اللاهوتي والمستشرق الألماني أدالبير ميركس (توفي عام 1909) Adalbert Merx مؤرخَ قواعد اللغات السامية، وينتمي إلى أواخر القرن التاسع عشر الميلادي. وقد تعرض للنحو العربي من خلال كتاب سيبويه في بحث ألقاه بمعهد مصر عام 1891 بعنوان: أصل النحو العربي.

ينطلق ميركس من فكرتين مؤسستين قبل أن يعرض أطروحته:

الأولى: إن المؤلفين العرب الذين انشغلوا بتاريخ الدراسات الفيلولوجية وجدوا أنفسهم يوما ما أمام مسألة توضيح أصل الفيلولوجيا العربية، وعليهم أن يتساءلوا عن أي حقبة بدأ العرب بإنشاء نظام نحوهم: من هم أساتذتهم؟ ومن كان كتابهم

---

(1) عبد المنعم السيد أحمد جدامي، المستشرقون والتراث النحوي العربي، (كنوز المعرفة،عمان، ط 1، 2016) ص 26.

الأوائل الذين وضعوا الأسس التي عليها بنت الأجيال اللاحقة النحو الذي لم يغيروه أبدا ولم يتراجعوا عنه أمام الصعوبات؟

لقد فعلوا كل شيء من أجل تجاوز هذه الصعوبات، "وإذا لم يكونوا قد وصلوا إلى الهدف الذي وضعوه فلأنهم كانوا يفتقدون إلى الروح النقدية وفي الوقت ذاته إلى المعارف التاريخية اللازمة ليصلوا بعملهم إلى نهاية حسنة. نحن مدينون لهم بالمواد التي جمعوها ووضعوها رهن أبحاثنا النقدية..."(1) وتجدر الإشارة هنا إلى أن الذين اشتغلوا من العرب بتاريخ الدراسات الفيلولوجية لم يكونوا مؤرخين، ولم يعرفوا كيف يتساءلون جيدا عن أصل النحو العربي.

الثانية: وهذه الفكرة تعتبر بديهية بالنسبة لميركس، ومفادها أن كل نحو يتأسس على الفلسفة والمنطق. فكيف ذلك ؟

يجيب ميركس بأن معرفة أجزاء اللغة، وأبنية الكلام واشتقاقاته، والأعضاء المكونة للجملة البسيطة، إنما كانت نتيجة تحليل فلسفي. ويبرر ذلك بأن "الفلاسفة الرواقيين هم الذين قاموا بتحليل منطق اللغة، نتائج هذا التحليل مبثوثة في تعريفات الأصناف النحوية. وهذا المبدأ لم يعرفه العرب الذين يجهلون قيام النحو على المنطق، وذلك ليس لكون النحو لم يوجد قبل الفلسفة، ولكن أيضا عقليا، لأن مصنفات الواحدة مؤسسة في الأخرى"(2). ويسوق ميركس هنا مثال ابن خلدون الذي لم يستطع أن يفهم شيئا بخصوص أصل النظام النحوي العربي. لقد كان بحث أصول النحو بعيدا عن إدراكه، وبقدرته العادية كان يعرف بأن حاجات المدارس والدروس الفقهية التي تهتم بتفسير القرآن الكريم والحديث الشريف،

---

(1) - Adalbert Merx, *L'origine de la grammaire Arabe*, in Bulletin de l'institut Arabe, Troisième Série n2 Année 1891 (Imprimerie nationale, Le Caire 1892) p. 14.

(2) - Ibid. p.16.

هي التي أعطت الانطلاقة لبحوث النحو العربي، ولكنه لم يعرف بأن وضع الخطوط الأولى لا بد له من المنطق والمعارف الفلسفية.

من هنا، فإن النحو، تأسس في زعمه على المنطق، وبالتالي فالنحو العربي لم يكن له إلا منطق أرسطو مصدرَ إلهام وأنموذجا. وهذه الأطروحة ستكون مرتكز جميع اللاحقين الذين لم يروا أصل النحو العربي في النحو اليوناني ولا حتى في المنطق الرواقي، ولكن في المنطق الأرسطي تحديدا.

ويتوقف ميركس مع ابن النديم في كتابه الفهرست الذي يتناول النحويين الأوائل، حيث هناك أسماء المؤلفين مع معلومات قليلة عن سيرهم الذاتية وعناوين أعمالهم، كما نجد معلومات عن انقسام النحويين إلى مدرستي البصرة والكوفة. ورغم أهمية عمل ابن النديم فإن ميركس يأسف لسكوت صاحب الفهرست سكوتا مطلقا عن المصادر التي ارتكز عليها النحويون الأوائل.

ثم يعود إلى ابن خلدون الذي جاء بعد ابن النديم بحوالي خمسة قرون، ويصفه ميركس بالعقل الأكثر فلسفة في الأدب العربي. لقد ضمن ابن خلدون سفره الضخم "المقدمة" بعض تأملاته حول الدراسات النحوية. وهو حسب ميركس الأول "الذي سخر من حماقات النحويين وتصنيفهم الخطأ"[1]... وإلى ابن خلدون يرجع الفضل في المعلومة المهمة التي تفيد أن النحويين الأوائل كانوا فرسا وليس عربا. وهذه المعلومة تلقفها أيضا حاجي خليفة لاحقا.

إن قيمة هذه المعلومة تسمح لميركس باستنتاج أن هناك تأثيرا تسرب إلى النحو العربي على يد هؤلاء بحكم درايتهم بالفلسفة اليونانية واطلاعهم على المنطق اليوناني خاصة، والثقافة اليونانية عامة.

(1) لم أجد في مقدمة ابن خلدون ما يفيد هذا المعنى.



ويتوقف ميركس مع السيوطي، الذي جاء بعد نصف قرن من ابن خلدون، حيث يجد في كتابه المزهر معلومة ذات فائدة عظمى في فلسفة اللغة، وتتلخص في كون الأبحاث في الفلسفات اليونانية استمرت وتواصلا على يد العلماء العرب؛ حيث منهم من يزعم أن أصل اللغة إلهام إلهي، بينما يرى الآخرون أن أصل اللغة إنساني واتفاقي.

إن المؤلفين العرب، في نظر ميركس، لم يدركوا أبدا أن العمل الأساس الذي بدونه يستحيل تكوين نحو أي لغة هو اكتشاف أجزاء اللغة؛ إنهم يجهلون كون النحو يرتكز على المنطق. وللحصول على معرفة مؤكدة لأصول النحو يجب دراسة الأعمال النحوية التي تنتمي إلى النصف الثاني من القرن الثاني الهجري، وقبل كل شيء، كتاب سيبويه. وهذا ما قام به ميركس فخلص إلى ما يلي:

- يلاحظ ميركس على سيبويه نقصا في التنظيم والوضوح، ولكن مع هذا هناك مادة جمعها وأطرها ضمن فكرة عامة.

- كل نظرية الاشتقاق والإعراب المتعلقة بالفعل والاسم موجودة في الكتاب، ولكن بطريقة تبدو غير معقولة للدارسين الذين لا يمتلكون اللغة.

- يتناول سيبويه ملاحظات تركيبية، لكن هذه أيضا "لم ترتب وفق نظام منطقي". وهنا نتساءل: كيف لسيبويه يقتبس من الثقافة المنطقية ولم يستطع الترتيب وفق نظام منطقي؟

- وما هو أكثر مفاجأة حسب ميركس هو "نقص شبه كامل للتعريفات، ويمكن تبرير هذا بأن الأصناف النحوية كانت معروفة بشكل ما لدى كل الدارسين.

- يقسم سيبويه عناصر اللغة إلى ثلاثة أجزاء: الاسم، الفعل، الحرف. وهذا هو تقسيم أرسطو التام والمتقدم عند النحويين الإغريق. وهذا يجب أن يقود إلى فكرة

مفادها أن الأصناف النحوية تم اقتراضها من الفلسفة المشائية، لكن هذه الدراسات لم تزدهر عند العرب قبل القرن الثامن الميلادي، أي بعد حقبة هؤلاء النحويين.

- بعد أن اقترح سيبويه تسمية أجزاء اللغة: الاسم والفعل من غير أن يعطي تعريفا لهما، تحدث عن الحرف. هنا فقط نجده يعطي تعريفا، حيث يقول معرفا الحرف: "فالكلم اسم، وفعل، وحرف جاء لمعنى ليس باسم ولا فعل".

إن تعريف سيبويه للحرف بأنه "ليس له معنى في ذاته"[1] إنما هو تعريف أرسطو، فالحرف عنده لا معنى له.

هناك أصناف نحوية أخرى تنتمي إلى نفس المصدر، أي المنطق اليوناني، ومن أجل اشتقاقات الاسم وتصريف الفعل، فإنه ليس للغة العربية إلا كلمة "صرف". إن النحويين الإغريق ميزوا الاشتقاق عن الصرف، والنحويون السوريون ترجموا الصرف (تصريف الفعل) بالتركيب، بينما النحويون العرب، تبعا لأرسطو، يتحدثون عن تصريف الاسم وتصريف الفعل. إنهم يجهلون الدلالة الحقيقية لكلمة "تصريف" بمعنى الاشتقاق.

- إن أرسطو ليس له مفهوم الفاعل sujet في المعنى النحوي، ولكن نجد عنده مفهوم المسند، أو الخبر. كذلك العرب لا يوجد لديهم مفهوم الفاعل النحوي، ولكن لديهم الخبر، وهذا ليس إلا ترجمة من اليونانية... كل هذه المفاهيم، حسب ميركس، موجودة في الكتابات المنطقية لأرسطو.

- من أجل شرح مختلف أنواع الاسم، والفعل خاصة، استعان العرب بفكرة الجنس/ النوع. لقد كانوا يفتقرون في لغتهم -كما في اللغات السامية- إلى كلمة

(1) يقارَن هذا الكلام بتعريف سيبويه السابق للحرف "... وحرف جاء لمعنى".



للدلالة على الجنس. وهذه وجهة نظر أخرى تدعو إلى اعتبار ما تم اقتراضه من العلم اليوناني.

- "إن الإعراب ليس سوى تحويل للفظ اليوناني وتطبيقه لحاجيات النحويين العرب. إنه، كما في اليونانية، هو التعبير بشكل سليم فيما يتعلق بالاستعمال المنطقي للأجناس والأعداد، ونضيف الحال فيما يرتبط بالفاعل، والخبر والنظام. ونفس الشيء في العربية، فالإعراب معرفة الاستعمال المنطقي لأواخر الاسم والفعل"[1].

- في العربية الفعل ليس إلا ماض ومضارعا، لقد كان مستحيلا بالنسبة إلى النحويين العرب تمييز الأزمنة الثلاثة: الحاضر، الماضي، المستقبل، ومن أجل ملء الفراغ في لغتهم فقد أدخلوا الأمر وذلك ليملؤوا "حاضر" اليونانيين. يقول سيبويه: "وأما الفعل فأمثلة أخذت من لفظ أحداث الأسماء وبنيت لما مضى، ولما يكون ولم يقع، وما هو كائن لم يقع.

فأما بناء ما مضى فذهب وسمع ومكث وحُمِد. وأما بناء ما لم يقع فإنه قولك آمرا: اذهب، واقتل، واضرب، ومخبرا: يقتل ويذهب ويضرب ويُقتَل ويُضرَب، وكذلك بناء ما لم ينقطع وهو كائن إذا أخبرت"[2].

هذه أهم ما بنى عليه ميركس أطروحته، وسنعود في المبحث الثاني مع جيرار تروبو لمناقشة هذه المرتكزات مع قضايا أخرى وبحث وجاهتها للحكم على مدى أصالة النحو العربي وأصالة ما أنتجه سيبويه. ولكن قبل ذلك لا بد من إشارة منهجية بخصوص الاقتباس من المنطق اليوناني.

---

(1) - Ibid. p. 28.

(2) أبو بشر عمرو بن عثمان بن قنبر (سيبويه)، الكتاب، تحقيق عبد السلام محمد هارون، (مكتبة الخانجي، القاهرة، ط 2، 1408-1988)، 1/ 12.

يعرف الجرجاني المنطق بأنه "آلة قانونية تعصم مراعاتها الذهن عن الخطأ في الفكر، فهو علم عملي آلي"[1]. وما دام الأمر مرتبطا بحفظ الذهن من الخطأ في الفكر وبترتيب هذا الفكر فإنه ولا شك أمر تجتمع حوله العقول البشرية أيا كان نوعها؛ ذلك أنه "ما كان بديهيا فهو بديهي بالنسبة لجميع العقول"[2]. وهذا ما يؤكده تمام حسان عند دحضه لأطروحة تأثير المنطق اليواني في النحو العربي قائلا: "إن للعقل قوانينه الأساسية البديهية التي لا تحتاج إلى برهان على صدقها لأنها ضرورية، فليست هذه البديهيات من عمل العقل ولكنها من بنية العقل ومن تركيبه. فإذا نظرنا مثلا إلى قانون الهوية الذي يقضي بأن الشيء هو هو وجدنا أن المرء لا يفتقر على منهج أرسطو ليعرف أن يده هي يده... فلا ينبغي أن ننسب ذلك إلى أثر المنطق اليوناني على النحو العربي لأن الشيء هو وما في معناه يجمع بينهما قانون الهوية وهو من البديهيات..."[3]

من هنا نتساءل: هل يصح القول باقتباس شيء من ثقافة أخرى فقط لمجرد تشابه اصطلاحي أو قواعدي؟

2- أطروحة دي بور

تخصص المستشرق الهولندي ت. ج. دي بور Tjitze de Boer(1942) في الفلسفة الإسلامية وكتب في ذلك كتاب تاريخ الفلسفة في الإسلام، وفي الباب الثاني، من هذا الكتاب، المتعلق بالفلسفة والعلوم العربية تحدث دي بور عن تأثير الفلسفة اليونانية في علوم اللغة حيث يقول: "وقد أثر منطق أرسطو في علوم اللسان التي لم

(1) علي الجرجاني، التعريفات، دار الكتب العلمية، بيروت، لبنان، ط1، 1403-1983) 232.
(2) ينظر باروخ اسبينوزا، علم الأخلاق، ترجمة جلال الدين سعيد، (دار الجنوب للنشر، تونس، د. ت) ص 143.
(3) تمام حسان، الأصول.. دراسة إبستيمولوجية للفكر اللغزي عند العرب (النحو-فقه اللغة- البلاغة) (عالم الكتب، القاهرة، 2000) ص 47.

يكن شأنها جمع الشواهد والمترادفات ونحوها، لأن هذه تتقيد بالموضوعات التي تعالجها. على أن السريان والفرس كانوا قبل العصر الإسلامي قد درسوا كتاب العبارة لأرسطو مع إضافات ترجع إلى الرواقيين وإلى المذهب الأفلاطوني الجديد"[1].

ويجد دي بور مبررا لهذا التأثير في ابن المقفع الذي كان في أول الأمر صديقا للخليل بن أحمد الفراهيدي أستاذ سيبويه، ويسر للعرب الاطلاع على ما كان في اللغة الفهلوية من أبحاث لغوية ومنطقية. وهذا ما جعل العرب في نظره يحصرون الجمل في أنواع خمسة حينا وثمانية أو تسعة حينا آخر، كما حصروا أقسام الكلمة الثلاثة الاسم والفعل والحرف.

هذا ما نجده عند دي بور، ويبدو أنها أحكام لم يقم عليها أي دليل، حيث لا نجد تفصيلا أكثر لموقفه هذا ولا تأسيسا له، وإن كان يلتقي إجمالا مع ما ذهب إليه ميركس.

3- أطروحة إبراهيم مدكور

يعتبر عالمُ اللغة والباحثُ في الفلسفة وأحدُ رؤساء مجمع اللغة العربية الدكتور إبراهيم بيومي مدكور (توفي عام 1996) أبرزَ المرددين لأطروحة تأثير المنطق اليوناني في النحو العربي، وذلك في بحثه منطق أرسطو والنحو العربي الذي نشره بمجلة مجمع اللغة العربية بالقاهرة عام 1953.

يذكر إبراهيم مدكور قارئه بأهمية النحو العربي ووظيفته في فهم القرآن والشرع، لكنه يرى أن هناك جوانب مازالت غامضة، أخصها ما اتصل بنشأته والعوامل التي أثرت في تكوينه، وهذه العوامل كثيرة ومتنوعة، داخلية وخارجية، عربية وأجنبية.

---

(1) ت. ج. دي بور، تاريخ الفلسفة في الإسلام، ترجمة محمد عبد الهادي أبو ريدة (الهيئة المصرية العامة للكتاب، القاهرة، ط2، 2010) ص 63.

وهكذا يرى أن تأثير منطق أرسطو لم يقف عند الفقه والكلام والفلسفة، بل امتد إلى دراسات أخرى من بينها النحو. يقول: "وقد أثر فيه المنطق الأرسطي من جانبين: أحدهما موضوعي، والآخر منهجي. فتأثر النحو العربي عن قرب أو عن بعد بما ورد على لسان أرسطو في كتبه المنطقية من قواعد نحوية، وأريد بالقياس النحوي أن يحدد ويوضح على نحو ما حدد القياس المنطقي"(1). ويبرر ذلك بأن منطق أرسطو قد اشتمل على مبادئ نحوية، ويحيل هنا إلى كتاب المقولات لأرسطو حيث يعرض الألفاظ، وكتاب العبارة حيث يعرض للجمل ويفصل القول فيها، دون اقتباس شيء منهما.

وهكذا ينطلق إبراهيم مدكور لعقد مقارنة بين منطق أرسطو ونحو سيبويه، نقتطف منها ما يلي:

أولا: يقسم أرسطو الكلمة إلى اسم وفعل، معرفا الأول بأنه ما دل على معنى وليس الزمن جزءا منه، ومعرفا الثاني بأنه ما دل على معنى وعلى زمن، كما يشير أرسطو إلى قسم ثالث من أقسام الكلمة ويسميه الأداة. هذا من جهة.

من جهة أخرى، "يقسم سيبويه الكلم إلى اسم وفعل وحرف ويعرف الواحدة تعريفا يحاكي من بعض الجوانب التعريف الأرسطي"(2). وهنا يستغرب مدكور مما يسميه سيبويه حرفا يسميه الكوفيون الأداة(3).

ثانيا: عرض أرسطو بإسهاب لنظرية الإسناد في كتابي المقولات والعبارة؛ ففي الأول يحاول أن يحصر أنواع المحمولات العامة الممكنة، وفي الثاني يوضح الصلة بين المحمول والموضوع ويعرف الجملة التعريف النحوي الصحيح.

(1) إبراهيم مدكور، منطق أرسطو والنحو العربي، في مجلة مجمع اللغة العربية بالقاهرة (مطبعة وزارة المعارف العمومية، القاهرة، 1953) الجزء السابع، ص 339.
(2) رأينا مع ميركس أن سيبويه لم يعرف الاسم ولا الفعل، بل عرف الحرف فقط.
(3) نفسه ص 340.



ومن جهة أخرى، يتحدث سيبويه عن المسند والمسند إليه، وفي مكان آخر يعقد الفصل الآتي "والمبتدأ والمبني عليه"، "وكأنه يريد أن يقول الموضوع والمحمول عليه... وواضح أن الإسناد دعامة كل نحو عربيا كان أو غير عربي".[1]

ويبرز إبراهيم مدكور قيمة عبد الله بن المقفع في الترجمة عن الفارسية وابنه محمد عن السريانية. لكنه لا ينسى أن يذكر القارئ بأنه لا يضر النحو العربي في شيء أن تتضافر عوامل شتى على تكوينه، أو أن يسهم منطق أرسطو في التوجيه إليه. وهنا يلتقي إبراهيم مدكور مع دي بور وغيره من المستشرقين الذين يؤكدون دور عبد الله بن المقفع في التأثير اليوناني.

4- أطروحة فرستيغ

في عام 1977 نال اللغوي والمستعرب الهولندي كيس فرستيغ (ولد عام 1947) Kees Versteegh[2] شهادة الدكتوراه في موضوع التأثير اليوناني على العربية. وقد استفاد فرستيغ من جهود السابقين في الموضوع فطوّر بذلك أطروحة التأثير اليوناني في النحو العربي، ويذهب إلى أن النحو العربي تأثر ابتداء بالنحو اليوناني، وليس بالمنطق اليوناني، كما ذهب إليك ميركس ودي بور، فكيف ذلك؟

يلفت فرستيغ انتباه قارئه إلى أمر يعتبره ذا دلالة وجديرا بالاعتبار وهو أن الأدوات اليونانية بقيت متاحة في الدول الإسلامية، وإلى غاية حكم عبد الملك بن مروان (685/ 66-705/ 87) كانت اليونانية هي لغة الإدارة والديوان بدمشق. وهذا يعني من دون شك أن هناك أناسا درسوا اليونانية وقواعد نحوها التي تشكلت من خلال مؤلفين عدة بدءا من ديونيسيوس ثراكس Dionysios Thrax.[3] من

---

(1) نفسه.

(2) ويعرف أيضا ب Comeils Henricus Maria (C. H. M) Versteegh

(3) يعتبر حلقة مهمة في أطروحة القائلين بالتأثير اليوناني في النحو العربي.

هنـا يؤكـد أن " تـراث النحـو اليونـاني المصـدر الوحيـد للمعرفـة والدراسـة النحـويتين"[1]. وهـذا مـا أيـده المستشـرق البلجيكـي إدوارد ليبنسـكي (ولـد عـام 1930) Edward Lipinski حين ذهب إلى الحكم بأن "الظهور المفاجئ لنظام نحوي كامل مع الخليل وسيبويه بالبصرة يمكن أن يفسر بالاتصالات المباشـرة مـع مدارس البلاغة والنحو اليونانية"[2].

ولا ينكر فرستيغ تأثر النحو العربي بالمنطق اليونـاني، لكـن هـذا التـأثير، في نظـره، جاء متأخرا جدا، حين صارت بغداد مركز الثقافة العربية. وهكذا، فإن تأثير المنطـق الأرسـطي لـم يصـر واضـحا إلا بعـد القـرن العاشـر المـيلادي حـين أدخـل العـرب المفاهيم والمناهج والأدلة المنطقية في كتاباتهم.

وينتقـد كـيس فرسـتيغ أطروحـة ميـركس التـي اعتمـد فيهـا علـى التشـابهات الاصطلاحية:

1- مفهوم الإعراب.

2- تقسيم الكلمات إلى أجزاء الكلم الثلاثة.

3- تمييز الجنسسين.

4- التمييز بين الأزمنة الثلاثة.

5- مفهوم الظرف.

6- مفهوم الحال.

---

(1) - Kees Versteegh, *Greek Elements in Arabic Linguistic Thinking* (Leiden, E. J. Brill 1977), p. 4.

(2) - Edward Lipinski, *Arabic Linguistics, A Historiographic Overview*, in Roczinik Orientalistyczny (Elipsa, Warszawa 2012) LXV, Z, 2, p 29.



ويعلق على هذه التشابهات الاصطلاحية منتقدا: "نعتقد أن هذه الحجج لا تدل على تأثير المنطق اليوناني، ولكنها تدل على الاتصال بالنحو اليوناني"[1].

المبحث الثاني: تروبو ونقد التأثير اليوناني في النحو العربي من خلال كتاب سيبويه

يروم هذا المبحث بحث موقف جيرار تروبو القائل بأصالة النحو العربي من خلال كتاب سيبويه وخلوه من أي تأثير يوناني، وذلك من خلال مناقشة أطروحة التأثير اليوناني كما قال بها أصحابها، وقد رأينا بعضا منهم في المبحث الأول. ويناقش تروبو هذه الأطروحة من خلال التركيز أولا على تقسيم الكلام، ثم الإعراب والصرف والتصريف والكلمة، كما يناقش التأثير اليوناني من الناحية التاريخية، ثم من الناحية المنهاجية. وقد مهد لكل هذا ببيان موقف الدراسات الاستشراقية من أصالة النحو العربي.

1- تروبو والدراسات الاستشراقية للنحو العربي

يؤكد تروبو أن اهتمام المستشرقين بدراسة نشأة النظام النحويّ العربيّ وتطوره راجع إلى كونه يحتل مكانة بارزة بين النُظُم النحوية الكبرى الموجودة في العالم، من أجل موقعه المتوسِّط بين النظام اليوناني، في الغرب، والنظام الهندي، في الشرق. ويقسم المهتمين إلى صنفين:

صنف يقول بتأثر النحو العربي بعوامل خارجية، أبرزها التأثير اليوناني، ويعتبر المستشرق الألماني ميركس، أول من زعم أن المنطق اليوناني أثَّر في النحو العربي، لأن الثاني قد اقتبس من الأول بضعة من المفاهيم والمصطلحات[2]. وهو الموقف

---

(1) - Kees Versteegh, *Greek Elements in Arabic Linguistic Thinking* p. 8.

(2) وقد سبق الوقوف عند أهم قضايا أطروحته في المبحث الأول.

نفسه الذي ردده بدون تحفُّظ كثير من المستشرقين كما سبقت الإشارة، بل وحتى بعض العرب.

صنف يرى أن النحو العربي أصيل في نشأته، وعلى رأسهم المستشرق الإنكليزي كارتر Michael G. Carter الذي رفَضَ أطروحة التأُثير اليوناني في النحو العربي، وذلك في مقالة نشرها عام 1972، وسمَّاها: "في أصول النحو العربي"[1]. فَبَيَّن في هذه المقالة أنّ سيبويه يستعمل في الكتاب مجموعتين من المصطلحات: مجموعة قليلة العدد تتضمّن مصطلحاتٍ لعلُّها يونانية الأصل، ومجموعة كثيرة العدد تتضمن المصطلحات العربية الأصل، منقولة من الفقه إلى النحو.

ويتوقف تروبو بعد كارتر مع فرستيغ فيقول: "ومع ذلك فإن المستشرق الهولندي Versteegh نشر في مستهلّ هذه السنة، كتاباً عنوانه "العناصر اليونانية في الفكر اللساني العربي"[2]، يدافع فيه عن نظريّة التأثير اليوناني في النحو العربي، فيعتبر أن النُحاة العرب القدامى قد اقتبسوا بضعة من المفاهيم والمصطلحات، لا من المنطق اليوناني، كما زعم Merx، بل من النحو اليوناني، وذلك بواسطة اتّصالهم المباشر باستعمال النحو اليوناني الحيّ، كما يقول، في مراكز الثقافة اليونانية الموجودة في الشرق الأدنى بعد الفتح العربي"[3].

وخلاصة ما ذهب إليه المستشرقون بخصوص التأثير اليوناني في النحو العربى هى أن النُحاة العرب القدامى قد اقتبسوا من المنطق اليوناني تقسيم الكلام الثلاثي،

---

(1) - Michael G. Carter, *Les Origines de la Grammaire Arabe*, Revue des Etudes Islamiques 40, p69-77.

(2) وهو الكتاب نفسه الذي استقينا منه أطروحة فرستيغ التي درسناها في المبحث الأول.

(3) جيرار تروبو، نشأة النحو العربي في ضوء كتاب سيبويه، مجلة مجمع اللغة العربية بالأردن، (1982).



ومصطلحاتٍ أربعة هى: الإعراب والصرف والتصريف والحركة. فإلى أي حد يمكن التسليم بهذا التقسيم وباقتباس المصطلحات الأربعة؟

هذا ما حاول تروبو الإجابة عنه من خلال فحص تلك الآراء المتناقضة في نشأة النحو العربى؛ وهذا في ضوء كتاب سيبويه.

2- تقسيم الكلام

يؤكد تروبو بداية أنّ تقسيم الكلام أمر مهمّ جداً في كل نظام نحوي، لأنه يشترط هذا النظام؛ وبالنسبة إلى بُنية كل لغة، مَيّز النحاة عدداً مختلفًا من الأقسام. من هنا فإن تروبو يضع مقارنة بين تقسيم الكلام في اليونانية، كما عند أرسطو، وتقسيمه في العربية كما عند سيبويه، ويسجل الملاحظات التالية:

أولا: قد ميز النحاة اليونان في لغتهم ثمانية أقسام، وهي، حسبما قال أرسطو في كتابه فن الشعر: الحرف: stoikeion، المجموع: syllabe، الرباط: syndesmos، الفاصلة: arthron، الاسم: onoma، الكلمة: rhema، الوقعة: ptosis، القول: logos[1].

أما النحاة العرب فإنهم، كما تعلمون، لم يميّزوا في لغتهم إلا ثلاثة أقسام؛ وهي، حسبما قال سيبيويه في الكتاب: الاسم والفعل والحرف. وقد مر معنا هذا التقسيم.

والمثير للاستغراب حقا في نظر تروبو هو ادعاء بعض المستشرقين أن النحاة العرب قد اقتبسوا هذا التقسيم عن المنطق اليوناني رغم الفرق الكبير الذي يظهر بين عدد الأقسام في النظامين.

ثانيا: ليس لقِسْم الحرف اليوناني قِسْم يقابله في النظام العربى، لأنَّ سيبويه لم يجعل حروف الهجاء قسمًا مستقلاً في تقسيمه، كما فعل أرسطو. وكذلك ليس

(1) أرسطو، فن الشعر، ترجمة إبراهيم حمادة، (مكتبة الأنجلو المصرية، د.ت) ص 180.

لقسم المجموع اليوناني قِسْم يقابله في النظام العربى، لأن مفهوم المجموع المركّب من حرف غير مصوَّت وحرف مصوَّت، مفهوم صوتيّ يختلف عن مفهوم الحرف الساكن والحرف المتحرك الذي نجده عند سيبويه.

أما قسم الرباط اليوناني فإنه لا يقابلُ إلا جزءاً من قسم الحرف العربى؛ ونجد فرقًا بينهما، لأنّ الرباط عند أرسطو لفظ خالٍ من المعنى، بيد أن الحرف عند سيبويه لفظ له معنى. يقول أرسطو معرفا الرباط: "صوت بلا دلالة أو معنى، ولا يسبب ولا يمنع من تأليف صوت واحد من جملة أصوات، ويكون له معنى. وهذه الأداة لا يمكن أن تقوم صحيحة بذاتها في بداية عبارة أو جملة"[1].

يشتمل قسم الفاصلة اليونانيّ على آلة التعريف والاسم الموصول، وهما عند أرسطو لفظان خاليان من المعنى؛ فليس لهذا القسم قسم يقابله في النظام العربى، لأنّ سيبويه يَعْتَبَر أن الاسم الموصول اسمٌ غير تامّ، يحتاج إلى صلة، فيدخله في قسم الاسم، كما أنه يَعْتَبر أن آلة التعريف لفظ له معنى، فيدخله في قسم الحرف.

أما قسم الاسم اليوناني فإنه يقابِل قسم الاسم العربي، غير أننا نجد فَرقًا بين القسمين، لأن الاسم عند أرسطو لفظ له معنى يدل على شيء، بيد أن الاسم عند سيبويه لفظ يقع على الشيء، فهو ذلك الشيء بعينه. وهذا يوضحه السجال الدائر بين الاسمية والواقعية؛ هل تمثل الكلمات والمفاهيم والعلامات الأخرى أو الصور الذهنية الحقيقة الخارجية؟ وهل هي انعكاسات وفية له ؟ أم هي فقط مجرد كلمات/ أسماء ؟ وهل يمكن أن توجد المعرفة دون وجود الذات العارفة ؟

بالنسبة للاسميين، المفاهيم العامة هي بناء للذهن، في الخارج وحده الخاص هو الذي يوجد. أما بالنسبة للواقعيين، فموضوعات الحقيقة يمكن أن تدرك بطريقة عامة وبتجريد تحديدا. إن التصورات العقلية والمفاهيم العامة تدل على حقيقة

---

(1) نفسه ص 181.

خارجية (ماهية مشتركة للكائنات). إن الفرضية الواقعية تقتضي القول بأن كلماتنا، وإن كانت ثمرة توافق، فإنها ترجع إلى الحقيقة أو الواقع.

وكذلك الكلمة عند أرسطو هي لفظٌ له معنى يدلّ على زمان، والفعل عند سيبويه مثال أخذ من لفظ حدث الاسم، فيه دليل على ما مضى وما لم يمض؛ يقول تروبو: "غير أننا نجد فرقاً بين القسمين، لأن الصيغة غير المبيَّنة aparemphatos مضمَّنة في قسم الكلمة اليوناني، بيد أن المصدر مضمَّنٌ في قسم الاسم العربي، كما أن الصيغة المشتركة metochikon مضمَّنة في قسمي الاسم والكلمة معًا في النظام اليوناني؛ بيد أن اسم الفاعل مضمَّن في قسم الاسم فقط في النظام العربي"(1).

وأخيراً، فليس لقسم الوقعة اليوناني قسم يقابله في النظام العربى، لأن مفهوم الوقعة التى تحدث في آخر الاسم أو في آخر الفعل، مفهوم غير موجود عند سيبويه؛ وكذلك قسم القول، الذي هو عند أرسطو مركَّب من ألفاظ لها معنى، ليس له قسم يقابله في النظام العربى، لأنّ سيبويه لم يجعل من القول قسمًا مستقلاً في تقسيمه.

وهكذا يخلص تروبو إلى أن "من الناحية اللسانية، يظهر لنا أنه من المستحيل أن يكون التقسيم العربيُّ منقولاً من التقسيم اليوناني، لأن عدد الأقسام ومضمونها يختلف في النظامين اختلافًا تامًا"(2).

3- الإعراب والصرف والتصريف والحركة

هي: الإعراب، والصرف، والتصريف، والحركة.

أولا: الإعراب

(1) جيرار تروبو، نشأة النحو العربي في ضوء كتاب سيبويه.

(2) نفسه.

يزعم أتْباع التأثير اليوناني أن كلمة الإعراب نُقلت من الكلمة اليونانية hellenismos. وتعنى هذه الكلمة في أصل اللغة اليونانية اسم فِعلٍ يوناني تعريبه: هَلَّنَ شيئًا تهلينًا، أي صيَّره هِلّينيّا. وأصل الكلام كما عند أرسطو هو الوجه الهلّيني في التكلم"، أي الوجه الصحيح الذي يحصل عليه بمراعاة خمسة أشياء:

1 – باستعمال الروابط، أي حروف العطف.

2 – باستعمال الكلمات الخاصة.

3 – بعدم استعمال الكلمات الملتَبِسة.

4 – بتمييز الأجناس في الأسماء.

5 – بتمييز الأعداد فيها.

وهكذا، فإن الكلمة hellenismos كلمة عامة تختصّ بالكلام برمّته؛ فإنها اصطلاح خطابي وليس باصطلاح نحوي.

أما معاني الإعراب في أصل اللغة العربية فهي ثلاثة: أولاً الإبانة والإفصاح عن الخواطر، ثانيًا إزالة الفساد في الكلام، ثالثًا تغير آخر الكلمة.

فقال ابن جني في كتاب الخصائص: "وكأن الإعراب من قولهم: عربت معدته أي فسدت، كأنها استحالت من حال إلى حال، كاستحالة الإعراب من صورة إلى صورة"[(1)]. وقال ابن الأنباري في كتاب أسرار العربية: "إن الإعراب سُمّى إعرابًا لأنه تَغَيُّرٌ يَلحق أواخر الكلم، من قولهم: عربت معدة الفصيل إذا تغيرت"[(2)].

(1) ابو الفتح عثمان بن جني، الخصائص، تحقيق محمد علي النجار، (دار الكتب المصرية، القاهرة، د. ت) 1/ 37.

(2) أبو البركات ابن الأنباري، كتاب أسرار العربية، تحقيق محمد بهجت البيطار، (مطبوعات المجمع العلمي العربي بدمشق، د.ت) ص 18.



والواقع أن سيبويه يستعمل كلمة الإعراب لِيَدلّ على ما يسميه "مجاري أواخر الكلم"؛ يعنى التغيُّرات التى تَحدُث في آخر الاسم المتمكن، والفعل المضارع لاسم الفاعل. والإعراب عند سيبويه نقيض البناء الذي يدلّ على عدم التغيّر في آخر الكلمة. وهكذا، فإن الإعراب كلمة تختص ببعض الكلمات فقط في الكلام، فإنها اصطلاح نحوي وليست باصطلاح خطابى.

ثانيا: الصرف والتصريف

يذهب أنصار التأثير اليوناني إلى أن كلمة الصرف نُقِلت من الكلمة اليونانية klisis، وأن كلمة التصريف نُقِلت من الكلمة اليونانيةptosis. ما هو السبب الذي دفعهم إلى هذا الادعاء؟ السبب هو أن النحاة اليونان كانوا يعتبرون أن الاسم، بالنسبة إلى حالته الأصلية التي هي حالة التسمية onomasticos، له ميل klisis إلى حالات أخرى، كما أن الفعل بالنسبة إلى حالته الأصلية التي هي حالة الحاضر enestos، له ميل إلى حالات أخرى؛ وكان النحاة اليونان يسمّون كل واحدة من هذه الحالات المتغيرة وقعة: ptosis.

قال أرسطو في كتابه في الشعر: "أما الوقعة فهى للاسم أو الفعل، وتدل على معنى حرف "ل" أو حرف "إلى" وما أشبه ذلك، أو على الإفراد أو الجمع أو نوع كلام القائل، مثل الاستفهام أو الأمر"[1].

وقال في كتابه في الخطابة: "تَغَيُّرات الاسم المائل هى وقعات الاسم، كما أن تغيُّرات الفعل المائل هي وقعات الفعل". توثيق

(1) أرسطو، فن الشعر ص 182.

أما معنى كلمة الصرف في كتاب سيبويه، فإن هذه الكلمة تدلّ على إلحاق حرف النون للاسم، وللاسم فقط، لأن هذا الحرف علامة التمكّن، يعنى استقرار الكلمة في قسم الاسم.

وأما معنى كلمة التصريف فَيَسْتَعِمل سيبويه هذه الكلمة للدلالة على التغيُّرات التى تَحدُث في داخل الكلمة، فإنه لا يستعملها أبداً للدلالة على التغيُّرات التى تَحدُث في آخر الكلمة.

فنلاحظ أن مفهوم الميل ومفهوم الوقعة غير موجودين في النظام العربى، كما أن مفهوم التمكّن ليس بموجود في النظام اليوناني.

ثالثا: الحركة

ثم يزعم أَتباعُ التأثير اليوناني أن كلمة الحركة تُرجِمَت من الكلمة اليونانية: Kinesis، وذلك لأن بعض النحاة اليونان حَدّدوا الوقعة بأنها حركة تَحْدُث في آخر الاسم، فيستنتجون من هذا التحديد أن الحركة عند النحاة العرب كانت تَدلّ في الأصل على المصوت الأساسي، يعني ذلك المصوت الذي يشير إلى الوقعة في آخر الاسم، ومن ثم استُعمِلَت هذه الكلمة بصفة عامة للإشارة إلى المصوت.

يلاحظ تروبو أولاً أن مفهوم التحريك في النظام الصوتى العربى لا يتفق أبداً ومفهوم التصويت في النظام الصوتى اليوناني؛ فإن أرسطو يقسم الحروف إلى مصوَّتة ونصف مصوتة وغير مصوتة، بيد أن سيبويه يقسم الحروف إلى متحركة وساكنة.

ثم يلاحظ أن كلمة الحركة عند سيبويه تدلّ على حركات الشفة، من الضم والفتح والكسر، أو على حركات اللسان، من الرفع والنصب والجر أو الخفض، عند إخراج الصوت؛ أَتَحْدُث هذه الحركة في صدر الكلمة أم في وسطها أم في

آخرها، فإن الحركة في نظام سيبويه كلمة عامة، لا تدلّ على آخر الاسم المعرب، لأنها تُسْتَعْمَل أيضـًا لتدلّ على آخر الاسم المبنى غير المعرب، ويمكن أن تكون كلمة معربة مجرّدة من الحركة، كالفعل المضارع المجزوم مثلاً.

وهكذا، "يبدو لنا أنه من المستحيل أن تكون هذه المصطلحات الأربعة منقولة من اليونانية إلى العربية، لأن المفاهيم التى تدلّ عليها تتباعد في النظامين كل التباعد"[1].

4- التأثير اليوناني في النحو العربى من الناحية التاريخية

إذا ثبتت استحالة اقتباس تقسيم الكلمات والمصطلحات الأربعة السابقة من المنطق والنحو اليونانيين، فإنه يبقى أمام تروبو النظر إلى الموضوع والحكم عليه من الناحية التاريخية. فهل كان من الممكن أن يَعرف النحاةُ العرب القدامى النحوَ اليوناني والمنطق اليوناني فيتأثروا بهما؟

أولا: النحو اليوناني

يوضح تروبو أن النحاة القدامى لم يستطيعوا أن يعرفوه بطريقة مباشرة، إذ إنهم كانوا يجهلون اللغة اليونانية، ولم يكن لديهم كتاب في النحو اليوناني مترجَم إلى اللغة العربية، وبالتالى لم يستطيعوا أن يعرفوا النحو اليوناني إلا بواسطة النحو السرياني. لذا اضطر تروبو إلى البحث عن العلاقات الموجودة بين النحو السرياني والنحو اليوناني من جهة، والنحو العربى من جهة أخرى[2]. وهذه أهم خلاصات ما توصل إليه:

---

(1) تروبو

(2) جيرار تروبو، نشأة النحو العربي في ضوء كتاب سيبويه.

- كان النظام النحويّ السريانيّ مرتكزاً على الأقاويل الخمسة التى مَيَّزها منطق أرسطو في الكلام...

- كان النحاة السريان أنفسهم يَعتبرون أن النحو العربى يختلف عن النحو اليوناني من جهة، وعن النحو السرياني من جهة أخرى، اختلافًا تامًا...

وبالتالى فإن النحو اليوناني لم يستطع أن يؤثر على النحو العربى بواسطة النحو السرياني؛ وبعكس ذلك، في القرن الحادي عشر، نرى إيليا مطران طيرهان يصنِّف كتابًا في النحو السرياني يُدخِل فيه النظام العربى؛ فالنحو العربى هو الذي أثر في النحو السرياني.

ثانيا: المنطق اليوناني

لم يستطع النحاة القدامى أن يعرفوا المنطق اليوناني في القرن الثاني للهجرة، أي الثامن الميلادي، كما سبقت الإشارة. والكتاب في العبارة والكتاب في المقولات لأرسطو لم يُتَرجَما إلا في القرن الثالث للهجرة، التاسع الميلادي، على يد حنين بن إسحاق؛ كما نعلم أن الكتاب في الشعر لم يُتَرجَم إلا في القرن الرابع للهجرة، العاشر للميلاد، على يد مَتّى بن يونس، وهذا ما ذكره غير واحد من المستشرقين السابق ذكرهم.

وهنا يلاحظ تروبو أن المترجمَ السرياني لم يَسْتَعْمِل مصطلحات النحو العربى ليترجِمَ مصطلحات النحو اليوناني، ولكنه اخترع مصطلحات عربية جديدة، ويأتى بأمثلة لهذه الترجمة.

وفي القرن الرابع للهجرة، العاشر للميلاد، يلاحظ تروبو أن الفلاسفة العرب اخترعوا مصطلحات جديدة، ليُفَسِّروا كتب المنطق اليوناني في اللغة العربية. ويستشهد هنا بالفيلسوف أبى نصر الفارابى الذي يقول في كتاب الألفاظ المستعملة في المنطق، حول حروف المعاني: "إن هذه الحروف هي أصناف كثيرة، غير أن



العادة لم تَجْرِ في أصحاب علم النحو العربى إلى زماننا هذا، بأن يُفْرَد لكل صنف منها اسمٌ يَخُصُّه؛ فينبغى أن نستعمل في تعديد أصنافها الأسامى التى تأدت إلينا عن أهل العلم بالنحو من أهل اللسان اليوناني، فإنهم أفردوا كلّ صنف منها باسم خاص"[1]. وهكذا فقد اخترع الفارابى خمسة مصطلحات ليدلّ على هذه الأصناف من حروف المعاني، وهى: الخوالف، والواصلات، والواسطات، والحواشى، والروابط.

وتأكيدا لحجته يورد تروبو المناظرة المشهورة التى جرت بين متّى بن يونس المنطقى وأبى سعيد السيرافي النحوي؛ فمما يبيِّن أن متّى كان يعتبر أن المنطق ليست له صلة بالنحو؛ الحوار التالى بين العالمين:

"قال أبو سعيد: أسألك عن معاني حرف واحد، وهو دائر في كلام العرب، وهو الواو، ما أحكامه، وكيف مواقعه، وهل هو على وجه أو وجوه؟ فبهت متى وقال: هذا نحو، والنحو لم أنظر فيه، لأنه لا حاجة بالمنطقى إليه، وبالنحوي حاجة شديدة إلى المنطق، لأن المنطق يبحث عن المعنى، والنحو يبحث عن اللفظ"[2].

تفيد هذه المناظرة أن المنطقيين السريان والفلاسفة العرب كانوا يشعرون بأن النحو العربى لا يتعلق بالمنطق البتّة.

من هنا، يظهر من الناحية التاريخية أنه من المستحيل أن يكون النحاة العرب القدامى قد عرفوا النحو اليوناني والمنطق اليوناني فتأثروا بهما في نظامهم.

5- التأثير اليوناني في النحو العربي من الناحية المنهاجية

(1) أبو نصر الفارابي، الألفاظ المستعملة في المنطق، تحقيق محسن مهدي، (دار المشرق، بيروت، ط2، د.ت) ص 42.

(2) أبو حيان التوحيدي، الإمتاع والمؤانسة، (المكتبة العصرية، بيروت، 1432-2011) ص 88 وما بعدها للاطلاع على المناظرة كاملة.

يلاحظ جيرار تروبو أن لغة كتاب سيبويه غنيّة جدّاً لأنه يستعمل عدداً وافراً من المفردات ليعرض نظامه النحوي. وما دام العدد غير معروف على وجه التحديد، فإنه عزم أن يحصى جميع المفردات التى استعملها سيبويه في لغته الشخصية دون لغة الشواهد القرآنية والشعرية، فوجد أن عددها يبلغ: ألفًا وثمانمئة وعشرين. فما هى دلالات هذا الإحصاء؟

يميز تروبو في الكتاب خمسة أنواع من المفردات:

أولاً: المفردات التي تتعلَّق بالمفاهيم النحوية العامة: أقسام الكلام وأنواع الألفاظ وأحوالها.

ثانيًا: المفردات التي تختص بتركيب الجُمَل، أي بمواضع الألفاظ في الكلام ومجراها من ناحية العمل.

ثالثًا: المفردات التي تتعلق بالتصريف، يعني بتغيير الألفاظ في اللغة وصياغتها بالاشتقاق.

رابعًا: المفردات التي تختص بالصوتية، أي بإخراج الأصوات ومجراها في بنية الألفاظ.

خامسًا: المفردات التي تتعلق بالمنهاج، أي بالمفاهيم التي يستعملها سيبويه ليفسّر الوقائع النحوية والوسائل التي يستعملها ليوضحها.

أما توزيع تلك المفردات العددي، فإنّ المفردات التى تتعلّق بالمنهاج هى الأكثر، وعددها ستمئة وخمسون، ثم تتبعها المفردات التى تختص بالمفاهيم العامة، وعددها ثلاثمئة وتسعون، ثم المفردات المتعلقة بالتصريف والتى تساوي المفردات المتعلقة بالصوتية، وعددها ثلاثمئة وعشرون، وأخيراً المفردات التى تختص بالتركيب، وعددها مئتان وخمسون.

يقول تروبو معلقا: "فمن البَيِّن أنَّ عدداً وافراً من المصطلحات النحوية كان تحت تصرف النحاة العرب القدامى؛ فمن المستحيل أن يكونوا قد احتاجوا إلى اقتباس بضعةٍ من المصطلحات الأجنبية، يونانيةً كانت أم سريانية فما تعنى تلك العَشَرة من المصطلحات التى يزعم المستشرقون أن النحاة العرب قد اقتبسوها من اللغة اليونانية؟ ما تعنى تلك العَشَرة بالنسبة إلى المئات من المصطلحات التى كانت متناوَلَةً في لغتهم؟"[1]

ثم يردف مجيبا: "أظنُّ أن المستشرقين قد أخطأوا عندما اعتمدوا على بضعة من مصطلحاتٍ يونانية ليبرهنوا على مضارعة النظام العربى النظام اليوناني، لأنَّ كلّ واحد من المصطلحات جزء من نظام معقّد ليس له معنى، خارجًا عن هذا النظام"[2].

ويلفت تروبو انتباهنا إلى أن سيبويه لم يُحدِّد المصطلحات التى يستعملها؛ فهذا يدلّ على أنه لم يَخْلِق مصطلحات جديدة، وأنه يستعمل تلك التى استعملها قَبْلَه النُحاة القُدامى الذين يذكرهم في الكتاب؛ كما يدلّ ذلك على أن معاصريه كانوا يفهمون تلك المصطلحات بدون صعوبة وبدون تفسير؛ لماذا؟

ويمكن أن يرجع ذلك في نظر تروبو إلى أن سيبويه استعمل المصطلحات المشتركة بين العلوم الإسلامية الأصليّة التى هى: القراءات، والحديث، والفقه، والنحو، وقد تكَّونت تلك المصطلحاتُ في وقت واحد في النصف الثاني من القرن الثاني للهجرة، الثامن للميلاد، في مِصْرَي العراق المسلِمَين، البَصرة والكوفة، فكان القُرّاء والمحدِّثون والفقهاء والنحاة يستعملون نفس المنهاج ونفس المفاهيم

---

(1) تروبو، نشأة النحو العربي في ضوء كتاب سيبويه.
(2) نفسه.

ونفس المصطلحات، لأنهم كانوا يقصدون إلى نفس الهدف الذي هو سلامة لغة التنزيل الإلهي والحديث النبوي.

هكذا يؤكد تروبو أصالة النحو العربى، ومن ثم أصالة كتاب سيبويه، وذلك لارتباطه الوثيق بالتراث الإسلامى؛ فالنحو في نظره، منذ بدايته، كان مرتبطًا بالحديث والفقه، إذ إن كتب أخبار النحويين تروى لنا عن نصر بن عاصم الليثى، وهو أول من وضع العربية بعد أبى الأسود، أنه كان فقيهًا عالمًا بالعربية والحديث، كما أنها تروي لنا عن يحيى بن يعمر؛ وهو أول من نَقَّط المصاحف، أنه كان أيضًا فقيهًا عالمًا بالعربية والحديث.

ويبرر هذا بكون العلماء، في غالب الأحيان، يتلقّون جميع العلوم الإسلامية قبل أن يتخصَّصوا في واحد منها. فنعلم مثلاً أن النحوي المشهور الخليل بن أحمد، وهو واحد من أساتذة سيبويه، قبل أن ينصرف إلى النحو، تَعَلَّم الحديث والفقه عن أيوب السختياني، الذي كان فقيهًا من فقهاء البصرة ومحدّثًا من محدّثيها.

خاتمة

اهتم المستشرقون بدراسة اللغة العربية لغة القرآن، وقد شرفت بشرف القرآن الكريم. وقد تنوعت دراسات المستشرقين حول اللغة العربية، كما تنوعت أيضا حول أصالة النحو العربي. وقد تبين من خلال هذا البحث أنهم انقسموا قسمين،

- قسم ذهب إلى الحكم بأن النحو العربي غير أصيل وأن سيبويه استقى مادته من اليونانيين، من منطقهم ونحوهم. وهنا نجد رائدهم ميركس الذي تعرض للنحو العربي من خلال كتاب سيبويه في بحث ألقاه بمعهد مصر عام 1891 بعنوان: أصل النحو العربي. وقد بنى أطروحته على دعامتين:

الأولى: إن المؤلفين العرب الذين انشغلوا بتاريخ الدراسات الفيلولوجية وجدوا أنفسهم يوما ما أمام مسألة توضيح أصل الفيلولوجيا العربية، وعليهم أن يتساءلوا عن أي حقبة بدأ العرب بإنشاء نظام نحوهم: من هم أساتذتهم؟ ومن كان كتابهم الأوائل الذين وضعوا الأسس التي عليها بنت الأجيال اللاحقة النحو الذي لم يغيروه أبدا ولم يتراجعوا عنه أمام الصعوبات؟

وتجدر الإشارة هنا إلى أن الذين اشتغلوا من العرب بتاريخ الدراسات الفيلولوجية لم يكونوا مؤرخين، ولم يعرفوا كيف يتساءلون جيدا عن أصل النحو العربي.

الثانية: كل نحو يتأسس على الفلسفة والمنطق؛ ذلك أن معرفة أجزاء اللغة، وأبنية الكلام واشتقاقاته، والأعضاء المكونة للجملة البسيطة، إنما كانت نتيجة تحليل فلسفي.

من هنا، فإن النحو، تأسس في زعمه على المنطق، وبالتالي فالنحو العربي لم يكن له إلا منطق أرسطو مصدرَ إلهام وأنموذجا. وهذه الأطروحة ستكون مرتكز جميع اللاحقين الذين لم يروا أصل النحو العربي في النحو اليوناني ولا حتى في المنطق الرواقي، ولكن في المنطق الأرسطي تحديدا.

وللحصول على معرفة مؤكدة لأصول النحو يجب دراسة الأعمال النحوية التي تنتمي إلى النصف الثاني من القرن الثاني الهجري، وقبل كل شيء، كتاب سيبويه. وهذا ما قام به ميركس.

كما نجد دي بور صاحب كتاب تاريخ الفلسفة في الإسلام، وفيه أكد دون تفصيل ودون أمثلة أن منطق أرسطو أثر في علوم اللسان التي لم يكن شأنها جمع الشواهد والمترادفات ونحوها، لأن هذه تتقيد بالموضوعات التي تعالجها. على أن السريان والفرس كانوا قبل العصر الإسلامي قد درسوا كتاب العبارة لأرسطو مع إضافات

ترجع إلى الرواقيين وإلى المذهب الأفلاطوني الجديد. ويؤكد هنا دور ابن المقفع في هذا التأثير.

كما نجد من العرب إبراهيم مدكور وهو أبرز المرددين لأطروحة تأثير المنطق اليوناني في النحو العربي، حيث يؤكد أن هناك عوامل كثيرة ومتنوعة، داخلية وخارجية، عربية وأجنبية أثرت في النحو العربي. وهكذا يرى أن تأثير منطق أرسطو لم يقف عند الفقه والكلام والفلسفة، بل امتد إلى دراسات أخرى من بينها النحو. ثم يعقد مثارنة بين منطق أرسطو ونحو سيبويه، لم تذهب بعيدا عما ذهب إليه ميركس.

ويبرز إبراهيم مدكور قيمة عبد الله بن المقفع في الترجمة عن الفارسية وابنه محمد عن السريانية. لكنه لا ينسى أن يذكر القارئ بأنه لا يضر النحو العربي في شيء أن تتضافر عوامل شتى على تكوينه، أو أن يسهم منطق أرسطو في التوجيه إليه. وهنا يلتقي إبراهيم مدكور مع دي بور وغيره من المستشرقين الذين يؤكدون دور عبد الله بن المقفع في التأثير اليوناني.

كما نجد فرستيغ الذي استفاد من جهود السابقين في الموضوع فطوّر بذلك أطروحة التأثير اليوناني في النحو العربي، ويذهب إلى أن النحو العربي تأثر ابتداء بالنحو اليوناني، وليس بالمنطق اليوناني، كما ذهب إليك ميركس ودي بور، فكيف ذلك؟

ويلفت فرستيغ انتباه قارئه إلى أمر يعتبره ذا دلالة وجديرا بالاعتبار وهو أن الأدوات اليونانية بقيت متاحة في الدول الإسلامية، من هنا فتراث النحو اليوناني المصدر الوحيد للمعرفة والدراسة النحويتين

ولا ينكر فرستيغ تأثر النحو العربي بالمنطق اليوناني، لكن هذا التأثير، في نظره، جاء متأخرا جدا، حين صارت بغداد مركز الثقافة العربية. وهكذا، فإن تأثير المنطق



الأرسطي لم يصر واضحا إلا بعد القرن العاشر الميلادي حين أدخل العرب المفاهيم والمناهج والأدلة المنطقية في كتاباتهم.

وينتقد كيس فرستيغ أطروحة ميركس التي اعتمد فيها على التشابهات الاصطلاحية بأنها لا تدل على تأثير المنطق اليوناني، ولكنها تدل على الاتصال بالنحو اليونان.

– قسم يرى أن النحو العربي أصيل في نشأته، وعلى رأسهم المستشرق الإنكليزي كارتر الذي رفَضَ أطروحة التأُثير اليوناني في النحو العربي، فَبَيَّن أنّ سيبويه يستعمل في الكتاب مجموعتين من المصطلحات: مجموعة قليلة العدد تتضمّن مصطلحاتٍ لعلُّها يونانية الأصل، ومجموعة كثيرة العدد تتضمن المصطلحات العربية الأصل، منقولة من الفقه إلى النحو.

كم نجد جيرار تروبو الذي ناقش أطروحة التأثير اليوناني مثبتا أصالة ما ذهب إليه سيبويه وأصالة النحو العربى، وذلك من خلال تقسيم الكلام ليثبت لنا أنه من الناحية اللسانية، يظهر لنا أنه من المستحيل أن يكون التقسيم العربيُّ منقولاً من التقسيم اليوناني، لأن عدد الأقسام ومضمونها يختلف في النظامين اختلافًا تاما.

وكذلك من خلال الإعراب والصرف والتصريف والحركة ليخلص بنا إلى أنه من المستحيل أن تكون هذه المصطلحات الأربعة منقولة من اليونانية إلى العربية، لأن المفاهيم التي تدلّ عليها تتباعد في النظامين كل التباعد.

أما بحث التأثير اليوناني في النحو العربى من الناحية التاريخية فإنه يخلص إلى أن النحو اليوناني لم يستطع أن يؤثر على النحو العربى بواسطة النحو السرياني؛ وبعكس ذلك، في القرن الحادي عشر، نرى إيليا مطران طيرهان يصنِّف كتابًا في النحو السرياني يُدخِل فيه النظام العربى؛ فالنحو العربى هو الذي أثر في النحو السرياني.

وقد استدل تروبو بمناظرة أبى سعيد السيرافي ويونس بن متى التى أن المنطقيين السريان والفلاسفة العرب كانوا يشعرون بأن النحو العربى لا يتعلق بالمنطق البتّة. ليخلص بنا إلى أنه من الناحية التاريخية أنه من المستحيل أن يكون النحاة العرب القدامى قد عرفوا النحو اليوناني والمنطق اليوناني فتأثروا بهما في نظامهم.

أما التأثير اليوناني في النحو العربى من الناحية المنهاجية، فإن تروبو يتوصل إلى أن لغة كتاب سيبويه غنيّة جدّاً لأنه يستعمل عدداً وافراً من المفردات ليعرض نظامه النحوي. وما دام العدد غير معروف على وجه التحديد، فإنه عزم أن يحصى جميع المفردات التى استعملها سيبويه في لغته الشخصية دون لغة الشواهد القرآنية والشعرية، فوجد أن عددها يبلغ: ألفـًا وثمانمئة وعشرين. ليخلص إلى أنَّ عدداً وافراً من المصطلحات النحوية كان تحت تصرف النحاة العرب القدامى؛ فمن المستحيل أن يكونوا قد احتاجوا إلى اقتباس بضعةٍ من المصطلحات الأجنبية، يونانيةً كانت أم سريانية فما تعنى تلك العَشَرة من المصطلحات التى يزعم المستشرقون أن النحاة العرب قد اقتبسوها من اللغة اليونانية؟ ما تعنى تلك العَشَرة بالنسبة إلى المئات من المصطلحات التى كانت متناوَلَةً في لغتهم؟

من هنا تتبين أصالة كتاب سيبويه، ومن خلاله أصالة النحو العربى. إن الدراسة المتأنية كما قام بها تروبو، على صغر حجمها، تؤكد أنه من المستحيل أن يكون قد وقع تأثير يوناني على النحو العربي، سواء من خلال منطق أرسطو أو النحو اليوناني.

سيبويه في النحو العبري في الأندلس الإسلامية

د. عبد الكريم بوفرة

أستاذ باحث في اللغة العبرية الحديثة

كلية الآداب والعلوم الإنسانية/ جامعة محمد الأول وجدة

تُعَدُّ اللغة العبرية مجالا حيويا في الدراسات اللسانية واللغوية والفكرية والدينية والأدبية والنفسية والرمزية والعلمية...لما تثيره من قضايا ترتبط بطبيعة تلك اللغة من الناحية التاريخية في صلتها بالتوراة وتفاسيرها المختلفة أولا (أي التلمود والمشنا خصوصا)، وكذا المجموعة البشرية (المجموعة العبرية أولا واليهود وبنو إسرائيل لاحقا) التي احتضنت تلك اللغة وعبرت بها عن مختلف مشاهد الحياة، عبر مسار تاريخي طويل تحيطه كثير من دوائر الاستفهام حول اللغة وحول الناطقين بها زمانا ومكانا. ذلك أن هذه اللغة أحاطت نفسها بهالة كبيرة من العناصر التي تجاوزت مجال اللغة وما تقتضيه من آليات ترتبط بالتواصل والتعبير إلى مجال آخر، فيه حضور قوي لما وراء اللغة والمحاكمة الغيبية والوجود لمجموعة من الشعوب وجملة من اللغات انطلاقا من علاقة المجموعة العبرية بالإله التوراتي واللغة العبرية الحاملة لخطاب ينطلق في الأساس من التوراة ويعود إليها، ضمن جملة من المفاهيم الأساسية التي يقوم عليها حضور العنصر اليهودي في الوجود. ونعي جيدا أن ما نشير إليه هنا لا يمكن الخوض في تفاصيله لتشعب القضايا التي

ينبغي طرحها أثناء الحديث عن اللغة العبرية وعن المجموعة البشرية الناطقة والمعبرة بها.[1]

ولعل هذا الطابع الخاص هو الذي حذا بكثير من الدارسين إلى الاهتمام باللغة العبرية تحديدا لاعتبارات فكرية ودينية وإيديولوجية أكثر منها علمية وأكاديمية صرفة[2].

(1) لمزيد من التفصيل:
د. عبد الكريم بوفرة: 2016. في الفكر اليهودي الحديث. جزآن.
الجزء الأول: أسئلة اللغة العبرية. 326 صفحة.
الجزء الثاني: أسئلة الثقافة اليهودية. 334 صفحة.
منشورات كلية الآداب والعلوم الإنسانية. وجدة.
وانظر:
-Abdelkrim Boufarra: 2013. *Les études juives au Maroc. L'hébreu: des archives à l'université*. 50 pages.
CMES: Centre of Middle Eastern Studies.
Harvard University. Cambridge. Boston.
Massachussets. U.S.A
وأيضا:
Abdelkrim Boufarra: 2016. *Les langues juives et l'histoire des Juifs au Maroc*, 32 - pages.
In: Hésperis-Tamouda. Numéro Spécial: Jews in Morocco, History and Historiography.
Khalid Bensghir and Aomar Boom (éds.).
Publications de la Faculté des Lettres et des Sciences Humaines. Rabat.
-Abdelkrim Boufarra: 2012. Sociolinguistique de l'hébreu moderne.
Publications de la Faculté des Lettres et des Sciences Humaines. Oujda. 250 pages.
(2) إننا نثير هنا قضية شائكة ومعقدة ليس هنا مجال الخوض فيها، وحسبنا أن نشير إلى بعض المراجع المعبرة عن هذا التوجه على سبيل المثال فقط:
د. عبد الكريم بوفرة (2016– قيد الطبع): في الفكر الغربي الحديث: القضايا والمناهج. 500 صفحة.
- Louis-Jean Calvet: 2016. La Méditerranée. Mer de nos langues.
CNRS Éditions, Paris. 328 pages.
Baruch Spinoza: (édition 2006).-
Abrégé de grammaire hébraïque.



ويمثل الجانب اللغوي، والنحو تحديدا موضوع هذه الدراسة المتواضعة، مظهرا أساسيا لذلك التداخل القائم في اللغة العبرية بين ما هو لغوي وما هو مندرج ضمن سياقات متعددة ومتشابكة ومعقدة. ونقصد بالنحو هنا تلك الدراسات اللغوية العبرية التي ظهرت في الأندلس الإسلامية خصوصا بين القرنيْن التاسع والعاشر الميلاديَيْن، التي حاولت التنظير لجملة من قواعد النطق والكتابة في اللغة العبرية انطلاقا من اللغة العربية تحديدا. ونشير إلى أن تلك الدراسات كانت في الغالب الأعم مكتوبة بطريقة قلما يتم الوقوف عندها بالدراسة والتحليل، وأقصد كتابة اللغة العربية بحروف عبرية مع إدخال كثير من الكلمات والتعابير

Commentaire et annotation: Joel Askenazi et Jocelyne Askénazi-Gerson.
Librairie Vrin. Paris. 242 pages.
- Nelly Flaux: 1993.
La grammaire.
Que Sais-Je. PUF. Paris.
-Shmuel Trigano: 2014. L'hébreu, une philosophie. Vers une nouvelle pensée juive.
Hermann Éditeurs, Paris. 250 pages.
-Benjamin Gross: 2003. L'aventure du langage. L'alliance de la parole dans la pensée juive.
Éditions Albin Michel, Paris. 312 pages.

يثير الكتاب الأخير مسألة في غاية الأهمية حول علاقة الديانات السماوية بلغات الكتب المنزلة أي التوراة والأناجيل والقرآن الكريم. ويشير المؤلف لى المأزق الذي وضعت الديانة المسيحية نفسها فيه حينما احتفظت بالكتاب المقدس لدى اليهود، وأعني التوراة، ولكنها تخلت عن اللغة العبرية التي يزعم فرضا انها لغة التوراة، وتبنت بدلها لغتي الأمبراطورية الرومانية، وهي اللغة اليونانية واللغة اللاتينية. وفي تلك اللحظة ضاع المعنى الحقيقي للخطاب الذي كانت تحمله التوراة منذ البداية. أما الإسلام فإنه جعل اللغة العربية حاملة للخطاب الجديد الذي جاء مع القرآن الكريم انطلاقا من مفهوم الكلام عموما.

وتجنبنا الإشارة إلى المراجع الكثيرة باللغة العبرية لصعوبة الحصول عليها بالنسبة للقارئ العربي (وسوف يجدها القارئ الكريم كاملة في كتابي حول الفكر الغربي الحديث الذي هو الآن قيد النشر).

والمصطلحات العبرية ومع إدراج كثير من نصوص التوراة وتفاسيرها (أي التلمود) وشروح الأحبار والحاخامات وتعليقاتهم.

بعبارة أخرى: نحن أمام لغة عربية مكتوبة بحروف عبرية، ونحن أمام قضايا نحوية في اللغة العبرية انطلقت فقط مما هو موجود في نحو اللغة العربية، وتم تطبيقها كما هي في اللغة العبرية لدرجة لو قمنا بإخفاء أسماء النحاة اليهود وإخفاء الكلمات العبرية لظننا أن المؤلفين هم نحاة عرب مغمورون !!!

لذا يحق لنا أن نضع المسألة ليس فقط ضمن تأثير النحو العربي في النحو العبري، ولكن من خلال تصور جديد أو مثير للجدل، وأقصد اعتبار الدراسات اللغوية العبرية واليهودية في الأندلس الإسلامية خصوصا تندرج ضمن التراث العربي الغني والثري. ولا تقتصر المسألة على الجانب اللغوي، وإنما تتعداه إلى جوانب فكرية وثقافية ودينية وأدبية مختلفة.

ألا يعتبر التصور اليهودي فترة وجود اليهود في الأندلس الإسلامية عصرا ذهبيا ؟ ألا يطلقون على تلك الحقبة: תקופת הזהב ؟

لقد برع اليهود في الأندلس الإسلامية في مجالات مختلفة من لغة وأدب وفقه لغة وعلم أديان مقارن ومنطق وطب وفلسفة ونقد وشعر ومقامات... لدرجة قل نظيرها في ثقافة أخرى غير الثقافة العربية-الإسلامية. ونحن لا نشير هنا فقط إلى مسألة التعايش أو التسامح، وإنما نذكر حجم المساحة التي أُتيحت لفكر عبري ويهودي أن يعبر أن نفسه ضمن فضاء كانت الهيمنة فيه والسيطرة والغلبة للغة العربية والفكر الإسلامي عموما، من حيث قوة الأفكار والمناهج والتصورات وليس السلاح أو الخراب أو الدمار. وهذه الملاحظة وحدها كافية لتدفع كثيرا من الباحثين والدارسين العرب للاهتمام بالأندلس الإسلامية في صلتها بالعنصر اليهودي من النواحي الثقافية والفكرية واللغوية والدينية والأدبية والتاريخية والنقدية عموما. ومما يحز في النفس أن ذلك التراث العبري-اليهودي في الأندلس الإسلامية يقوم



بتحقيقه وإعادة تحقيقه باحثون ومستشرقون غربيون، يهود وغير يهود، ولا نكاد نجد إلا القليل من الباحثين العرب، والمغاربة خصوصا، الذين أخذوا على عاتقهم مهمة إعادة قراءة ذلك التراث ضمن سياق الثقافة العربية-الإسلامية عموما (1).

كان لابد من الإشارة إلى هذه القضايا، ولو بشكل مقتضب، لكي نضع حضور سيبويه (140 هـ 180 هـ/ 757م-796م)ضمن سياق حضور اللغة العربية عموما في الفكر اليهودي خصوصا.

ويمكن وضع مقابل عبري لمصطلح " نحو" في اللغة العربية (2)، ونقصد דקדוק *Dikduk*. ويدل على العناية بمخارج الحروف والنطق السليم لها لكيلا تلتبس المعاني عند المتلقي (كما نجد ذلك في قسم ברכות 82 أوسفر الملوك الأول 11/ 16 مع يوئاب قائد داود عليه السلام لما أخطأ في قراءة كلمة في التوراة توصي بضرورة المحو الكامل لكل ذِكْر أو أثر ظانا منه أنها تُقرأ: ذَكَر وتعني المذكر، فكان أن قتل هو وجنوده كل مولود ذكر في بلاد تسمى أدوم حسب رواية التوراة).

ونشير إلى أن كلمة דקדוק غير واردة بالاسم في التوراة. ولكن يمكن ربطها بالجذر דקק أي دقق ودق وسحق الشيء الدقيق، أي الفحص بإمعان.

وهذه الكلمة موجودة في قسم من أقسام التلمود وهو " المشنا " (سفر אבות 6/ 6). ففيه نجد عبارة: דקדוק חברים أي " التدقيق في اختيار الرفاق " أو "

(1) نشير هنا تحديدا إلى الأعمال الأكاديمية الجادة والرصينة التي تصدرها "الجمعية المغربية للدراسات الشرقية" التي تضم نخبة من الباحثين المتخصصين في اللغة العبرية أساسا في مختلف الجامعات المغربية، ويوجد على رأس هؤلاء الأستاذ أحمد شحلان، بالإضافة إلى أسماء أخرى مثل: عبد الرحيم حيمد، نزهة الزبيري، عبد الكريم بوفرة، ادريس اعبيزة، عبد العزيز شهبر، مولاي المامون المريني، سعاد الكتبية، السعدية المنتصر...والمجال لا يسمح بذكر الأعمال المنشورة إما باسم الجمعية (10 مؤلفات لحد الساعة) أو بصفة شخصية أو ضمن مشاريع هي قيد الإنجاز من قبيل ترجمة كثير من الكتابات التي تهتم بتاريخ المغرب من اللغة العبرية إلى اللغة العربية.

(2) حسن ظاظا: أثر سيبويه في نشأة النحو العبري. مجلة اللسان العربي، المجلد 12، الجزء الأول، ص.91-106. 1974.

الدقائق التي يناقشها الرفاق ". كما نجد في التلمود (قسم סוכות 28/ 1): דקדוקי תורה أي الدقائق في تفسير الشريعة وتأويلها، وعلى المنوال نفسه نجد: דקדוקי אותיות أي تحري التدقيق في مخارج الحروف. كما نجد: דקדוקי תורה و דקדוקי סופרים.

والخلاصة أن الدقة هي أهم ما يميز الكلمة [1].

أما النحو بمعناه المتعارف عليه اليوم فلم يظهر بشكل جلي إلا في الأندلس الإسلامية بفعل التأثير الكبير الذي كانت تمارسه اللغة العربية على اللغة العبرية، لدرجة أن أغلب المؤلفات اللغوية وغير اللغوية التي ظهرت في تلك البلاد تمت كتابتها باللغة العربية لكن بحروف عبرية [2]. فنحن أمام لغة يهودية [3] أي Judéo-Arabe بالمعنى اللغوي-الاجتماعي للكلمة.

---

(1) אל יעזר בן יהודה: מלון הלשון העברית הישנה וחדשה (17 כרכים). 982/2. הסתדרות המורים העברים בארץ ישראל. ירושלים. 1910-1959.

وهذا اللغوي المعجمي (إلعازار بن يهودا: 1858-1922) كان متعصبا جدا للغة العربية، ليس حبا في اللغة وإنما لأنه أدرك أهمية العربية في تفسير كثير من الظواهر الغامضة والمبهمة في اللغة العبرية. وليس هنا مجال الخوض في المسألة بتفصيل كبير.

(2) William Chomsky: 1958 + 2001. Hebrew: The Eternal Language, p.125. The Jewish Publication Society Of America. Philadelphia. 344 pages.

(3) ناقشنا هذه المسألة في مناسبات سابقة. أنظر على سبيل المثال فقط الإحالات الشخصية السابقة باللغتيْن العربية والفرنسية بالإضافة إلى:

عبد الكريم بوفرة: 2013. اللغة العبرية واللغة اليهودية في الأندلس الإسلامية. 30 صفحة.

ندوة: المكون العبري في الثقافة الأندلسية. الأندلس وحوار الحضارات.

كلية الآداب. فاس-سايس 20و21 نونبر 2013.

-Abdelkrim Boufarra: 2011. Le Judéo-arabe en Espagne Musulmane: significations et portées.

Colloque: All-Andalus.

Faculté des Lettres- Oujda: 31 octobre-01 novembre 2011.

- Abdelkrim Boufarra: 2015. Aux marchés des langues juives. 35 pages.

Annales de la Faculté des Lettres. N°4. Oujda.

وتجلى تأثير اللغة العربية في وجود كثير من علامات الإعراب في الشعر العبري كما نجد ذلك عند كثير من الشعراء اليهود في الأندلس مثل إسحق بن خلفون (970- ما بعد 1020) وصاموئيل هاناكيد (993-1055)، مع أن العبرية لم يعد فيها الإعراب قائما. وكذلك واو القسم (عند الشاعر موسى بن عزرا 1058-1138) وواو رب (عند الشاعر سليمان بن جبيرول 1021-1058) وفي صيغة اسم الفاعل وبناء الجملة (الفعل ثم الفاعل) وتصريف الأفعال وتقدم اسم الإشارة على الاسم والتوافق ما بين الاسم والصفة...بل في حذف الأداة العبرية الدالة على المفعولية (את) لأنها غير موجودة في العربية وفي لغة "أكلوني البراغيث" وفي كثير من لهجات العرب القديمة مثل لهجة طيء مثلا التي تنطق همزة "إن" الشرطية "هاء"، مثل "هن فعلتَ فعلتُ" وفي هاء الاستفهام: هزيد فعل ذلك ؟ مما يجعلنا أمام قضية شائكة تتعلق باللغة العبرية في صلتها بما يسمى لهجات العرب عموما [1].

ويمكن إيضاح ذلك أكثر بذكر بعض الأسماء الدالة على مدى تأثير اللغة العربية في اللغة العبرية. فهذا الحاخام يوسف بن يهودا بن عقنين (1150-1220) من برشلونة والذي استقر في فاس ألف كتابا سماه " طب النفس" يتحدث فيه عن آداب التعلم وطرق النطق السليم للغة العربية، وهو أيضا صاحب كتاب: انكشاف

(1) لمزيد من التفصيل: - عبد الكريم بوفرة: 2011 "من اللغات السامية إلى اللغات العروبية". ص.87-103.
حوليات كلية اللغة العربية. (عدد خاص).
الدرس الشرقي في الإصدارات الأكاديمية الراهنة: قراءات نقدية.
العدد:28/ 2011. كلية اللغة العربية. مراكش.
-عبد الكريم بوفرة: 2012. " فقه اللغة الحديث من خلال (مجمع البحرين) للأستاذ أحمد شحلان ". ص.359-390.
قراءة في مدونات الشرق القديم وأعمال الأستاذ شحلان. (أعمال مهداة).
منشورات كلية الآداب والعلوم الإنسانية. رقم 169.
جامعة محمد الخامس-أكدال. الرباط. 606 صفحة.

الأسرار وظهور الأنوار). وهذا أهارون بن موسى بن أشير القرائي (توفي سنة 960 م) يبدي اهتماما كبيرا بأعمال النحاة العرب، خصوصا أقطاب المدرسة البصرية، وعلى رأسها سيبويه، ومنه [1] استفاد في وضع قواعد نطق اللغة العبرية خصوصا أثناء قراءة التوراة وضبط حركاتها ومقاطعها، ذلك أنه استفاد كثيرا من وصف سيبويه لحروف اللغة العربية من حيث المخارج والنطق والتوزيع داخل الكلمة. وهذا إسحق بن يشوش له كتاب: التصريف، وموسى بن شموئيل جيكاتيلا القرطبي (1248-1305) له كتاب: التذكير والتأنيث، ويهودا بن بلعام (1000-1070) له كتاب: حروف المعاني، وكتاب: الأفعال المشتقة من الأسماء، وكتاب: التجنيس، وإسحق بن بارون (توفي سنة 1128 م) صاحب كتاب: الموازنة بين اللغة العبرانية واللغة العربية، وسليمان بن جبيرول (1021-1058) صاحب منظومة نحوية في قواعد اللغة العبرية مؤلفة شعرا على منوال ألفية بن مالك أو الأجرومية، وهذا أبو الوليد مروان بن جناح القرطبي (990-1050) له كتاب اللمع يذكر فيه سيبويه بالاسم، كما سوف نرى بعد حين، بل هو كتاب يسير على نمط تأليف كتب النحو في اللغة العربية من حيث اللغة والمنهج والمصطلحات والأبواب والأقسام...

وبما أن نشأة النحو العبري لم تتم إلا في نهاية القرن التاسع وبداية القرن العاشر الميلاديين فإن تأثير النحو العربي وصل مداه بفعل النضج الذي وصله في تلك الفترة. لذا لا نستغرب رسوخ فكرة الجذر الثلاثي للكلمة مثلا كما هي عند سيبويه (140هـ-180 هـ/ 757م-796م) وغيره من النحاة العرب اللاحقين في النحو العبري، كما نجد ذلك عند أبي سليمان داود بن أبراهام الفاسي القرائي (النصف الثاني من القرن العاشر الميلادي)، صاحب المعجم المهم: جامع الألفاظ.

---

(1) אהרון בן משה בן אשר: דקדוקי הטעמים.
על ידי יצחק בן בער והערמן שטראק: 1879. ליפסיא. 136 ע.



ونجد تأثير سيبويه في المشرق العربي أيضا من خلال أعمال سعديا كاؤون الفيومي (نهاية القرن التاسع الميلادي) الذي يُعتبر أب النحو العبري كما يعتبر مؤسس منهج فقه اللغة [1]. فهو صاحب سماه: " كتب اللغة " في أثني عشر كتابا ضاع كثير منه. ففيه حديث عن الأبجدية العبرية، وخصائص الحروف الحلقية، وإبدال الحروف وإدغامها، وتصريف الأفعال والأسماء والحروف، والأصل والزيادة...

ويبدو التأثر بسيبويه في الأندلس من خلال مؤلفات دوناش بن تميم القيرواني ويهودا بن قريش التاهرتي ومناحم بن سروق الطرطوشي (910-970) ودوناش بن لبرط (920-990). فهذان العالمان النحويان الأخيران اختلفا حول مسألة الحروف الأصلية للجذر بين الثنائية والثلاثية وفي كثير من القضايا النحوية الأخرى، لحد ظهور مدرستيْن مختلفتيْن بالطريقة نفسها التي كان فيها الخلاف قائما في العربية بين سيبويه في البصرة والكسائي في الكوفة.

فدوناش بن لبرط الفاسي كان شديد التأثر بسيبويه وبأستاذه الخليل بن أحمد الفراهيدي الذي أخذ عنه علم العروض، وبذلك وضع قواعد الشعر العبري الموزون والمقفى، كما نجده عند أبراهام بن عزرا ويهودا اللاوي (أمير الشعر العبري في الأندلس) وموسى بن عزرا وسليمان بن جبيرول ويهودا الحريزي.

وأخذ يهودا أبو زكريا حيوج [2] نظرية القياس كما هي عند سيبويه. وعلى ضوء تلك النظرية ألف كتابه: "التنقيط"، وموضوعه توزيع الحركات والسكون

---

(1) Henry Malter: 1921. Saadia Gaon. His Life and Works, p.138.
The Jewish Publication Society Of America. Philadelphia. 465 pages.
- Hartwig Hirschfield: 1926. Literary History Of Hebrew Grammars And Lexicographers, p.17.
Oxford University Press. London.

(2) שלשת ספרי הדקדוק. א. ספר אותיות הנח והמשך. ב. ספר פעלי הכפל. ג. ספר

والاشتقاق والإدغام والمجرد والمزيد والإضافة وحروف الحلق واشتقاق معظم كلمات اللغة العبرية من أصل ثلاثي. كما ألف كتاب: الأفعال ذوات المثليْن وكتاب الأفعال ذوات حروف اللين ليؤكد على أصلها الثلاثي في نهاية المطاف. وتبنى منهج سيبويه للتأكيد على فكرة الأصل الثلاثي للكلمات، وذلك من خلال مقارنتها بالصيغة الثلاثية التي يعتبرها هي الأصل. وما يطرأ على الكلمات من تغيير فيرجعه إلى الصيغة الأصلية. وتجدر الإشارة إلى أن المادة المعجمية التي كان يستقي منها حيوج شواهده من أجل الدراسة والتحليل هي كلمات التوراة خصوصا. وهذا الاقتصار يجعله لا ينوع كثيرا من مصادر دراسته، عكس سيبويه الذي طور نظرية لغوية نظرا لحجم المادة اللغوية التي توفرها اللغة العربية. وينبغي أخذ هذه الملاحظة دوما في الاعتبار ونحن نتحدث عن النحو العبري في الأندلس الإسلامية. ففكرة الجذر [1] حاضرة في النظريات اللغوية إن في اللغة العربية أو اللغة العبرية.

ويعتبر أبو الوليد مروان بن جناح القرطبي شيخ النحاة اليهود على الإطلاق، ويُسمى أب النحاة اليهود (بينما يطلق على سعديا كاؤون الفيومي لقب أب النحو العبري). ومع ابن جناح وصل تطبيق نظرية سيبويه درجة النضج في النحو العبري، كما سوف نرى بعد حين. وقد بلغ الأمر عند اليهود إلى اعتبار كتاب "اللمع" الذي ألفه بن جناح المرجع الأساس في النحو العبري إلى الآن، على غرار كتاب سيبويه في النحو العربي.

הנקוד.
אשר חברם בלשון ערבי: ר יהודה הנקרא חיוג.
ותרגם ללשון הקודש: ר משה הכהן בן גיקטלה.
לונדון וברלין. 1844. 306 ע.

(1) - Simon Michael Mauck: 2008.
Yehudah Hayyuj and the Biblical Hebrew Verbs, p.60. Georgetown University. Washington. 280 pages.

ولا عجب في الأمر، فدراسة اللغة العربية في الأندلس كانت تقوم على مذهب البصرة وعلى فكر سيبويه. لذا لا نستغرب قيام النحاة اليهود بنقل مضمون كتاب سيبويه إلى اللغة العبرية، وبشكل أدق إلى اللغة العربية المكتوبة بحروف عبرية. فمذهب البصرة هو السائد في الأندلس والنتيجة انتقال نظرية سيبويه إلى النحو العبري.

فهناك تطابق تام بين حضور سيبويه في الأندلس وحضوره في النحو العبري[1] عن طريق النقل الحرفي لمضمون الكتاب من الخط العربي الى الحرف العبري. فليست

---

(1) حسن عون: 1970. تطور الدرس النحوي. ص.50. معهد البحوث والدراسات العربية. القاهرة.

-Amal Elesha Magory (ed.): 2012.
The Foundations Of Arabic Linguistics. Sibawayhi and Early Arabic Grammatical Theory, p.10.
Brill. Leiden. Boston.

-Aharon Maman: 2004.
Comparative Semitic Philology In The Middle Ages.
From Saadiah Gaon to Ibn Barun (10th-12 thc.), p.98.
Brill. Leiden. Boston.

-Amal Elesha Magory: 2010.
Kitab Sibawayhi and Modern linguistics.
A synoptic view of a Complementary Relationship.
In: Synergies. Monde Arabe, N° 7, pp.29-34.

-M.G.Carter: 2004. Sibawyhi
Oxford Center For Islamic Studies. London & New York.

-Magory Amal: 1988.
Kitab Sibawayhi: Syntax And Pragmatic.
Brill. Leiden. Boston.

-Gérard Troupeau: 1976.
Lexique index du Kitab de Sibawyhi.
Klincksieck. Paris.

-Ramzi Baalabaki: 2008.
The Legacy Of The Kitab's Sibawayhi. Analytical Methods Within The Context Of Arabic Grammatical Theory.
Brill. Leiden. Boston.

هناك ترجمة من لغة إلى أخرى، بل إعادة صياغة كتاب سيبويه من اللغة العربية إلى اللغة العربية، لكن بحروف عبرية. ولعل هذه الكتابة هي التي مثلت عائقا أمام الوصول إلى مضمون عملية النقل تلك. ولذلك ظن الكثير من الناس أن عملية ترجمة حصلت من لغة إلى أخرى في آخر هذه الدراسة.

وتتجلى أهمية كتاب سيبويه، فضلا عن الأبواب النحوية والصرفية التي تهم اللغة العربية، من حيث البيئة الجغرافية التي ينتمي إليها، وهي بيئة راسخة في القدم من الناحية الثقافية ومن حيث تنوع الروافد الفكرية والاجتماعية التي مثلت شكلا متميزا من أشكال الفعل الثقافي المنبث أساسا من حضارة القرآن الكريم والدين الإسلامي الحنيف.

وتعتبر المادة اللغوية المتضمنة في كتاب سيبويه مرجعا أساسيا لفهم اللغة العربية زمن التقعيد النحوي لها بشكل يدعو إلى الدهشة والإعجاب والانبهار. ولعل القارئ المتعمن للكتاب يقف على حقيقة العلاقات التي كانت تجمع المتكلم بالمستمع للغة العربية ضمن سياق اجتماعي واضح لا لبس فيه. فقواعد اللغة تستنبط من ضمن مجموعة من الشواهد المعبرة والدالة. فليس هناك إنزال للقاعدة اللغوية بقدر ما نجد استنتاجا لها من خلال سياق لغوي معين.

وبهذا المعنى يصبح سيبويه ليس مؤسسا للنحو العربي فقط وإنما هو أيضا مؤسس للسانيات العربية.

ففي الكتاب مادة لغوية غنية [1] وردت على أفواه الأعراب، وأخرى جادت بها قرائح الشعراء العرب، وأخرى مثلت لغات العرب كما احتفظ بها القرآن الكريم،

---

(1)-Salomon I. Sara: 2007. Sibawayhi on ?Imalah (inclination).
Text, translation, notes and analysis.
Edinburgh University Press. Scotland.
-Hartwig Derenbourg: 1881.
Le Livre de Sibawayhi. Traité de grammaire arabe. 2 tomes.



كما نجد فيه مادة لغوية مستقاة من الأحاديث النبوية الشريفة والأمثال والحكم والمواعظ وشواهد دالة على بعض الكلمات والتراكيب الغريبة. كل هذا في سياق لغوي-اجتماعي قائم على فكرة التفاعل بين المتكلم للغة والمستمع إليها من خلال سلوك فردي وجماعي معبر عن حالة اللغة زمن سيبويه. وقد كانت المنهجية المتبعة في الكتاب قد أسعفت الباحث في تقسيم اللغة من خلال مستوياتها المختلفة، من الناحية التركيبية (أقسام الكلام)، والناحية الصرفية (الأصل والزيادة)، والناحية الصوتية (النطق والأصوات ومخارج الحروف وأشكال النطق والإدغام).

ويعتبر أبو الوليد مروان بن جناح القرطبي نموذجا واضحا لمدى التأثير الذي أحدثه كتاب سيبويه في النحو العبري. وعلينا أن لا ننسى أن أبا الوليد هذا هو شيخ النحاة اليهود أو أب هؤلاء حسب التصور اليهودي إلى الآن.

فمعه تمت دراسة النحو العبري دراسة مستقلة وموسعة ومستفيضة بعيدا عن القضايا المعجمية التي كانت في الغالب الأعم مدمجة فيها ومعها في الدراسات النحوية اليهودية السابقة على ابن جناح [1]. فهو نحوي ومفسر ومعجمي خصوصا. وهو صاحب مؤلفات عديدة انطلقت جميعها مما هو موجود في النحو العربي، نذكر منها:

D'après les manuscrits du Caire, de l'Escurial, d'Oxford, de Paris, de Saint-Pétersbourg et de Vienne.
Imprimerie Nationale. Paris.
-Hartwig Derenbourg: 1905.
Opuscules d'un arabisant.
Charles Carrington, Libraire Éditeur, Paris.
(1) Joseph Derenbourg et Hartwig Derenbourg (éds.): 1880.
Opuscules et Traités d'Ibn Djanah de Cordue, p.77.
Imprimerie Nationale, Paris. 540 pages.

- كتاب المستلحق: وهو في نقد نظرية حيوج خصوصا.
- رسالة التنبيه.
- رسالة التقريب والتسهيل.
- كتاب التسوية.

ويعتبر كتاب التنقيح أهم ما ترك ابن جناح. وينقسم إلى جزأين كبيرَيْن: كتاب اللمع في قواعد النحو العبري، وكتاب الأصول وهو عبارة عن معجم كامل للتوراة، ينطلق من فكرة المجرد والمزيد في الفعل بناء على نظريات سيبويه في هذا الباب.

وما يثير الانتباه عند ابن جناح أنه تأثر بالنحو العربي بالدرجة نفسها التي كان عليها تأثير سعديا كاؤون الفيومي في الشرق قرنا من الزمان قبله. فابن جناح هو أب النحاة وسعديا هو أب النحو. وسواء كان اليهود في العراق أو في الأندلس فإن الحضور الدائم والمهيمن والطاغي كان للنحو العربي والنحاة العرب في جميع ما ألفه النحاة اليهود على اختلاف مكانتهم العلمية واللغوية والفكرية...

وكان ابن جناح يعتبر النحاة العرب، وعلى رأسهم سيبويه، النماذج التي يسير على منوالها بل المراجع التي ينقل منها حرفيا كل ما يتعلق بقواعد النحو في اللغة العربية، إيمانا منه بالصلة القائمة تاريخيا بين اللغتيْن العربية والعبرية ضمن ما درجت اللسانيات التاريخية الغربية على تسميتها "باللغات السامية"[(1)].

(1) نسجل تحفظا حول هذه التسمية لاعتبارات فصلنا الحديث فيها في مناسبات عديدة.
انظر على سيبل المثال:
-عبد الكريم بوفرة: 2014. صورة الآخر في الفكر اليهودي والعبري الحديث. ص.651-678.
المقارنون العرب اليوم. الجزء الثاني.
منشوران كلية الأداب والعلوم الإنسانية. جامعة محمد الخامس. الرباط. 3 أجزاء.
- Abdelkrim Boufarra: 2013. Au marché des langues juives, pp.27-50.
Annales Langues et Communication. N°2. Mars 2012.



ولعل هذا الحضور الدائم للنحو العربي في مؤلفات ابن جناح التي كتبها بلغة عربية، ولكن بحروف عبرية كما هي عادة اليهود شرقا وغربا في حضن الثقافة العربية-الإسلامية، هو الذي جعل المترجمين اليهود فيما بعد لكتاب التنقيح يخفون كثيرا من الأسماء العربية ويتغاضون عنها باستثناء سيبويه الذين تركوه مذكورا بالاسم في تلك الترجمة [1].

وقد اعتبر التصور اليهودي كتاب ابن جناح اللمع بمثابة المقابل العبري لكتاب سيبويه في النحو العربي.

وقد وصل تأثر ابن جناح بكتاب سيبويه إلى حد جعله ينقل مضامينه كاملة إلى اللغة العبرية أو اللغة العربية المكتوبة بحروف عبرية في مرحلة أولى قبل أن يتم

Publications de la Faculté des Lettres et Sciences Huamaines.
Université Mohamed Premier. Oujda.

-عبد الكريم بوفرة: 2012. البلبلة في المعجم العربي القديم: المفاهيم والقضايا. ص.43-60.
مجلة كلية الآداب. العدد: 3. أبريل 2013.
منشورات كلية الآداب والعلوم الإنسانية. جامعة محمد الأول. وجدة.
- عبد الكريم بوفرة: 2011 (1). من اللغات السامية إلى اللغات "العروبية". ص.87-103.
حوليات كلية اللغة العربية. العدد: 28. مراكش. عدد حاص: الدرس الشرقي في الإصدارات الأكاديمية الراهنة. قراءات نقدية.
-عبد الكريم بوفرة: 2011 (2). يهود الأندلس الإسلامية أو الثقافة العبرية بلسان عربي.
ندوة: All Andalus. كلية الآداب. وجدة بتاريخ: 31 أكتوبر- 01 نونبر 2011.
-عبد الكريم بوفرة: 2011 (3). تيه المكان أو جغرافية التوراة. ص.25-48.
مجلة الآداب. العدد: 2. السلسسلة الجديدة. أطتوبر 2011.
منشورات كلية الآداب والعلوم الإنسانية. جامعة محمد الأول. وجدة.

(1) تسمى تلك الترجمة הרקמה فإن ذُكر اسم سيبويه فيها فإن كلامه تم التغاضي عنه (ص.157) بالكامل. "حتى حكى عنهم سيبويههم"...
أنظـــر: ספר הרקמה: יונה מרון אבן גנאח. מתורגם עברית מאת יהודה אבן תבון. 1856.
רוב גלדנברג ורפאל בן שמעון קירהיים. פראנפורט. 289 ע.

ترجمته إلى اللغة العبرية في مرحلة لاحقة، وذلك على غرار كثير من النحاة اليهود في الأندلس الإسلامية السابقين أو اللاحقين عليه أو المعاصرين له. مما يجعلنا أمام نص عربي كُتب بطريقتيْن مختلفتيْن: العربية-العبرية والعبرية.

ويمكن تلخيص تأثر ابن جناح بسيبويه في العناصر العامة الآتية (قبل الخوض في تفاصيلها):

- القول بالأصول الثلاثية في الاستقاق.
- القول بالقياس على طريقة البصريين.
- اعتبار مسألة السماع غير مجدية في حالة اللغة العبرية، نظرا لظروف هذه اللغة من الناحية التاريخية. فنظرا لغياب النصوص الدالة والشواهد المعبرة فإن السماع يستطيع تجاوز كثير من المعضلات اللغوية والصرفية والصوتية في عبية التوراة والتي انتقلت فيما بعد إلى العبريات اللاحقة (عبرية المشنا والتلمود، وعبرية النهضة اليهودية أو الهسكالاه، والعبرية الحديثة، والعبرية المعاصرة).

ونلاحظ أن ابن جناح القرطبي، على غرار كثير من النحاة واللغويين وفقهاء اللغة اليهود في الأندلس الإسلامية، كان يتبع سيبويه في تقسيم الكلام إلى اسم وفعل وحرف، وتقسيم الاسم إلى جامد ومشتق، وإلى مفرد وجمع ومثنى، وإلى مذكر ومؤنث، وتقسيم الفعل إلى ماض ومضارع، وإلى مجرد أو مزيد...واعتبار الأصل الثلاثي ميزانا للاشتقاق...بل استعمل كثيرا من المفاهيم الواردة في كتاب سيبويه، من قبيل الوهم والخطأ، بل بعض الاستعمالات النادرة عند سيبويه نفسه مثل الفعل "اتلأب" بمعنى "استقام واطرد" (في الكتاب: 2/ 297)، بل في عرض القضايا والمسائل، مثل قول ابن جناح في اللمع (ص.17) إن " النحاة العرب يضعون المستقبل قبل الماضي، ويقولون إنه لا يكون ماض حتى يكون مستقبل. نقول: هو يفعل فإذا أوجب فعله قلت: قد فعل ".

وتعبر أبواب كتاب " اللمع " 45 نفسها من خلال العناوين[1] عن مدى تأثير سيبويه في ابن جناح القرطبي:

- الباب الأول: في مبادئ الكلام. الأسماء والأفعال والحروف.

الفعل: ماض ومستقبل.

الجملة: خبر وغير خبر. (غير خبر: استفهام، نداء، تمن، طلب، أمر، نهي مع استشهادات من التوراة).

- الباب الثاني: في ذكر مخارج الحروف ووصف بعض خواصها.

الحروف اللينة.

حروف בגדכפת BaGaDKaPaT.

مخارج الحروف: أقصاها الحروف الحلقية. ونجده هنا ينقل حرفيا ما كتبه سيبويه والمبرد صاحب " المقتضب " لدرجة التطابق التام.

- الباب الثالث: ذكر أقل أصول الأسماء والأفعال والحروف وأكثر أصولها.

- الباب الرابع: معرفة الحروف الأصلية والزوائد.

- الباب الخامس: تلخيص أكثر معاني حروف الزيادة وذكر مواضعها في الأسماء والأفعال والحروف، وهي الشين واللام والزاي والميم والياء والألف والكاف والتاء والباء والنون والهاء.

ש ל ז מ י א כ ת ב נ ה.

-Joseph Derenbourg: 1886.(1)
Grammaire hébraïque en arabe d’Aboul-Walid Merwan Ibn Djanah de Cordue.
F.Vieweg, Libraire-Éditeur. Paris. 518 pages.

- الباب السادس: تبيين ابتدال بعض الحروف ببعض، خصوصا حروف اللين، وإيضاحها.

- الباب السابع: ما يعتور من الحركات بعضها بعضا (إبدال الحركات).

- الباب الثامن: باب آخر من الإبدال (بدل البعض من الكل والكل من الكل).

- الباب التاسع: ذكر أكثر أبنية الأسماء المزيدة وغير المزيدة والمشتقة وغير المشتقة.

- الباب العاشر: في معرفة الأبنية وتقطيعها بالأفاعيل.

- الباب الحادي عشر: أبنية أكثر الأسماء الرباعية.

- الباب الثاني عشر: أبنية أكثر الأسماء الخماسية.

- الباب الثالث عشر: باب عام في التصريف بإيجاز.خاص بالتصريف، الفعل المزيد المتعدي...ويستعمل هنا المضارع مثل سيبويه، وليس الدائم كما يقول الكوفيون مثلا.

- الباب الرابع عشر: ذكر ما يعرض من الأفعال والأسماء التي تدخلها أحرف (حروف) الحلق.

- الباب الخامس عشر: في ذكر تعدي الأفعال والمصادر.

- الباب السادس عشر: الضمائر.

- الباب السابع عشر: ذكر أحكام واو العطف.

- الباب الثامن عشر: الإضافة.



- الباب التاسع عشر: الاتصال والانفصال، وفي ذكرما ينصرف وما لا ينصرف.

- الباب العشرون: الإضافة النسبية.

- الباب الحادي والعشرون: في الإدغام ومعناه ومن أين وجب.

- الباب الثاني والعشرون: ما اختير فيه الإظهار على الإدغام والإتمام على النقصان.

- الباب الثالث والعشرون: الجمع والتثنية.

- الباب الرابع والعشرون: ما استعمل فيه الحذف.

- الباب الخامس والعشرون: ما زيد فيه للتأكيد مما في الكلام غني عنه (الزيادة بغرض التأكيد).

- الباب السادس والعشرون: ما يكرر اضطرارا أو شبها بالإضطرار.

- الباب السابع والعشرون: ما قيل بلفظ ما والمراد به غيره.

- الباب الثامن والعشرون: باب آخر منه ما قيل بلفظ ما والمراد به غيره. المفرد والمراد به الجمع.

- الباب التاسع والعشرون: ذكر جملة من ألفاظ شاذة خارجة عن القياس.

- الباب الثلاثون: نذكر فيه معاني الشذوذ من ألفاظ شاذة خارجة عن القياس.

- الباب الحادس والثلاثون: من المقلوب من ألفاظ شاذة خارجة عن القياس.

- الباب الثاني والثلاثون: من المقدم والمؤخر من ألفاظ شاذة خارجة عن القياس.

- الباب الثالث والثلاثون: ما حمل من الكلام على الأقصى لا على الأدنى.
- الباب الرابع والثلاثون: في الاستفهام من الكلام على الأقصى لا على الأدنى.
- الباب الخامس والثلاثون: نذكر فيه أحكام هاء الاستفهام.
- الباب السادس والثلاثون: في المعرفة والنكرة.
- الباب السابع والثلاثون: في التذكير والتأنيث.
- الباب الثامن والثلاثون: ما حمل المؤنث فيه محمل المذكر.
- الباب التاسع والثلاثون: ما حمل فيه المذكر محمل المؤنث.
- الباب الأربعون: ما بلفظ واحد للذكر والأنثى.
- الباب الحادي والأربعون: ما أنثوه تأنيث القصة أو الحال أو الكلمة أو الجماعة.
- الباب الثاني والأربعون: في هاء ضمير المؤنث الغائب.
- الباب الثالث والأربعون: العدد.
- الباب الرابع والأربعون: في تعريف العدد.
- الباب الخامس والأربعون: باب آخر منه.

ونورد على سبيل المثال فقط هنا مقدمة كتاب أبي الوليد مروان بن جناح القرطبي، وننقلها شخصيا من الخط العبري إلى الخط العربي (والنص كما هو دون أدنى تصويب منا):



المقدمة

الحمد لله الذي خلق الإنسان فعلمه النطق وهداه إلى الإقرار بربوبيته والإعلان بوحدانيته فأوضح له سبيل الهدى واستنقذه من طريق الردى وخص اللغة العبرانية بالفضل والمعزة من بين جميع اللغات فأنزل بها كُتُبَهُ المنزلة وأبانَ بها عن شرائعه المطهرة. أحمده حمدا يبلغ رضاه ويوجب الألفة لديه والقربة من رحمته.

أما بعد فإنه لما كانت صناعة علم اللسان أداة لكل مطلوب ومدخلا إلى كل مبحوث عنه كان الاجتهاد في البلوغ إلى غايته والإحاطة بجميع فنونه والحرص على الوقوف على نهايته ومعرفة صحيحه من سقيمه وتامه من ناقصه ومحكمه من مجازه ومطرده من شاذه وغير ذلك مما يعتوره أمرا واجبا وشيئا لازما ضروريا إذ بالإحاطة به تكون الإحاطة بجميع المعاني التي يبحث عنها وبقدر ما يلحق ذلك من التقصير والنقصان يكون نقصان فهم ما يُطلبُ به وتقصير علم ما به يُسأل عنه. وأيضا فإنه لما كان ثواب الله تبارك وتعالى أفضل ما يقتنيه المرء في دنياه وأجَل ما يحتسبُهُ ويُعدهُ لأخراه وكان الوصول إليه لا يتم إلا بالوقوف على ما تضمنته كتب الوحي وامتثال أمره ونهيه وكانت هذه الكتب لا يوقف على ما فيها إلا بعلم اللسان كانت عناية المرء بإتقان هذا العلم وكان سعيه لإدراكه وتجويده وتدقيق معانيه وتعليل لفظه أوجبَ وألزمَ وأشدَ اضطرارا على حسب شرف المطلوب وجلالة قدر المبحوث عنه وعلى قدر ما صح في نفوسنا وتحقق في عقولنا عظمة منزلها وجلالة قدره عز وجل...

[אלמקדמה]

١٧. אלחמד ללה אלדי כלק אלאנסאן פעלמה אלנטק והדאה אלי אלאקראר בדבוביתה ואלאעלאן בוחדאניתה פאוצח לה סביל אלהדי ואסתנקדה מן טריק אלרדא וכץ [אללה] אלעבראניה באלפצל ואלמזה מן בין גמיע אללגאת פאנזל בהא כתבה אלמקדסה ואבאן בהא ען שראיעה אלמטהרה אחמדה חמדא יבלג רצאה ויוגב אלאלפה לדיה ואלקרבה מן רחמתה.

אמא בעד פאנה למא באנת צנאעה עלם אללסאן אדאה לכל מטלוב ומדכלא אלי כל מבחות ענה באן אלאגתהאד פי אלבלוג אלי גאיתה ואלאחאטה בגמיע פנונה ואלחרץ עלי אלוקוף עלי נהאיתה ומערפה צחיחה מן סקימה ותאמה מן נאקצה ומחכמה מן מגאזה ומטרדה מן שאדה וגיר דלך ממא יעתורה אמרא ואגבא ושיא לאזמא צרוריא אד באלאחאטה בה תבון אלאחאטה בגמיע אלמעאני אלתי יבחת ענהא ובקדר מא ילחק דלך מן אלתקציר ואלנקצאן יבון נקצאן פהם מא יטלב בה ותקציר עלם מא בה יסאל ענה. ואיצא פאנה למא באן תואב אללה תבארך ותעאלי אפצל מא יקתניה אלמרי פי דניאה ואגל מא יבתסבה ויעדה לאכראה ובאן אלוצול אליה לא יתם אלא באלוקוף עלי מא תצמנתה כתב אלוחי ואמתתאל אמרהא ונהיהא ובאנת הדה אלכתב לא יוקף עלי מא פיהא אלא בעלם אללסאן באנת עניאה אלמרי באתקאן הדא אלעלם ובאן סעיה לאדראכה ותגוידה ותדקיק מעאניה ותעליל לפטה אוגב ואלזם ואשד אצטרארא עלי חסב שרף אלמטלוב וגלאלה קדר אלמבחות ענה ועלי קדר מא צח פי נפוסנא ותחקק פי עקולנא מן עטמה מנזלתהא וגלאלה קדרה עז וגל. ולם יזל אפאצל אואילנא רצי

אללה ענהם יגתהדון[a] פי דלך ויחרצון עליה ויחצון עלי אסתעמאלה בקולהם[b] פי גמלה לואזם אלאבא לאבנאיהם יודע לדבר אביו חייב ללמדו שמע ותורה צוה לנו ולשון הקדש[1]· ואמא אלדליל עלי אן פחם כתב[c] אלותי ותופיה אלשריעה חקהא לא יכון אלא בגודה פהם עלם אללסאן וכלוג אלגאיה מן אלביאן מע מא ישהד בה אלעקל מן דלך פהו קול אלאואיל רצי אללה ענהם בני יהודה שהקפידו על לשונם נתקימה תורתם בידם בני גליל שלא הקפידו על לשונם לא נתקימה תורתם בידם[2]· וקיל[d] איצא פי בני יהודה אלדין נחן מעשר אהל הדא אלצקע מנהם ולזמנא[e] אלאקתדא בהם ואקתפא אתארהם מתוך שהקפידו על לשונם ומתנחי להו סימני נתקימה תורתם בידם[3]· פקולהם ומתנחי להו סימני אנמא יראד בהא וצע אלאעראב ואלתדקיק ואלתעליל ומעני אלתקפדה הנא הו אלאחתיאט ואלמשאחה בקולהם תנו רבנן מפסגי אילנות מפסגי[f] נפנים מנקפי הנא מנכשי[g] זרעים ועודרי ירקות בזמן שבעל הבית מקפיד עליהן הרי הן של בעל הבית[4]· וקאלוא איצא אמר רב יהודה אמר רב בני חבורה המקפידין זה על זה עוברין משום סדה ומשום משקל ומשום מנין ומשום לווין ופורעין ביום טוב וכדברי בית הלל *אף משום[h] רביה יעני אן אלגרמא אדא שאחח בעצהם בעצא פי אן יטעם בעצהם אצחאבה פי דולתה כבז אללשכאר ויטעם אלאכר כבזא נקיא או אן יסקי אלואחד כמרא טיבא ויסקי אלאכר נכירא ומא אשבה דלך פקד לזמהם הדה אלאוצאף· פיא לה מן עלם הדה[i] פאידתה ומן תגר יכון דא רבחה אד[k] זמן באעה ולם V. יקתנה למוצוע פי ביעה ומובום פי תגרה נעוד באללה מן דלך· וראית אלקום אלדין[l] נחן פי[m] טהראניהם יגתהדון פי אלכלוג אלי גאיה עלם לסאנהם עלי חסב מא דכרנאה ממא יונכה אלנטר ויקצי בה אלחק· ואמא אהל לסאננא פי זמאננא הדא פקד גברוא הדא אלעלם ורא אטהרתהם ונעלוא הדא אלפן דבר אדאנהם ואסתכפוא בה ותסכוה פצלא לא יחתאג אליה ושיא לא יערג עליה פתערוא[n]

[a] P. יגהדון [b] P. בקולהם [c] P. כתאב [d] P. וקאל [e] P. ולזמנא [f] A. R. מפסקי [g] A. מנשקי; P. R. אמנקשי: comp. Kitâb al ousoul, col. 434, l. 7: מנקשי זרעים [h] A. ומשום [i] P. תכון הדה [k] P. אן [l] P. אלדי [m] P. בין [n] P. פערו

[1] Souccâh 42 a (cf. Tosefta Hagîgâh, 1. 2). [2] Eroubin 53 a. [3] ibid. [4] Bâbâ kammâ 119 b.



מן מחאסנה ותעטלוא מן פצאילה וכלוא מן זינה וחליה חתי נעל כל ואחד מנהם ינטק כיף ישא[a] ויתכלם כמא אראד לא יתחרגון פי דלך ולא ישאחון פיה כאנה לים לללגה קאנון ירגע אליה ולא חד יוקף ענדה[b] קד רצוא מן אללסאן במא יסר אמרה ענדהם וקנעוא מנה במא סהל מאכדה עליהם וקרב אלתמאסה מנהם לא ידקקון[c] אצלה ולא ינקחון פרעה פלהם פי אללגה מנאכיר יגרב[d] ענהא ואקאויל יזהד פיהא· ואכתר מן אסתכף מנהם בהדא אלעלם ואזדרי הדא אלפן פמן מאל מנהם אלי שי מן עלם אלפקה תיהא מנהם ביסיר מא יחסנונה מנה ועגבא בנזר מא יפהמונה מן דלך חתי לקד בלגני מן בעץ משאהירהם אנה יקול ען עלם אללגה אנה שי לא מעני לה ואן אלאשתגאל בה גיר סגד ולא מפיד ואן צאחבה מעני ומאלבה מתעב בגיר תמרה ינאלהא מנה· ואנמא אסתסהלוא דלך לקראתהם מא יקרונה מן אלפקה מלחונא ודראסתהם מא ידרסונה מנה מצחפא והם לא ישערון ודלך לעדמהם אלרואיה ופקדהם אלאסנאד· וקד כעת דלך אבתרתם עלי אלאסתכפאף בתקיד אלקראן ותמייז אלקמץ מן אלפתח[e] ואלמלעל מן אלמלרע· ואמא עלם אלתצריף ואלתכלם פיה פהו ממא יתשאמון בה ויכארון[f] ינעלונה מן גמלה אלזנדקה· ומא הכדא[g] עהדנא גלה אהל אלפקה קדימא[h] פהדא רבנו סעדיה נמר אללה וגהה יגתהד ויבלג אלגאיה אלתי תמכנה ויסרד נחו אלגרץ אלדי יבאלגה[i] וסעה[k] פי תביין אללגה ובסט אצולהא ותלכיץ פרועהא פי כתיר מן מוצועאתה מא כאן מנהא מכצוצא בהדא אלפן מהל כתאבה אלמוסום בכתאב אללגה ומא לם יכן מכצוצא בה איצא· והדא[l] שמואל[m] בן חפני ראס אלמתיבה רצי אללה ענה יחץ עלי הדא אלפן אשד אלחץ ויסתשהד פי מדח אהל אלפצאחה ואלאנפאד[n] פי עלם אללגה ואלמיז לתעלילהא ואלתוסע באלפכר פי תקאסימהא ווגוה תצאריפהא בקול אלולי ישר לבי אמרי ודעת שפתי ברור מללו[1]

a P. שא b P. עליה c P. יחקקון d P. ירגב e P. אלמאחת f Ainsi P.; A. (Munk) ויאכדון; R. וכמעט שלא = ויבארון g P. בהא h Le mot מסנדם, qui se lit ici chez Munk, ne se trouve ni dans P. ni dans R. Les lettres סנד, dans A., desquelles Munk a fait le mot מסנדם, sont rayées dans le manuscrit. i P. יבלגה k P. וסעה l P. ותדא m P. רב שמואל R. רבנו שמואל n A. P. ואלנפאד

1 Job. 33, 3.

ובקול אלנבי ארני יי נתן לי לשון למודים וגו'[1] ובקולה איצא וישם פי כחרב חדה[2] ובקול אלולי לשוני עט סופר מהיר[3] ובקול אלנבי ולשון עלגים תמהר לדבר צחות[4] וירם אלמציען[a] להדא אלשי וישבתהם באלקום אלדין קיל[b] פיהם ובניהם חצי מדבר אשדודית ואינם מכירים לדבר יהודית וכלשון עם ועם[5] ויעירהם באלסריאניין אלדין קיל[c] ענהם אנהם לם יתרבוא לגתהם והם מואטבון עליהא ואלפצאחה פי אלמנטק ואלאנפאר[d] פי עלם אללגה לא יכון אלא באלתוקף[e] עלי אצול אללגה ואלאחקאן לתצאריפהא אלדין[f] לא יחפל אצחאבנא בתמא. וקאל רצי אללה ענה פי עלם אלתצריף VI. כאצה אנה ממא[g] לא יסתגני ען עלמה[h] אלאנפעאל ואלאפתעאל ואלמצדר והדא הו עלם אלתצריף נפסה אלדי נמדחה[i] נחן ונפצל אהלה. וראיתה עלי גלאלה קדרה ונפאסה פטרה יקלד אהל אלרקדוק פי כתיר מן אלמואצע ויסלם אליהם ויסתשהד בהם פצלא ען אן ינכר[j] עליהם או אן יצעף עלמהם. ותסבנא נחן מא תאצדנא בה מן קול אלאואיל רצי אללה ענהם בני יהודה שהקפידו על לשונם נתקימה תורתם בידם בני גליל שלא הקפידו על לשונם לא נתקימה תורתם בידם[6] [k]ותסבך בהדא אלפן גלאלה ועטמא וארהפאע קדרך מא ועד אללה[l] מן תשריף אמתה פי אלאגל[m] באלפצאחה דלך קולה עז וגל ולשון עלגים תמהר לדבר צחות[7]. לם יֹרד בקולה ולשון עלגים אלעגם אלאלסן אעני מן לם יתכלם באלעבראניה אצלא לאנה לו כאן דלך לקאל תמהר לדבר יהודית ואנמא אראד אלמעגמי אלאלסן אעני אללאחנין[n] אלדין לא ידקקון[o] עלם אצול אללגה ולא יחסנון תצאריפהא עלי מא הם עליה אכתר אהל זמאננא הדא מע גהלהם דלך מן אנפסהם. פלדלך מא קאל תמהר לדבר צחות אי תנטק באלפצאחה ואלפצאחה מא תכון אלא מע אלוקוף[p] עלי מא דכרנאה מן אחכאם עלם אצול אללגה ותמייז

[a] P. אלמציעין; Munk אלמציען [b] A. P. קאל [c] A. P. קאל [d] P. ואלנפאר [e] P. באלתוקף [f] P. אלדי [g] P. om. [h] P. עלם [i] Munk met à tort נמדח; R מחמדם [k] A. תסבך בה; P. תסבך בה מן פן גלאלה ועטמה; מן פן אלגלאלה ועטמה [l] P. suppl. בה; R. בו [m] P. אלאגל (sic); Munk אלאגל [n] P. אללחאנין [o] P. ידקקן [p] P. באלוקוף

[1] Is. 50, 4. [2] ib. 49, 2. [3] Ps. 45, 2. [4] Is. 32, 4. [5] Néh. 13, 24. [6] cf. ci-dessus, p. 2, l. 6. [7] Is. 32, 4.

תצאריפהא· ואלעגב כל אלעגב מנהם פי אסתכפאפהם בעלם אללגה ואזדראיהם אהלה ופי קלה תפטנהם אן[a] תופיה אלשראיע חקהא מן אלפהם להא[b] ואלעמל בהא לא יכון אלא באלוקוף עלי אלדקדוק והם ישאהדון אלאואיל רצי אללה ענהם יסתעטלונה ויחתגון בה פי מנאטראתהם ואחתגאגהם בקולהם מאי מבעה רב אמר מבעה זה אדם ושמואל אמר מבעה זה השן רב אמר מבעה זה אדם דכתיב אמר שומר אתא בקר וגם לילה אם תבעיון בעיו שובו אתיו[1] ושמואל אמר מבעה זה חשן דכתיב איך נחפשו עשו נבעו מצפוניו[2] מאי משמע דלישנא דגלויי[c] הוא כדמתרגם רב יוסף איכדין אתבליש יוסף אתגליו[d] מטמורוהי ורב מאי טעמא לא אמר כשמואל אמר לך מי קתני[e] נבעה ושמואל מאי טעמא לא אמר כרב אמר לך מי קתני בועה[g]· פפי הדא אלאחתגאג סר כביר מן אסראר אלדקדוק ודלך אן מבעה פאעל ונבעו מצפוניו אלדי אסתשהד בה שמואל פהו אנפעאל פלמא באינה פי אלבניה הדה אלמבאינה אעני למא לם יכן המבעה מן בניה נבעו אי למא לם יכן נבעה אבי רב אן יקתטעה מנה דלך קולה מי קתני נבעה· וכדלך למא כאן אם תבעיון בעיו פעלא כפיפא וכאן המבעה תקילא אבי שמואל אן יקתטעה מנה דלך קולה מי קתני בועה פבאנה מבאינה אלתקיל ללכפיף ענד שמואל אבעד מן מבאינתה ללאנפעאל ואן כאן אלאנפעאל לא יכון אלא מן לגה כפיפה ודלך מן אגל אן אלפעל אלכפיף לא יכרג אלי אלתקל אלא בזיאדה כמא אן אלאנפעאל לא יכון אלא בזיאדה פלמא תגאנסא פי אלזיאדה תקארבא ענדה פי אלבניה· ואמא רב פלמא כאן המבעה מתעדיא וכאן נבעו גיר מתעד כאן ענדה מבאינא לה וכל קד דהב מדהבא· פהדא מן לטיף אלדקדוק ודקיקה וכפיה כאן אלאואיל רצי אללה ענהם יערפונה ויקפון עליה ויראעונה· ולסת אדרי מן פקהא זמאננא הדא מן וקף[f] עלי מא כשפנאה מן סר הדא אלאחתגאג· וקאלת אלאואיל פי קול אלמשנה וכשהזיק חב המזיק חב חייב מבעי ליה אמר רבא האי תנא תנא ירושלמאה הוא דתאני לישאנא קלילא[3] והדא איצא

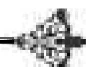
[a] A. אלא אן; P. אלי אן [b] P. לדלך [c] P. דגילויא [d] P. אתגליאן [e] A. סרקתני P. מאי קתני [f] P. יקף [g] P. suppl. איצא

[1] Is. 21, 12. [2] Ob. 6. [3] Bâbâ kammâ 2b. [4] ib. 6b.

מן עלם אלדקדוק אעני אלתפריק בין אלכׄפיף ואלתׄקיל· ופי כלאמהם מן הדׄא כתׄיר יסתדל מנה עלי פצׄל הדׄא אלעלם וגׄלאלה קדרה וממא יסתדל בה איצׄא עלי אעתנא· אלאואיל באללגׄה ותנקיחהם ללכלאם קולהם אמר רבי[a] אי איכא דמשייל להו לבני יהודה דדייקי לישאנא[b] מאברין תנן או מעברין תנן אכוזו תנן או עכוזו תנן[1]· פקולהם[c] ען בני יהודה דדייקי לישאנא[b] דליל עלי אעתנאיהם בה[d]· ולקד ילזם אהל אלזׄמאן פי הדׄא אלפן אן יסתדלוא מן אצחאב אלמסורת ואן יקתדוא בהם פי כתׄרה אנתׄהארהם ושדה בחׄתׄהם ופצׄל ענאיתהם ופרט אתעאבהם לאנפסהם פי חצרהם אלמלא ואלחסר ותמייזהם אלמלעל VII. מן אלמלרע חתי אנהם ענוא בכמיה אלפסוקים אלתי יגׄתמע פיהא חרוף אלמעגׄם וגיר דׄלך ממא ענוא בה אחתיאטׄא עלי חפטׄ הדׄה אלכתב אלמטהרה עלי מא וׄגדת עליה פי אלצורה פצׄלא ען מתׄל הדׄא אלעלם אלגׄליל אלנׄטׄר[e] אלעטׄים אלקדר[f] אלמודי אלי עלם[g] כלאם אללה אלמעין עלי אלעמל באמרה ונהיה אלמזלף אלי תׄואבה אלמבעד ען[h] עקאבה· פלמא כאנת מנזלה עלם אללסאן אלמנזלה אלתי וצפנאהא וכאנת דרגׄתה אלדרגׄה אלתי דׄכרנאהא אעתקדנא אן נולף פי דׄלך כתאבא נגׄמע פיה אבואבא תשתמל עלי אכתׄר עלם אללגׄה ותחיט בגׄל אסתעמאלהא[i] ומגׄאזאתהא ואנחאיהא ונודעה איצׄא אכתׄר אצולהא אלמוגׄודה ענדנא פי אלמקרא ונשרח גריבהא ולא נדע פי אלמקרא שיא יסתפאד מן אלמצאדר ותצאריף אלאפעאל אלא ונודעה כתאבנא הדׄא ונבין דׄלך ונבסטה בקדר וסענא ומבלג טאקתנא· ואנא מזמע אן אסתשהד עלי שרח בעץׄ אלאצול במא אמכנני מן אלמוגׄוד פי אלמקרא ומא לם אגׄד עליה שאהדא מן אלמקרא אסתשהדת עליה במא חצׄרני מן אלמשנה ואלתלמוד ואללגׄה אלסריאניה אדׄ גׄמיע דׄלך מן אסתעמאלאת אלעבראניין מקתפיא פי דׄלך אתׄר ראס אלמתׄיבה אלפיומי רחמה אללה פי אסתשהאדה עלי אלסבעין לפטׄה אלמפרדה פי אלמקרא מן אלמשנה ואלתלמוד ואתׄר גירה מן אלגאונים איצׄא כרב שרירא ורב האיי רצׄי

[a] Edit. רבי אבא [b] A. P. לישאני [c] P. פקולה [d] P. כהא [e] P. אלקדר [f] P. אלנׄטר [g] P. פהם [h] P. מן [i] P. אסתעמאלאתהא.

[1] Eroubin 53 b.



אללה ענהסא ואתר גירהמא איצׄא· ומא לם אגׄד עליה שאהדא ממא דכרתה וגׄרת אלשאהד עליה מן אללסאן אלערבי לם אנכל מן אלאסתשהאד בואצׄחה ולם אתחרגׄ ען אלאסתדלאל בלאיחה במא יתחרגׄ ען דׄלך מן צׄעף עלמה וקלׄ תמייזה מן אהל זמאננא לא סימא מן אסתשער מנהם אלתקשף ואדתרי באלחדין מע קלה אלתחציל לחקאיק אלאמור· וקד ראית ראס אלמתיבה רב סעדיה נצׄר אללה וגׄהה יתוכא עלי מתׄל דׄלך פי כתׄיר מן תראגׄמה אעני אנה יתרגם אללפטׄה אלגריבה במא יגׄאנסהא מן אללגה אלערביה· וקד ראית אלאואיל רצׄי אללה ענהם והם אלקדוה פי כל שי יסתשהדון עלי שרח גריב לגתנא במא גׄאנסה מן גירהא מן אללגאת· ראיתהם יקולון אמר ר׳ שמעון בן לקיש כל המגדל כלב רע[b] בתוך ביתו מונע חסד [a]מתוך ביתו[c] שנאמר למס מרעהו חסד[1] שבן בלשון יוני קורין לכלב למס[2]· וקאלוא איצׄא פי קול אללה תבארך ותעאלי באש ישרפו אתו ואתהן[3] ואת אחת מהן שבן בלשון יוני קורין לאחת הן[4]· וקאלוא איצׄא אמר ר׳ יוחנן משום ר׳ אלעזר בן שמעון אין לו להקבה בעולמו אלא יראת שמים בלבד שנאמר ויאמר לאדם הן יראת יי׳ היא חכמה[5] שבן בלשון יוני קורין לאחת הן[6]· וקאלוא איצׄא פי קול אלכתאב במשוך בקרן היובל[7] מאי משמע דהאי יובל לישנא דדכרא הוא דתניא אמר ר׳ עקיבא כשהלכתי לערביא היו קורין לדכרא יובלא לגליא היו קורין לנדה גלמודה לאפריקיא קורין למעה קשיטה לפרושי במאה קשיטה[8] דאורייתא· לכרכי הים קורין למכירה כירה לפרושי בקברי אשר כריתי לי[9] ואמר ר׳ שמעון בן לקיש כשהלכתי לתחום קן נשריא היו קורין לכלה נינפי ולתרנגול שכוי לכלה נונפי רב יהודה ואיתימא ר׳ יהושע בן לוי מאי קראת יפה נוף משוש כל הארץ[10] ולתרנגול שכוי אמר רב ואיתימא ר׳ אלעזר מאי קראה מי שת בטוחות חכמה או מי נתן לשכוי בינה[11] מי שע. שת בטחות חכמה אלו הכליות או מי נתן לשכוי בינה זה תרנגול[12]· אפלא תראהם יפסרון כתאב אללה מן אללסאן אליונאני ואלפארסי ואלערבי ואלאפריקי וגירהא מן אלאלסן פלמא ראינא הדׄא מנהם לם

[a] P. suppl. מר [b] A. P. om. [c] P. מביתו

[1] Job 6, 14. [2] Sabbat 63a. [3] Lév. 20, 14. [4] Iebâmôt 94 b. [5] Job 28, 28. [6] Sabbat 31 b. [7] Jos. 6, 5. [8] Gen. 33, 19. [9] ib. 50, 5. [10] Ps. 48, 3. [11] Job 38, 36. [12] Rôsch haschânâh 26 a.



נתחרג̇ ען אלאסתשהאד עלי מא לא שאהד עליה מן אלעבראני במא וג̇דנאה מואפקא ומג̇אנסא לה מן אללסאן אלערבי אד̇ הו אכת̇ר אללג̇את בעד אלסריאני[a] שבהא בלסאננא· ואמא אעתלאלה ותצריפה ומג̇אזאתה ואסתעמאלאתה פהו פי נ̇מיע ד̇לך אקרב אלי לסאננא מן ג̇ירה מן אלאלסן יעלם ד̇לך מן אלעבראניין אלדאסכ̇ון פי עלם לסאן אלערב אלג̇אפרון פיה ומא אקל̇הם· ולסנא נקנע נחן פימא נסתשהד מן ד̇לך במת̇ל מא קנע בה אלאואיל רצ̇י אללה ענהם ממא ד̇כרנאה מן אסתשהאדהם[b] בל במא הו אבין ד̇לילא ואקוי ברהאנא לעלמי בתעסף אהל זמאננא וכת̇רה תשטטהם ובמא יבעת̇הם עליה אלחסד מן אלאנכאר למא ליס במנכר ומן אלדפע פימא לא מדפע פיה· פאן כת̇ירא מן חסאד אהל אלעלם פי זמאננא הד̇א ופי צקענא[c] כאצה קד יבעת̇הם אלחסד להם מע אלג̇הל עלי אלתעלל עליהם פי מעני בדיע יסתנבטונה ופי תפסיר רפיע יסתחד̇ת̇ונה פי ג̇יר אלאמור אלשרעיה ממא יכון מכ̇אלפא לקול אלמדרש או אלהגדה באן יקולוא הד̇א כ̇לאף מא קאלתה אלאואיל וישנעון ד̇לך עליהם ויעט̇מונה ויכאחת̇ון בה וימכ̇רקון בה עלי אלרעאע חתי יצ̇דונהם ען חקאיק אלאשיא ויזה̇דונהם פיהא חסדא מנהם לד̇וי אלעלם וג̇הלא בקול אלאואיל רצ̇י אללה ענהם אין מקרא יוצא מידי פשוטו[1] ובקולהם איצ̇א פשטיה דקרא לחוד והלכה לחוד[2] אד̇ ליס מן אלממתנע אן יחתמל אללפט̇ מעניין ג̇איזין ואזיד מן ד̇לך במא קאלת אלאואיל רצ̇י אללה ענהם מקרא אחד יוצא לכמה טעמים ואין טעם אחד יוצא לשני מקראות דבי ר' ישמעאל תאנא הלא כה דברי כאש נאם יי' וכפטיש יפוצץ סלע[3] מה פטיש זה מתחלק לכמה ניצוצות אף מקרא אחד יוצא לכמה טעמים[4]· ואיצ̇א פלק̇לה̇ מטאלעתהם[d] לתפאסיר רב סעדיה ותפאסיר שמואל בן חפני רצ̇י אללה ענהמא אלפשאטיה̇ פהם ינכרון מת̇ל הד̇א עליהם פצ̇לא ען אן ינכרוא מא יסתשהד בה מן אללפט̇ אלערבי· ואשנע מן הד̇א ואקבח מן פעלהם ואט̇הר מן ג̇הלהם אנכארהם עלינא מעשר אהל אלתפסיר לכתב אללה אלמנזלה[e] אלאסתשהאד באלפאט̇ אלמשנה

[a] P. אללסאן; אלסריאני [b] P. אסתשהאדאתהם [c] P. suppl. ודא; R. דה. [d] A. מטלעתהם
[e] P. ללכתב אלמנזלה

[1] Sabbat 63 a. [2] Nous n'avons pas trouvé ce passage. [3] Jér. 23, 29. [4] Sanhedrin 34 a.

אד ינעלונהא כמא יוגד פיהא מן אלפאט גריבה כארגה ען קיאס אללגה מתל מא קיל פיהא לא יתרום ואם תרם תרומתו תרומה[1] קאלוא הדא גלט לאן אלתא מן תרומה ליסת אצלא וקד אגרוהא פי תרם ויתרום מגרי אלאצלי לאן חנתמא פעל ויפעול· וטענוא איצא במתל הדא פי קולהם התחיל ויתחיל מן תחלה לאן אלתא פי תחלה מזידה לאנה מן החל הנגף[2] והכדא קאלוא פי קולהם מתריעין ויתריעו[3] מן תרועה לאנה מן ויריע העם[4]· וטענוא איצא פי קולהם לא יופך במעני יהפוך חתי קאלוא היתה שדהו זרועה חטים ונמלך[a] לזרעה שעורים ימתין לה עד שיתליע ויופך ואחר כך יזרע ואם צמחה לא יאמר אזרע ואחר כך אופך אלא הופך ואחר כך זורע[5]· וקאלוא איצא פי קול אלמתניתין מדיח ומליח[e] אנה גלט פי אלתצריף ובטא פי אלאשתקאק ודלך אן מליח ינבג אן יכון מן במלח תמלח[7] ואלמים פי במלח תמלח אצל והי פי מליח זאידה דאלה עלי אלפאעל אלמאכוד מן אלפעל אלתקיל אלדי עלי

IX. זנה[b] הפעיל וכאן ואנבא אן יכון ממליח עלי זנה הנני ממטיר לכם[8] פקולהם מליח עלי מתאל מדיח ארא גלט לאן מדיח מעתל אלעין מן ידיחו את העולה[9] ואלמים פיה זאידה ומליח ענדהם מן מעני במלח תמלח והדא כלף· הכדא טענוא עלי הדה אלאלפאט ועלי מא ישבההא ויגאנסהא פי אלכרוג ען אלמסתעמל ואנמא ערץ להם הדא לתואניהם וגפלתהם ועמאיהם[c] עמא וקע פי אלכתאב מן מתל הדה אלשואד[d] עלי כתרתהא ולקלה תיקטהם ותנבההם להי וקד אורענא נחן מנה גמלה דאלה עלי גירה פי באב אפרדנאה לה פי הדא אלגז אלאול מן דיואננא הדא ונחן נגזה אלמשנה עמא יקתרפונה הם מן אלגלט פי הדה אלאלפאט ונבין גרץ אלאואיל רצי אללה ענהם וגה מגאזהם פיהא פנקול אן מן מגאזאת אצחאב אללגאת ואסתסהאלאתהם פיהא. אנהם ארא כתר אסתעמאלהם ללשי רבמא חרפוא מן אצלה אסתכפאפא כמא צנע אלעבראניון פי תן ותך ותט ותצו וגיר דלך כתיר ממא קד בין פי כתאב חרוף

a P. suppl. עליה b P. בניה c P. תומהם d P. הדא אלשואד e A. om.: Munk suppl. כשי

[1] m. Teroumâh ch. 1, § 1. [2] Nomb. 17, 11. [3] m. Taanît 3, 1. [4] Jos. 6, 20. [5] m. Kilaïm 4, 8. [6] Hôlin 113 a. [7] Lév. 2, 13. [8] Ex. 16, 4. [9] Ex. 40, 38.



אללין ופי כתאב דואת אלמתלין ובינאה נחן פי אלמסתלחק וגירה ונבינה איצא פי כתאבנא הדא· ורבמא זאדוא פי אללפט עלי אצלה כזיאדתהם אלאלף אלמהמוזה פי ואשמאילה[1] ופי וכי תשמאילו[2] ידל עלי דלך קולה השימי השמילי[3] וקולהם שמאל[4] בואו אלמר ואן בֻּתכת אלפא בגיר המזה וכזיאדתהם אללאם פי שלאנן ושלו[5] ואלמים פי נמבזה ונמס[6] אלדי אלוגה אן יכון נבזה ואן כאן קד יחתמל ונהא אכר סנדכרה פי גיר הדא אלמוצע וכזיאדתהם גיר דלך מן חרוף אלזיאדה ממא סאבינה· והדא אלמגרי גרת אלעֲרב איצא פי לגתהא מן אלחרף ואלזיאדה· אמא אלחרף פכקולהם בֿדֿ וזֿןֿ ודֿ וסא אשבה דלך· ואמא אלזיאדה פכזיאדתהם אלהמזה פי קולהם שמאל ושאמל לאנה מן שמלת אלריח תשמל כמא[a] ענד אלעבראניין תשמאילו ואשמאילה מן שמאל בעשותו השימי השמילי[7] וכזיאדתהם אליא פי קולהם פי תצגיר לילה ליילה וכזיאדתהם אלמים פי קולהם ללאזרק זרקם וכקולהם ללדלקא והי אלתי תכסר פוהא מן אלנוק וסאל לעאבהא דלקם וכזיאדתהם אללאם פי דלך ופי קולהם ללעבד עבדל· ורבמא אגרי אלעבראניון אלחרף אלגירי מגרי אלחרף אלאצלי כאגראיהם יא יהודיהם והי זאידה פיה לאנה משתק מן אודה את יי[8] מגרי יא יעץ פי קולהם מתיהדים[9] כמא קיל[b] ויתיעצו על צפוניך[10] פגעלו יא מתיהדים והי זאידה לא אצליה פא אלפעל מתל יא ויתיעצו לאנה למא כתר אסתעמאלהם ליהודים וארדוא אן יקתטעוא מנה פעלא געלוא יאיה[c] כאלאצלי פקאלוא מתיהדים עלי זנה מתפעלים פקאבלוא באליא מן מתיהדים אלפא מן מתפעלים ואליא מן מתיהדים הי יא יהודה ויא יהודה והאוה המא יא והא על כן עמים יהודוך[11] והמא זאידתאן לאן אליא ללאסתקבאל ואלהא הי הא תורה אלפעל אלמאצי אלתקיל ואלמסתקבל מן הודה יהודה לתפלה[12] ויהודה אלמסמי בה מאכוד מן הדא אלמסתקבל· לכנהם אגרוא יא אלאסתקבאל פי מתיהדים מגרי פא אלפעל ואגרוא אלהא אלמזידה אלדאלה עלי אלתקל מגרי עין אלפעל ואגרוא אלדאל

a P. suppl. כאן b A. קאל c P. אליא

1 Gen. 18, 9. 2 Is. 30, 21. 3 Ex. 21, 21. 4 Job 23, 9. 5 ib. 21, 28. 6 I Sam. 15, 9. 7 voy. ci-dessus l. 3—5. 8 Gen. 29, 35. 9 Est. 8, 17. 10 Ps. 83, 4. 11 ib. 45, 18. 12 Néh. 11, 17.

מגרי אללאם והי כאלחקיקה̈ עין אלפעל ואסקטוא פא אלפעל אלחקיקי אלד̇י הו אלואו[a] פי יהודה להפלה ואסקטוא איצ̇א לאמה אלחקיקי. והכד̇א צנע[b] אצחאב אלמשנה פי לא יתרום ואם תרם פאנהם למא כת̇ר אסתעמאלהם לתרומה קד̇רוה תקדיר הגמולה[1] פקאלוא תרם ויתרום כמא קיל גמל ויגמול. והד̇א כאן מד̇הבהם

I. פי מתריעין ומתחילין ויתריעו ויתחילו פאנהם למא חמלוא תרועה חמל הגסולה הזאת ומחמל גבורת וחמלוא תחלה מחמל קהלה גדולה[2] ושבּהוהמא בהא נעלוא אלתאיין מנהמא כאלאצל פקאלוא יתריעו ויתחילו עלי זנה̈ ויקהילו משה ואהרן[3] ועלי זנה̈ יגבירו מן ללשוננו נגביר[4]. ואמא יופך פכאן מד̇הבהם פיה אנהם ראוא אבדאל[c] אלאלף מן הא הפך פצאר אפך עלי מת̇אל אמר וג̇א מסתקבלה יופך כמא ג̇א מסתקבל אמר יאמר ומסתקבל אכל יאכל ואמא כתאבהם איאה באלואו פכמא כ̇תב כי יוכלו אתיקים[5] באלואו עלי אללפט̇ והו מן אכל. והד̇א משבה בפעל אלעבראניין פי אתחבר יהושפט[6] וכל מלבושי אגאלתי[7] וגירהמא פי אבדאלהם אלאלף פיהא מן הא. פקד ט̇הר אן מד̇הב אצחאב אלמשנה פי הרם ויתרום וגירהמא מת̇להמא הו מד̇הב אלעבראניין פי מתיהדים מוא[illegible]א ואן מד̇הבהם פי יופך אעני קלבהם הא הפך אלפא הו מד̇הב אלעבראניין פי אגאלתי וגירה. פמן אחסן אלט̇ן בהולא פליחסנה בהולא ואלא פהו נאיר גיר מלתזם ללעדל ולא מסתשער ללחק פאנהם מסתדלון בהם מתקילון פעלהם מתקפון[d] את̇ארהם קולא ופעלא. וליס במסתנכר אן יכון אפך מג̇אנסא ללפט̇ אלערבי אעני קולהם אפכ̇ה אלרגל ען אלאמר במעני קלבתה ענה ויסמון אלריאח אלמת̇פכאת לאנהא תקלב. וקד וגדת מת̇ל הד̇ה אלמג̇אזאת פי לגה̈[e] אלערב וד̇אך אנהם יעתקדון אן אשתקאק מכאן אנמא הו מן כאן יכון ואן וזנה מפעל לאן אצלה אן יכון מכ̇ון פאסכנוא אלואו אסתת̇קאלא לחרכתהא וחרכוא אלכאף באלפתח פאנקלבת אלואו אלפא לאנפתאח מא קבלהא מע סכונהא לכנהם קד אג̇רוה מג̇רי פעאל מפתוח אלפא פג̇עלוא מימה כאלאצלי לכת̇רה̈

[a] A. ואו [b] P. פעל [c] P. אבדאל [d] P. מקתפון [e] A. לסאן

[1] II Sam. 19, 37. [2] Néh. 5, 7. [3] Nom. 20, 10. [4] Ps. 12, 5. [5] Ez. 42, 5. [6] II Chr. 20, 35. [7] Is. 63, 3.



אלאסתעמאל פקאלוא מכאן ואמכנה עלי מתאל פעאל ואפעלה וקאלוא איצׄא תמכנת פי אלמכאן פאגׄרוה[a] מגׄרי תפעלת והו פי אלאצל תמפעלת לאן אצלה תמכונת פי מוצׄע תכוׄנת מתׄל קולהם תמרדעת פי מוצׄע תדרעת וקולהם תמסכנת פי מוצׄע תסכנת לאנה משתקׄ מן אלסכון· ומתׄל קולהם איצׄא תֹוב מֻמַרְגׄל מכאן מרגׄל יעני עלי צנאעה אלמרגׄל לאן אלמראגׄל ענדהם תׄיאב מׄן צׄרב אלושי[b] וכאן אלקיאס אן יקאל מרגׄל לאן חן מרגׄל מפעׄל וקולהם ממרגׄל אנמא הו ממפעל עלי זנה מֻדחרג אלא אן מדחרג מפעלל וממרגׄל ממפעל פאנזלוא אלמים אלתׄאניה מן ממרגׄל והי מזידה מנזלה אלדאל מן מדחרג והי אצל פאכׄרגוא ממפעלא ואצלה מפעׄל מכׄרג מפעלל והדׄא הו אלקיאס פי תמסכנת ותמדרעת· ולו אנהם גׄמעוא מכאנא עלי חקׄה ואנׄבה לקאלוא מכאון לאן חן מכאן כמא קלת עלי אלאצל מׄפעל וגׄמע מפעל אנמא הו מפאעל לכנהם אגׄרוה מגׄרי קדׄאל ואקדׄלה· והדׄא הו איצׄא מגׄאז קול אלעבראניין גודדין לחרטין ולחורנין ולמוכסין[1] פי אסם אלפאעלין מן מכס אד שבׄהוא מכס בקול אלכתאב מכיאים דאג וכל מכר[2] ואן כאן מא ימתנע גׄואז[c] כון אלמים פי מכס אצלא· ואן כאן מן מעני תכסו על השה[3] ולים יכון חינידׄ מן אצלה· ומא מן שי יתכלׄמון בה עלי גיר קיאס מא יוגׄד פי אלכתאב אלא והם יחאולון בה וגׄהא· ואמא קולהם מדיוח ומליח פאנמא אראדוא בה תעדיל אללפטׄ ותזויגׄה ותסויתה לאן מן עאדה אלעבראניין פעל מתׄל דׄלך בקולהם את מוצאך ואת XI. מוכאך[4] ומוצאיו ומובאיו[5] פחמלוא מובאׄ והו מעתׄל אלעין מחמל מוצא והו מעתל אלפא תזויגׄא ללכלאם ואצל מובא מבוא· ובקולהם איצׄא הדׄו והנׄו מלב[6] פחמלוא הגו והו מצדר פעל כפיף מעתׄל אללאם אדׄ הו מן והגיתי בכל פעלך[7] מחמל הדו והו מצדר פעל תׄקיל מעתׄל אלפא ואללאם אדׄ הו מתׄל ולהורות את בני ישראל[8]· וקד תפעל אלערב מתׄל הדׄא בקולהם אני לאתיה באלעשאיא ובאלגדאיא פקאלוא באלגדאיא אתבאעׄא ללפטׄ אלעשאיא ולים עלי חקה ואנׄבה ובׄגׄמע בעצׄהם בין מאזוראת והו מן אלוזר

[a] A. מאגׄרוא [b] A. פי צׄרב אלושי; P. פי צׄרב מן אלושי [c] A. גׄואז

[1] m. Nedârim ch. 3, § 4. [2] Néh. 13, 16. [3] Ex. 12, 4. [4] II Sam. 3, 25. [5] Ez. 43, 11. [6] Is. 59, 13. [7] Ps. 77, 13. [8] Lév. 10, 11.



ובין מאנוראת תזוינא ללכלאם ואנמא כאן חק אלכלאם אן יכון מחוראת פאריד בה תזויג אללפט כמא אריד דלך בקולהם אלגראיא חמלא עלי לפט אלעשאיא· פקול אצחאב אלמשנה ארא סליח אנמא הו מחמול עלי מדית כמא דכרנאה מן מדהב אצחאב אללגאת פי תעדיל אלכלאם לא גלטא[a] כמא יטן מן לא יחסן תנקיח אלכלאם ואצלה סמליח פחדף מים אלאצל תזוינא ללכלאם· פלו אן הולא[b] אלקום יעלמון מן מנאזאת אללגאת ואסתעמאלאתהא מא עלמנאה למא אנכרוא[c] למא נחנאה· ולגהל כתיר מן אלנאס ממן לא יטלע עליה[d] עלם לסאן אלערב כמא יגהונה פי לגתהם מן אלמגאזאת ואלאסתעאראת ווצע אלשי פי גיר מוצעה וגיר דלך כתיר מן אסתעמאלהם[e] ממא יסתעמל אלעבראניון פי לסאנהם מתל דלך איצא תראני ענד מא אבין אסתעמאלא מא מן אסתעמאלאת אלעבראניין כתירא מא אקול וקד צנעת אלערב מתל דלך פי קולהם כדא וכדא לארי אלאנמאר דלך פלא יסתוחשון ממא תסתגיזה אלעבראניון· ולסת אקול אן כל מא כתר אסתעמאלה יגוז פיה אלתחריף ולא אן אלזיאדה גאיזה פי כל מכאן ולא אזעם אן פי כל כלאם יגוז אסתעמאל מתל הדא אלתזויג ואלתעדיל אנמא דלך מרדוד אלי אלעבראניין ומוקוף עלי אסתעמאלהם פאנתהי חית נהצוא וקף חית וקפוא פאנא ופקך אללה תארך הולא יתרון בגהלהם וערמהם אלארב ומקבל עלי מא ינתפע בה בחול אללה· ומא תכפי ען אחד מן אהל אלעלם שדה מא ילחקני פי תאליף הדא אלכתאב מן אלתעב וכתרה מא ידרכני פיה מן אלנצב פליעלם מן כאנת הדה צפתה אני לא אתי דלך פכרא ולא אקצר בה דכרא בל אנמא גרצי פיה אלאזדלאף אלי אללה ואלתקרב מן תואבה כמא אפיד מן מעאניה מן גהלהא ואטלע מן מגאזיה מן נכרהא ואיצא פליכן עדה לי לזמאן אלשיבובה אלתי קד אשרפנא עליהא וכאן יסמיהא אפלאטון אם אלנסיאן[1]· ואכתר מן ינתפע בעלמנא הדא מנפעה כאמלה מן אטרח ען נפסה אלמלאלה ואזאח ענהא אלסאמה וכאן אריבא אריבא מתדרבא פטנא נחרירא וכאן פי טביעתה ותאריכה אלאול אפצל מן כתיר מן אלנאס פאני אנא לם אצל אלי הדא אלעלם אלא

[a] A. P. גלט [b] P. האולאי [c] P. נברו [d] P. יטאלע [e] P. אסתעמאלאתהם

[1] Voir Munk, Journ. as. 1850, vol. II, p. 215, note 2.

ברוב אלבחת ואלנטר ובאלענאיה אלמתצלה לילי ונהארי ובעשק כאן יראכלני לה פכאני כאן יוחי אלי ותיא· וקד גמע אכתר אצול אללגה קבלי כתיר מן אלנאס ממן סמת אלי אלעלם המתה ואשתרת לה טלבתה וכל מחמור עלי אגתהאדה משכור עלי סעיה ואן כאן גמיעהם חארוא פי דלך ען טריק אלקצד וזאגוא פיה ען סביל אלרשד בוצעהם אכתר אלאצול עלי גיר כנההא ואנזאלהם איאהא פי גיר XII. מנאזלהא ודלך אנהם געלוא כתירא מן אלחרוף אלאצליה מן גיר אלאצל חתי לקד געלוא אלאעתמאר פי כתיר מן אלאצול עלי חרף ואחד וגעלוא גיר דלך אלחרף מן חרופה זואיד כדמיה להי מתאל דלך אנהם געלוא אלאצל פי נטה אלטא וחדה וגעלוא אלנון ואלהא זאידין פיה[a] למא ראוהמא יסקטאן פי ויט ידו[1] אל תט באף[2] וגירהמא ולם ידרוא אן עלה סקוטהמא אלאסתכפאף ודלך לכתרה אסתעמאלהם הדא אלאצל וכדלך צנעוא פי הזה פאנהם אעתמדוא פיה עלי אלזאי וחדה ולם יחפלוא באלחרף אלמנדגם פיה ולא באלהא והכדא צנעוא איצא פי הכה פאנהם אעתמדוא מנה עלי אלכאף וחדה ולם יעתברוא[b] באלנון אלדי פי ותפשתה והשעורה נכתה[3] ופי והחטה והכסמת לא נכו[4] וכאלהא וכדלך געלוא אלאצל פי סבב אלסין ואחד אלמתלין פקט ולם יעתדוא באלמתל אלתאני לסקוטהא פי יסוב אותו[5] וגירה ואסתתלוא הדא אלפעל פי גמיע אלאפעאל דואת אלמתלין· וקד אקאם אבו זכריא אלבראהין[c] עלי גלטהם פי הדא ופי מתלה[d] מן אלאפעאל אלמעתלה ואלאפעאל דואת אלמתלין· ואמא מא כאן מן אלאפעאל אלמאלמה מתל נדר ונתן ומא אשבה דלך ממא פאוה נון פאנהם געלוא אלפאאת מנהא מן גיר אלאצל לסקוטהא פי בעץ תצאריפהא או לאנדגאמהא כמא צנעוא פי נטה· והכדא צנעוא איצא פי לקח לסקוט אללאם מן קח נא מפיו תורה[6] קחנו ובואה[7] קחו לכם[8] ומא אשבה דלך ולאנדגאמה פי יקח[e]· ואמא נון נתן פלסקוטה מן תן לי הנפש[9] תנה את נשי ואת ילדי[10] הנו נא אותה לו לאשה[11] ומא אשבה דלך ולאנדגאמה פי

[a] Munk פיה זאידין; A. om. ואידין [b] A. P. יעתרו [c] A. אלברהאן R. הסופתים = P. [d] P. ומתלה [e] Munk נקת

[1] Is. 5, 25. [2] Ps. 27, 9. [3] Ex. 9, 31. [4] ib. 9, 33. [5] I Rois, 7, 23. [6] Job 22, 22. [7] I Sam. 20, 21. [8] Ex. 5, 11. [9] Gen. 14, 21. [10] ib. 30, 26. [11] ib. 28, 20.

יחן׃ ואמא נון נדר פלאנדגאמה פי ידר יעקב[1]׃ ואמא נון נפל פלאנדגאמה פי יפול׃ הכדא צנעוא פי אכתר אלאפעאל אלמחדופה אלפאאת או אללאמאת כלהם גרוא פיהא הדא אלמגרי ונחוא נחו הדא אלמגזי אלא אבו זכריא יחיי בן דאוד רחמה אללה פאנה אול מן נהג פי דלך טריק אלצואב וסלך פיה סביל אלחק פמיז אלאצלי מן אללאחק פי אלאפעאל אלתי עני בגמעהא פי כתאביה אעני פי כתאב אלאפעאל דואת חרוף אללין ופי כתאב אלאפעאל דואת אלמתלין אלא אנה והם פי קליל מן דלך קד שבבנאה עליה פי כתאבנא פי[a] אלמסתלחק פי אלאפעאל דואת חרוף אללין ואלאפעאל דואת אלמתלין עלי מא תבת פי כתאביה׃ ואמא אלאפעאל אלסאלמה מן אללין ומן אלתקא אלמתלין וחרוף אלמעאני פלם ידכר אבו זכריא שיא מן דלך ולא תערץ לה פראינא נחן גמע דלך כלה פי כתאבנא הדא אעני אלאפעאל אלסאלמה ואלאפעאל אלמעתלה וחואת אלמתלין וחרוף אלמעאני׃ וראינא אן נודעה איצא מן אלאסמא גיר אלמשתקה ממא לא אפעאל להא מא כאן מתעלקא בה תפסיר מפיד מתל אסמא אלאביאל ואלאחזאן ואלאטיאר ואלאחגאר ומא אשבה דלך ממא אסתכרגת תפסירה מן כתב אלעלמא ואלרוסא אלמותוק בנקלהם כרב סעדיה ורב שרירא ורב האיי ורב שמואל בן חפני ראס אלמתיבה וחפץ ראש כלה וגירהם מן אצחאב אלתפאסיר ואלגאונים רצי אללה ענהם אגמעין חתי יכון כתאבנא[b] כתיר אלגנא קליל אלענא גאמעא לאכתר אצול אללגה אלמוגודה פי אלמקרא XIII אלא מא מנע מנה אלנסיאן אלמוכל באלאנסאן או חאל דונה שגל אלבאל אלא אן אלדי דכרה אבו זכריא פי כתאביה ואלדי דכרנאה נחן פי אלמסתלחק מן אלאצול פאנא לא נעני באסתקצא אקסאמה ולא בתעדיד גמיע תצאריפה פי כתאבנא הדא כל אנמא נשיר אליה וננבה עליה פקט לילתמסה אלטאלב מן מטאנה ויאכדה אלבאחת ענה מן מכאנה׃ פעלנא דלך לונוה מנהא אלרגבה פי אלאכתצאר עלי קדר אלאמכאן ואלחרץ עלי חדף אלתטויל אלממל ללקארי ומנהא אני לו פעלת דלך למא זדת פי אכתרה עלי מא אתי בה אבו זכריא ועלי מא אתית בה פיה שיא פכנת אכון נאסכא

[a] Muck om. [b] P. ajoute הדא

[1] Gen. 28, 20.



לכלאמה וכלאמי ומכררא לכתאביה וכתאבי פאסלם נפסי ואמל אלנאטרין ואתעב אלטאלבין בתכריר אשיא קד בינת ורכוב אסאליב קד נהגת· ומנהא אלא אטוי חסן מא אבתרעה אלרגל ולא[a] אסתר פצל מא אבתרעה וגריב מא אבתדאה מן הדא אלעלם אעני עלם אלתצריף פאנה לם יסבקה אליה סאבק ולא אגרי אליה מגרי ולא כטר בבאל ואצע ולא הגס פי נפס מולף קבלה עלי מא דכרת ענה פי אלמסתלחק ולא אטמס גורת פאטלמה ואבכסה חקה· פלגמיע מא דכרתה מן הדא לא סימא להדא אלוגה אלאכיר פאנה אקבחהא ואסמגהא וכבת ען אסתיפא גמיע פרוע תלך אלאצול פי כתאבי הדא· ואנא לדלך מרשד מן טאלע כתאבי אלי[b] אלא יכלי נפסה מן קראה כתאבי אבי זכריא רחמה אללה אעני כתאב חרוף אללין וכתאב דואת אלמתלין ולא[c] ידע קראה מא תקדם לי אנא פי הדא אלפן מן אלכתב אעני כתאב אלמסתלחק ורסאלה אלתנביה וכתאב אלתקריב ואלתסהיל וכתאב אלתסויה וכתאב אלתשויר· פאן פי הדא אלכתאב אעני כתאב אלתשויר גרי לנא פיה שרח כתיר למעאני כתאבי אבי זכריא ומעאני כתאב אלמסתלחק ואנדרגת לנא פיה איצא קואנין כתירה מן קואנין אללגה ופואיד עדידה[d] מן עלם אלנחו אלעבראני אלדי לא יסתגני אלנאטר פי עלם אללגה ענה· ופיה איצא אחתגאגאת כתירה ובראהין עטימה ודלאיל עמימה עלי אצול אללגה ותצאריפהא ותעלילאתהא טהר מנהא שרף הדא אלעלם וגלאלה קדרה ואסתבאן פיהא ארתפאע מכאן מן יחסנה ואנחטאט מוצע מן תקחם פיה בגיר תמייז ודון מערפה· פבגמיע מא דכרתה יתם אלוקוף עלי עלם לגה כתאב אללה עז וגל· ומן ראי תפצילנא לאבי זכריא פי הדא אלפן מע חרתאן עהדה עלי מן תקדם ובער עהדה מן אלמולפין פלא ינסבנא פי דלך אלי אלגלו ואלתשייע[e] פיה פיטלמנא ויבכסנא מא נסתשערה מן אלחק ונסתנבטה מן אלערל· פאנה מן טריק מא יוגבה אלערל אתמר טריקא ואחסן מדהבא פי הדא אלעלם מן גמיע מן תקדמה ולים לקדם אלעהד יפצל אלקאיל ולא לחדתאן אלעהד[f]

[a] P. ואלא: R. ושלא [b] Omis dans A. Munk (Notice p. 200, n. 1) les a suppléés ainsi: ואנא לאגל דלך משיר עלי אלנאטר פי כתאבי הדא [c] P. ואלא, R. ושלא [d] A. וואיד לבנה, Munk, par conjecture: ופואיד עדידה, P. ופואיד גמה [e] P. ואלתשניע [f] A. עהד

יהתצם אלמציב לכן יעטי כל מא יסתחק מע אן ברהאן אבי זכריא עלי מדהבה ואצח ודלילה באיח[a] פלעלמנא בצחה קיאסה קרונא[b] אתרה וסלכנא טריקה ותבראנא מן תקצי מא קד דכרה פאחסן פיה· ואמא מא לם ידכרה מן אלאפעאל אלסאלמה ומן חרוף אלמעאני ואלאסמא 17a גיר אלמשתקה מן אלאפעאל פאני אתקצאה ואבלג פיה אלגאיה אלתי אומי אליהא ודלך עלי קדר אלטאקה וחסב אלאמכאן· ואנא מנבה איצא פי כתאבי הדא עלי מא והם פיה אבו זכריא פשבכתה עליה פי אלמסתלחק ונירה[c] ומדון איצא מא פאתנא תשביכה עליה הנאך· ולסת מתצמנא אסתקבא גמיע אלאצול ולא אסתקצא כל אלפרוע פאן מא נחן בסבילה מן כד אלזמאן אלגארב רבמא ארחלנא ען אתצאר אקלה ושגלנא ען תקייד בעצה לכנא נרגו אן יכון כתאבנא הדא מחיטא באכתר מא נרצנא אליה ומשתמלא עלי גל מא קצדנא נחוה· ואללה נסתרשד ועליה נעתמד ואיאה נסתהדי וכה נעתצם פי דלך ופי גמיע אלאמור· וסמינא כתאבנא הדא בכתאב אלתנקיח אי אלתדקיק אלדי מענאה פי אללסאן אלעבראני אלבחת ואלתפתיש כמא אן תנקיח אלכלאם פי אללסאן אלערבי הו תפתישה איצא· ואנא אסאל כל מן קרא כתאבנא הדא ונטר פיה אן ידע ענה מא אבתלי בה אהל זמאננא הדא מן אלחסד אלמנהך ואלאצראר[d] עלי אלבאטל וחב אלוקיעה פי אלנאס ואלתעסף עלי אלעלמא ועזא[e] מא יאתון בה מן מעני גריב אלי גירהם טלמא להם ותחאמלא עליהם פאן מן כאנת פיה הדה אלכלאל[f] אלמדמומה לא יזאל מדמומא מן אללה וממקותא מן כלקה[g]· ולסת אזעם אני אעצם מן אלכטא ואעאפי מן אלזלל פאן טביעה אלכשר נאקצה וכליקתה מקצרה לכן חסבי אלאגתהאר ובלוג אלגאיה פיה· ומא אקבח במן קרא כתאבי הדא מן אהל אלפהם אלא יוסעני עדרא פי כלל יראה פיה ואלא יגתפר לי זללא יטלע עליה והו ידרי מא אתגשמה ויעאין מא אתגסמה פלים במסתעטם אן יקע פי הדא אלדיואן אלגליל אלקדר אלכטא מן טריק אלגפלה ואשתגאל כאלי בעטים מא אתכלפה פלא ינתהזן אלפסל מני אלפרצה ארא כאן קדרה מנזהא ען מתל דלך אלכטא· פכתירא יכתב אלאדיב

[a] P. לאיח [b] P. קפונא [c] P. וטבין [d] A. P. ואלאצראר [e] A. ועמא; Munk, par conjecture ונסב [f] P. אלכלל [g] P. אלנאס



ואלכאתב אלנחריר כתאבא פארא פחצה[a] וגר פיה אללחן וכאן דלך מן טריק אלגפלה ושגל אלבאל לא סימא במא יעתור אלאנסאן מן דלך[b] פי מתל הרא אלדיואן אלעטים אלכתיר אלפנון[c] אלגם אלמראתב[d] פאן מן תכלף מא אתכלפה מעדור פי אן יסהו וגיר מלום פי אן יותם ואנמא הדאני אלי אלאכתאר פי הרא מא אערפה מן סו אדב אהל זמאננא וקלה מערפתהם במצאיק אהל אלתאליף ומארק אצחאב אלתנטים ותהאפתהם אלי אלטען עלי אלעלמא לא סימא וקד אבתלית בגהלהם ולם[e] אסלם מן גיהם. וקסמת כתאבי הרא עלי גזיין אלגז אלאול נדכר פיה אבואבא עלמיה יתבין מנהא כתיר מן תצאריף אללגה ומגאזאתהא ואסתעמאלאתהא ואבניתהא וגיר דלך מן אחואלהא וסמית הרא אלגז לכתרה פנונה כתאב אללמע תשביהא לאבואב באללמע מן אלארץ והי מואצע יכון פיהא אנואע[f] מכתלפה מן אלזהר אכבר מן אלתלמיע פי אלתוב אלדי יכון מן אלואן שתי. ואלגז אלתאני נדכר פיה אכתר אלאצול אלמוגודה פי אלמקרא פסמית הרא אלגז אלתאני ככתאב אלאצול והרא חין אבדי בדכר גמיע מא תצמנתה בחול אללה.

[a] P. מחצה [b] Tout ce qu'on lit entre les deux דלך, manque dans A. Munk a rempli la lacune, à l'aide de R. comme suit: מן טריק אלגפלה ושגל אלבאל לא סימא במא הו גארי עלי אלאנסאן [c] A. corrompu: אלפנן; Munk conjecture: אלמעאני [d] P. אלחלאהב [e] A. ולא [f] P. אצנאף

يقول أبو الوليد مروان بن جناح القرطبي في مقدمة كتابه "الأصول":

الحمد لله ولي كل نعمة، وموتي كل رغبة، ومعطي كل طلبة، ومتمم كل مسألة، وسامع كل دعوة، ومبلغ كل منية:

قال أبو الوليد مروان بن جناح قد قدمنا في الجزء الأول من هذا الديوان وهو كتاب "اللمع" من الأبواب العلمية والفنون الجلية والأصول القياسية والآراء النحوية ما لا غنى بالناظر في علم اللغة عن معرفته والوقوف عليه. ونحن نذكر في هذا الجزء الثاني الذي وسمناه بكتاب "الأصول" أكثر الأصول الدانية الموجودة في ما بين أيدينا من "المقرا" [1] ونبين من تصاريفها ونشرح من غرضها ما تدعو الحاجة إلى

التحري ونتحفظ فيه غاية التحفظ والذي يلزم فعله في تفسير كلام الله عز وجل.

الله العصمة من الخطأ والتوفيق إلى الصواب بمنه...في إحضار كل لفظة تكون تحت كل معنى لأني إن فعلت ذلك لأحضرت جميع "المقرا". لكني أحضر من كل معنى ألفاظا ما على حسب ما أراه كافيا. فإن خرجت...يدك لفظة ما من معنى ما من المعاني ولم تتحر معناها فمد يدك إلى الأصل التي هي منه، فإن وجدتها فجيد، وإلا فاعرضها على جميع ما في ذلك الأصل...

ولا غنى بالناظر في هذا الجزء الثاني أعني كتاب "الأصول" عن الوقوف على جميع ما تضمنه الجزء الأول أعني كتاب "اللمع". فبالوقوف عليه وبالعمل بما لدينا وحضضنا عليه هنالك من الرجوع إلى كتابيْ أبي زكريا أعني كتاب "حروف اللين" وكتاب "ذوات المثليْن"، وإلى كتبنا نحن أيضا أعني كتاب "المستلحق" و"رسالة التنبيه" وكتاب "التقريب والتسهيل" وكتاب "التسوية" وكتاب

(1) كلمة عبرية تعني: التوراة.

"التشوير" تتم له المعرفة وتجتمع له المنفعة، فإن هذه الكتب كلها نافعة لمن طالع في هذا الجزء. ومما يؤكد على الناظر فيه في الوقوف على جميع ما أودعنا في الجزء الأول أعني كتاب "اللمع" وفي جعله إياه نصب عينيه إنا قد احتفلنا فيه ضروبا من الاحتفال في ذكرنا جملة من الأبنية وجملة من الألفاظ الشاذة وجملا شتى في معان كثيرة اندرجت فيها لنا فوائد عظيمة من تصاريف اللغة ومجازاتها واستعمالاتها واعتلالاتها. ولم نر إعادة جميعه في هذا الجزء الثاني طلبا للتخفيف والاختصار..

وقد ذكر ابن جناح القرطبي سيبويه بالاسم في الصفحة 261 من كتابه اللمع.



פי אחת מזידה׃ וקיל שה בריח[1] מכאן כריאה פחרף יא אלמד̈ וקלב אלאלף יא׃ וקיל תאם תמנו לגוע[2] פחרף אלמת̇ל אלואחד׃ וקיל ונחלת בך[3] ונחלו מקדשיהם[4] ואלאצל ונחללת ונחללו לאנ̇ה מן וכאו בה פריצים וחללוה[5]׃ וקאל ובעת צאה הקץ ליםים שנים[6] ואצלת ימימים לאנ̇ה תת̇ניה̈ ימים תהית גאלתו[7] אלד̇י תפסירה עאם כמא קיל פי הד̇א אלמעני ויהי לימים מימים[8] פחרף אלמים וחדף אליא מעה׃ וימים תהיה גאלתו עלי זנה̈ תמים פכמא אן גמע תמים ותת̇ניתה תמימים כד̇לך ינבג אן יכון גמע ימים ותת̇ניתה ימימים פחד̇פוא כראהה̈ לאג̇תמאע אלמימאת ואן כאנוא קד יסתסהלון אג̇תמאע אלאמת̇אל פי מואצ̇ע כת̇ירה̈ ואן כאנוא קד פעלוא פי תמים צ̇ד̇ פעלהם פי ימים אעני אנ̇הם זאדוא פיה מימא ויא׃ וד̇לך קולהם וביום החדש פר בן בקר תמימם[9] אנ̇מא ואג̇ב אן יכון תמים לאנ̇ה וצף ללפר פקט אלא אן נ̇על וצפא להמא ג̇מיעא׃ ולא תנכרן[a] חד̇פהם בעץ̇ אלכלמה̈ מת̇ל קולהם אי נקי[10] מכאן איש נקי מא ד̇כרתה פאן̇ אלכלמה̈ אד̇א נ̇רת עלי אלסנתהם כת̇ירא יכ̇פפונה׃ וקד יפעל גיר אלעבראניין איצ̇א מת̇ל הד̇א [b]כמא קאלת אלערב אלמנא מכאן אלמנאיא ומכאן אלמנאזל פחד̇פת[b]׃ וקד יחד̇פון אכת̇ר מן הד̇א חתי אנ̇הם לקד יסתגזיון מן אלכלמה̈ כד̇כר אול̇ שכהה מנהא חכי ד̇לך ענהם סיבויההם [c]ואנשד לבעצ̇הם

באלכ̇יר כ̇ראת ואן שר̇א פא   ולא אריד אלשר̇ אלא אן תא

אראר ואן שר̈א פשר̈א פאסתג̇זוא באלפא פקט ואראר בקולה אלא אן תא אלא אן תריד פאסתג̇זי באלתא פקט[c]׃ ויחד̇פון איצ̇א פאאת בעץ̇ אלאפעאל מן אלאמר מת̇ל של נעליך[11] אלמשתק̇ מן ונשל גוים רבים מפניך[12]׃ ומן קח נא מפיו תורה[13] ומן גש פגע בו[14] ומן תן לי הנפש[15] ומא אשבה ד̇לך׃ וקד חד̇פוא אלפא מן אלפעל אלמאצ̇י פי קח על מים רבים[16] אלוג̇ה פיה לקח׃ ופי ואיבי תתה לי ערף[17] אלאצל נתתה׃ ופי והיום רד מאד[18] אצלה ירד ופי אהבו הבו[19] אצלה אהבו מן באשר אהב[20] וסנבי̈ן ד̇לך פי באבה מן כתאב

[a] A. יגבךן [b] R. om. [c] R. om.

[1] Ex. 34, 20. [2] Nomb. 17, 28. [3] Ez. 22, 16. [4] ib. 7, 24. [5] ib. 7, 22. [6] II Chr. 21, 19. [7] Lév. 25, 29. [8] II Chr. 21, 19. [9] Ez. 46, 6. [10] Job 22, 30. [11] Ex. 3, 5. [12] Deut. 7, 1. [13] Job 22, 22. [14] II Sam. 1, 15. [15] Gen. 14, 21. [16] Ez. 17, 5. [17] II Sam. 22, 41. [18] Jug. 19, 11. [19] Osée 4, 18. [20] Gen. 27, 9.

בנות עיניו הדיבוני   כנאותם יריבוני

בקבוץ בת עינך ורצה להוציא מזה כי בת עינך איננו בענין ככה כאשר אמרנו, צריך שידע כי המשורר עשה זה בעבור שרמתה מלתו למלת בת אשר יקבץ אותו כאשר תקבץ [בנות] בת (אשר) ומחל על זה בעבור שלא נתכן לו במשקל זולת זה, וזה מה שקבלנו ממנו במאמרו זה, והערב עושים גם כן כמו זה, והמשורר הזה בעיני יותר יש לו מקום להנצל מן האחר שאמר

הלנצח אהי דואג לחצי בְבוהיך וגם אירא תניתם

כהגעה הבית כשבא המוחל בה בעבור רוחק המשקל ידרין בה בקמצות כי ככה על דמיון כמה ובאשר נאמר על במותיך חלל (ש"ב א יט) כן ראוי לומר כבוהיך בקמצות יהראיה החזקה על זה אמרו בבת עינו (זכריה ב יב) מבלי שנות הבית בסמיכה; והטוב בעיני כבבת עינו [1].

וכמה שיהיו עלולי העין שלהיאל (חגי א יב) כמו שאלתיאל (דה"א ג יז), שער השפות (נחמיה ג יג) במקום האשפות (שם), בהוא מכמר (ישעיה נא כ) כמו ותאו וזמר (דברים יד ה) בחסרון האלף האלף הנחוכה במקום הואו, והואו אשר קודם האלף למשך, עשה עש (איוב ט ט) כמו ועיש על בניה תנחם (שם לח לב), הה ליום (יחזקאל ל) במו אהה (יואל א), ואפשר שתהיה האלף באתה תוספת. שה בריה (יחזקאל לד כ) במקום בריאה והסרה יוד המשך והפכה האלף יוד, ונאמר האם המנו לגוע (במדבר פיז יז) וחסר הכפל האחד. ונאמר ונחלת בך (יחזקאל כב יז) ונהלו מקדשיהם (שם ז כד) והעקר נחללת ונחללו כי הוא מן ובאו פריצים וחללוהו (שם ז כב), ונאמר וכעת צאת הקץ לימים שנים (דה"ב כא יט) עקרו ימימים בי הוא משנה ימים התיה גאלתו (ויקרא כה כט) אשר פרשו שנה כאשר נאמר כענין הזה (דה"ב שם) ויהיה לימים מימים והסרה המם חסרה היוד עמה, וימים תהיה גאולתו ע"מ תמים, וכאשר קבוץ תמים ומשנהו תמימים כן ראוי להיות קבוץ ימים ומשנהו ימימים והסרו על מאמם הקבץ המפים אע"פ שיקל עליהם קבוץ האותיות הדומות זו לזו במקומות רבים, ואע"פ שעשו בהמים הפוך מה שעשו בימים ר"ל שהוסיפו בו יב, והוא אמרו וביום החדש פר בן בקר תמימים (יחזקאל מו ו) והדין בו שיהיה תמים כי הוא מסור לפר בלבד, אלא אם יושם ספור לשניהם יחד [2], ואל תתמה על חכרם קצת המלה כמו אמרם אי נקי במקום איש וזולתו ממה שזכרתיו, כי המלה כאשר היא נוהגת בלשונם הרבה יקלו אותה, וזולת העברים עושים גם כן כמו זה; ויש שמחסרים יותר מן החסרון הזה עד שיספיק להם לזכור מן המלה אות אחת ממנה ספר זה עליהם סיבויהב [3].

ומחסרים פאי קצת הפעלים מן הצווי ככמו של נעלך (שמות ג) הנגזר מן ונשל גוים (דברים ז), ומן קח נא (בראשית כב כב) ומן תן לי הנפש (שם יד כא), ומן גש פגע בו (ש"ב א טו) והדומה לזה. ובכר חסרו הפא מן הפעל החולף בקת על מים רבים (יחזקאל יז ה) משפטו לקח, ובאיבי תתה לי ערף (ש"ב כב מא) העקר בו נתתה, וכהיום רד מאד (שופטים יט יא) עקרו ירד מאד, ובאהבו הכו

---

[1]) כן הוא בחמת בספרינו, ונוסחת ר"י בבת וכן נוסחת כה"י בקעמבריטש ופרמון המלפס, ובכ"י ככבת.

[2]) ר"ל לפר ולבקר וכן פי' רש"י מלך, וזה יוצא חוץ מן ההקשה. ועיין בפרק הבא.

[3]) סיבויה הוא שם בעל מדקדק לשון ערבי לפי דעת החכם מונק.

وإذا قمنا بوضع مقارنة بين أبواب الكتاب وأبواب اللمع فإننا نجد العلاقة واضحة جدا. ففي الجزء الأول مثلا من كتاب سيبويه [1] نقرأ حديثا عن الكلم في اللغة العربية، وهو ما يطلق عليه ابن جناح مبادئ الكلام.

غير أن التطابق الكبير هو الذي يمكن الإشارة إليه في مسألة وصف الحروف ومخارجها وصفاتها بين ابن جناح والمبرد (210 ه-285 ه) صاحب كتاب "المقتضَب" [2].

ونورد هنا حرفيا ما يذكره ابن جناح:

(1) كتاب سيويه. تحقيق: عبد السلام هارون. 5 أجزاء. دون تاريخ. دار الجيل. بيروت.

(2) كتاب المقتضب: أبو العباس محمد بن يزيد المبرد. تحقيق: محمد عبد الخالق عضيمة 1994. 5 أجزاء. وزارة الأوقاف. لجنة إحياء التراث الإسلامي. القاهرة.



אלכאב אלת'אני

פי ד'כר מכ'ארג' אלחרוף וצף בעץ' כואצהא

אלחרוף את'נתאן ועשרון[a] חרפא ת'בנינא שהרתהא ען שרחהא עלי תואליהא[b]. ולהא ה' מכ'ארג' אקצאהא מכ'רג'א אלי דאכ'ל אלאחרף אלחלקיה' והי ד' יג'מעהא **אהחע** ואקרבהא מכ'רג'א אלי כ'ארג' אלאחרף אלשפהיה' והי ד' אחרף יג'מעהא **בומף** ובין הד'ין אלמכ'רג'ין ג' מכ'ארג' אקרבהא אלי אלחלק מכ'רג'[c] אלאחרף אלחנכיה' והי ד' יג'מעהא **גיכק** ואקרבהא אלי אלשפה' מכ'רג'[d] אלאחרף אלסניה' והי ה' אחרף יג'מעהא **זסשרץ**[e] ת'ם יתוסט הד'ין אלמכ'רג'ין מכ'רג' ה' אלאחרף אלתי יג'מעהא **דטלנת**. הכד'א קסמתהא אלאואיל עלי הד'ה ה' אלמכ'ארג' מן גיר תפציל ולא תחדיד[f] בל בבעץ' אלמקארבה' וד'לך אן ענד תדקיק אלנט'ר יוג'ד[g] בעץ' אחרף כל מכ'רג' מן הד'ה אלמכ'ארג' ארפע מן בעץ' וד'לך אן אחרף כל מכ'רג' מן הד'ה אלמכ'ארג' ליסת כמסתויה' פי ד'לך אלמכ'רג' אלד'י וסמת בה ואלא פליס כאן יכון לכל מכ'רג' מן אלמכ'ארג' גיר חרף ואחד. מת'אל ד'לך אן אחרף אלחלק והי אהחע ארא סברנאהא פי כ'רג'הא מן אלחלק וג'דנאהא עלי ג' אצ'רב אעני[h] אן להא ג' מכ'ארג' פי אלחלק אחדהא מן אקצי אלחלק מת'ל מכ'רג' אלאלף גיר אללינה' אלתי תסמיהא אלערב המזה' וד'לך אן אלאלף עלי צ'רבין אחדהמא תכון אלאלף פיה[i] ט'אהרה' מחסוסה' מת'ל אלף אסר ואלף אכל ואלף ואל תאטר עלי כאר פיה[1] פן יאנף[2] וקראהו אסון[3] ובאלג'מלה' כל אלף ט'אהרה' ט'הורא בינא סאכנה' כאנת או מתחרכה' כאי חרכה' כאנת והי[k] אלתי תסמי המזה' ואלצ'רב אלב' הי אלתי תכון אלפא[l] לינה' כ'פיה' מת'ל אלאלף אלתי הי עין אלפעל פי החמס קם[4] אעני אלאלף אלכ'פיה'[m] אלתי בין אלקאף ואלמים והי אלט'אהרה' פי אלכ'ט פי וקאם שאון בעמיך[5]

[a] A. כב [b] P. תיאליהא (sic). [c] P. מכ'רג'א [d] P. מכ'רג'א [e] P. R. וסצרש [f] A. תחריר, R. הגבלה [g] P. יוג'ב כון [h] P. נעני [i] P. פיה אלאלף [k] A. הי [l] P. אלפה, R. אלף שלו [m] A. om., P. כ'פיה

[1] Ps. 69, 16. [2] ib. 2, 12. [3] Gen. 44, 29. [4] Ez. 7, 11. [5] Os. 10, 14.

ומתל אלאלף אלכפיה איצא פי רכרו אל דור בלט[1] אלטאהרה פי אלכט [פי ותבוא אליו בלאט[2] ומתל אלאלף אלכפיה איצא[a] פי ולרש אין כל[3] אלטאהרה פי אלכט[b]] פי אחר עשיר ואחר ראש[4] [האיש הראש[5]][c] ומתל אלאלף אלכפיה פי ויאמר יי׳ לדג[6] אלטאהרה פי אלכט פי מביאים דאג וכל מכר[7]. ופי כל פעל כפיף מעתל אלעין מפרד אלף כפיה פי אלכט טאהרה פי אללפט מתל ושב אל המחנה[8] רד בשרו[9] ומא אשבההמא. פמתל הדה אלאלפאת יסמי אלפא באלאטלאק. פאלהמזה אכער חרוף[d] אלחלק כלהא מכרגא ויליהא פי בעד אלמכרג אלהא והדא הו אלצרב אלתאני מן אלאחרף אלחלקיה פי מכארגהא ואלאלף האויה הגאף. ואלצרב אלג מן אלאחרף אלחלקיה פי מכארגהא הו מכרג אלחא ואלעין קריב מנה. ועלי הדא אלמתאל תגרי אחרף סאיר אלמכארג פי אן בעצהא ארפע מן בעץ פי אחואזהא ולו אן אחרף כל מכרג תכון מנולה גמיעהא מן מכרגהא מנולה ואחדה למא אכתלפת ולכאנת כלהא עלי צורה ואחדה אי עלי צות ואחד. מתאל דלך אנה לו כאנת [מנזלה אלחא פי מכרגהא ומדרגתהא מן אלחלק הי מנזלה אלהמזה לכאנת][e] אלחא הי אלהמזה ואלהמזה הי אלחא ואלא פמא אלכלאף בינהמא אן לם יכן כמא קלנא אן בעץ אלחרוף אלתי הי מן מכרג ואחד ארפע פי דלך אלמכרג מן בעצהא. ואעלם אן אלרא ואן שארכת חרוף[f] אלצפיר אלתי הי אלזאי ואלסין ואלצאד ואן שארכת איצא חרף אלתפשי אלדי הו אלשין פי אנהא תגסל אנסלאלא פאן מכרגהא אקרב מן מכרג אללאם ואלנון והי תלאתתהא אעני אללאם ואלנון ואלרא מן גמלה אחרף אלדלק ואחרף אלדלק ז׳ הדה אלג׳ אעני אללאם ואלנון ואלרא ואלאחרף אלשפהיה אלתי הי בומף לאן אלדלאקה פי אלמנטק אנמא הי בטרף אסלה אללסאן ובאלשפתין. וביאן דלך אן מכרג אללאם מן טרף אללסאן מעארצא לאצול אלתנאיא ואקרב אלמכארג מנה מכרג אלנון אלמתחרכה פאמא אלנון אלסאכנה פמכרגהא מן אלכיאשים ותעתבר דלך אנך[g] לו

[a] R. om. [b] Dans A. ce passage est omis; dans R. l'exemple de ולרש suit celui de ראש [c] Cela ne se lit, ni dans A., ni dans R. [d] P. חרוף [e] Omis dans A. [f] P. אחרף [g] P. באנך

[1] I Sam. 16, 22. [2] Jug. 4, 21. [3] II Sam. 12, 3. [4] ib. 12, 1. [5] ib. 12, 4. [6] Jon. 2, 11. [7] Néh. 13, 16. [8] Ex. 33, 11. [9] Lev. 15, 3.

אמסכת באנפך ענר לפטך בהא לוגדתהא מתלה· ואלרא בין מכרג אללאם ואלנון פמכארג אלרא ואללאם ואלנון מתקארבה בעצהא מן בעץ אלא אן אלנון אלמתחרכה משרכה גנה· ואלגנה מן אלכיאשים ואלנון אלסאכנה כאלצה מן אלכיאשים ואנמא סמיתא באסם ואחד לטא דכרת לך אעני לאשתבאה אלצותין ואלא פאנהמא ליסתא מן מכרג ואחד ואנמא אסתחקת אלרא ענד אלאואיל רצי אללה ענהם וצעהא פי מכרג חרוף אלצפיר וחרף אלתפשי ללמשארכה אלתי דכרתהא לך· ואמא אלדאל ואלטא ואלתא. פאנהא ואן באנת מכארגהא מן טרף אללסאן ואצול אלתנאיא כמכרג אללאם ואלנון ואלרא פאן דלך אלטרף ליס הו אסלה אללסאן בל מא הו ארפע מן אלאסלה קלילא· ואעלם אנך אדא אדרת אן תסכר אלאחרף פי מכארגהא ומדארגהא פוגה אלעמל פי דלך אן תפתח פאך באלהמזה תסתטהר אלחרף אלדי תריד סברה· מתאל דלך אנך אדא אדרת מערפה מכרג אלעין קלת אע ואן אדרת מערפה מכרג אלבא קלת אב ואן אדרת מערפה מכרג אלקאף קלת אק ואן אדרת מערפה מכרג אלסין קלת אס ואן אדרת מערפה מכרג אללאם קלת אל· ואעלם אנה בתירא מא יסתצעבון אן יתואלי ענדהם פי כלמה ואחדה חרפאן יכונאן מן מכרג ואחד לצעובה אלנטק בדלך ואנמא אלאטראד עלי תואלי חרוף אלמכתלפה אלמכארג אד דלך אכף עלי אללסאן· מתאל דלך אנת לא ינטק בזס ולא כסז וקד יוגד שע ולא יוגד צש וקד יוגד חע ולא יוגד עח וקד יוגד טד ולא יוגד דט ואן אסתעמל אסתתקל ואנמא דלך עלי קדר מא יסתתקלון או יסתסהלון· ואעלם איצא אן לבעץ אלחרוף כואץ תנפרד בהא דון גירהא מן אלחרוף מתל אן אלתא ואלעין לא ישדאן אצלא מן בין סאיר אלחרוף ומתל אן בגדכפת יאתי פי אללגה אלעבראניה עלי צרבין צרב כפיף וצרב תקיל ומתל אן אחרף יהוא 7.
תכפף מא וקעה עליה מן אחרף בגדכפת אלא אלפאטא מחפוטה· וקד בין דלך אפאצל אלסופרים פלא מעני לדכרה פי הדא אלכתאב·

a P. גנא b R. לכר (= כאצה) c A. om. d Rayé dans P. e P. אלחרוף f P. אן g A. ואמא; R. ואן

1 Voyez *Bacher*, Abraham Ibn Esra als Grammatiker, p. 56, n. 19.

ומת̇ל מא לאתהע[a] מן אלאנחא אלמכ̇תלפה̈ ואלוג̇וה אלמפננה̈[b]. וקד אשאר רב[c] סעדיה רצ̇י אללה ענה אלי דׄכר שי מנה פי שרחה לספר יצירה יחבי[d] הבאלך אן̇ לה פי דׄלך וצ̇עא גֿאמעא ולם נרה נחן ולא וצל אלי בלדנא פלדׄלך לסת אכ̇לי הדׄא אלכתאב מן דׄכר בעץ̇ וג̇והה לארתבאטה באלתצריף. ומת̇ל מא לאחרף ובכ̈ל מן אלתאכ̇יר פי אלפאת[e] לגה̈ ארונות ודׄלך מסטור פי אלמסרה. ומת̇ל מא ללחא ואלעין מן אלתאכ̇יר פי לפטה̈ מה[1] אדׄא את̇צלת בהא ודׄלך איצ̇א מוג̇וד פי אלמסרה פלא מעני לאטאלה̈ כתאבנא הדׄא בה. ולדׄא איצ̇א כ̇לאף ינפרד באלאחכאם להא אהל טבריה̈ אד̇ הם אפצח אלעבראניין לסאנא ואכת̇רהם ביאנא וקד דׄכר דׄלך פי כתאב אלמצות̇את פלנערץ̇ נחן ענה. ומן כ̇ואץ̇ אלחרוף אן בעצ̇הא לא יכון אבדא אלא אצליא דׄאתיא פי אלכלמה̈ אלתי הו פיהא ובעצ̇הא קד יכון אצליא פי כלמה̈ מא ותכון גיריא זאידא או כ̇רטיא פי כלמה̈ אכ̇רי יכ̇רם אלמעאני פאדׄא וקע אצליא כאן במנזלה̈ גירה מן אלחרוף אלתי לא תכון[f] אלא אצליא פי כל מכאן תקע[g] פיה. ואיצ̇א אן בעץ̇ אלחרוף קד יכון בדלא מן בעץ̇ ויכון דׄלך לאצ̇טראר פלא[h] יסכן גיר דׄלך. וקד יכון בעצ̇הא בדלא מן בעץ̇ לגיר אצ̇טראר וסתרי נבת̇א מן דׄלך פי כתאבנא הדׄא בחול אללה.

באב. אעלם אנה לא ינטק בחרף ואחד עֹלי אנפצאל ואנפראד[k] לאן אבהדא אלנטק לא יכון אלא בחרכה̈ אד̇ לא יבתדי בסאכן ואנתהאוה̇[l] יכון בסכון אד̇ לא יוקף אלּא עלי סאכן ודׄאן לא יג̇תמעאן פי חרף ואחד ואקל̇ מא תכון עליה אלכלמה̈ אלמנפצלה̈ חרפאן חרף יבתדי בה וחרף יוקף עליה ואכת̇ר מא וג̇דנאה עליה פי אלכתאב י̇ אחרף מת̇ל האחשדרפנים[1] למשפחותיהם[2] ותבלג באואלעטף יא̈ חרפא מת̇ל והאחשדרפנים[3] ובעלילותיכם[4] וכתועבותיהן[5]. ואן זיד עלי ובעלילותיהם[m] אלדׄי פיה צ̇מיר אלגיב אלואו אלתי רבמא יזידהא אלעבראניון בעד מים אלג̇מע אלגיב כלנת אלכלמה̈ יב̈ חרפא פכאנת ובעלילותיהמו ובדׄלך אן זיד עלי וכתועבותיהן

a A. לאהתע. R. לאחהער b A. אלמפננה, R. המרתיבים c R. רבינו d P. יחבי, R. וספר
e Omis dans R. f A. מא g A. יכון h A. יקע i A. ולא k P. עלי אנפראד ואנפצאל l A. ואנתהאיהא m P. R. ובעלילותיכם

1 Esth. 8, 9. 2 Gen. 8, 19. 3 Esth. 9, 3. 4 Ez. 20, 44. 5 ib. 16, 47.

אלהא אלתי יזידהא אלעבראניון בעד נון גמע אלמונה [a]כאנה אלכלמה איצא עלי[a] יב חרפא פקיל וכתועבותיהנה· וקל מא יבקון פי אלכלמה אלהא אלתי ללצמיר מע זיאדה אלואו כמא סתרי דלך מבינא בחול אללה· ואעלם אן אלחרפין לא יתרכב מנהמא אלא כלמתאן כמא[b] יתרכב מן אלמים ואלגים מג גם לא גיר ואן אלתלתה אלאחרף יתרכב מנהא ו כלמאת ורבמא כאן בעצהא מלגי מתלמא יתרכב מן אלעין ואלבא ואלרא עבר בער ערב ברע רבע רעב· ואן אלארבעה אלאחרף יתרכב מנהא כד כלמה יסתעמל אקלהא וילגי אכתרהא מתל מא יתרכב מן אלכאף ואלרא ואלסין ואלמים כרסם כרמס כסרם כסמר כמרס כמסר רמכס רכסם רכמס רסמך רסכם רמסך סמכר סמרך סרכם סכמר סרמך סכרם מכרס מכסר מרכם a. מרסך מסכר מסרך· ותלכיץ דלך אנה למא תרכב מן אלחרפין כלמתאן צאר ארא צרבנא אלכלמתין[c] פי ג ודלך עדד אחרף אלכלמה אלתלאתיה תרכב מנהא ו כלמאת וכדלך איצא ארא צרבנא אלסה כלמאת פי ארבעה ודלך עדד אחרף אלכלמה אלרבאעיה תרכב מנהא כד כלמה ולו צרבנא אלכד כלמה פי ה אעני פי עדד אחרף אלכלמה אלכמאסיה לתרכב מנהא קכ כלמה והו אלקיאס פימא זאד עלי הרא אלעדד·

אלבאב אלתאלת

ד'כר אקל אצול[d] אלאסמא ואלאפעאל ואלחרוף[e] ואכתר אצולהא

אעלם אן תרכיב חרוף אלמעגם יכון כמא קד דכרנא דלך עלי ג אקסאם לאסמא ואפעאל וחרוף מעאן לא יכלו כלאם מן אחד הדה אלאקסאם ולא יוגד פיה אכתר מנהא· ואלאסמא הי מא גאז אן תכון פאעלה או מפעולא בהא· פמנהא מפרדה מתל אדם שת אנוש דוד שלמה משה[f] אהרן מרים גמל חמור אבן סלע בגד· ומנהא מרכבה מתל חצר־מות יששכר אברהם בנימין אביהוא אבירן אביעזר אחימלך אחירע צלמות עבטיט קיקלון בליעל ומא אשבה דלך·

[a] Correcture dans P.: בלגת אלכלמה איצא [b] P. מתל מא [c] R. אלחרפין = השתי אותיות
[d] A. om. [e] A. om. [f] P. ajoute יששכר

ولا يقتصر الأمر عند ابن جناح وحده بل نجد التأثير عند كثير من اللغويين اليهود السابقين واللاحقين في الأندلس الإسلامية وغيرها من البقاع.

يبدو من خلال هذه النماذج الدالة مدى التأثير الذي أحدثه سيبويه، والنحو العربي عموما، في النحو العبري تنظيرا وممارسة. وقد وجد النحاة اليهود مسوغا للإقرار بهذا التأثير والإقبال عليها دون تردد أو أدنى حرج، ويتجلى في طبيعة اللغة العبرية نفسها من جهة، وفي مدى قوة اللغة العربية من الناحية التاريخية من جهة أخرى.

فاللغة العبرية كانت محدودة الاستعمال عبر مسارها التاريخي المضطرب والمتعثر في كثير من الأحيان. فكان لا بد من البحث عن نموذج لغوي تستقي منه اللغة العبرية قواعد تضبط الكتابة والتعبير والنطق دون أن تبتعد، في هذا كله، عن التوراة باعتبارها الكتاب الديني الذي يجب أن تؤول إليه قضايا اللغة تلك من أجل فهمه فهما صحيحا واستيعابه لما يكتسيه من أهمية في حياة اليهود الفردية والجماعية.

وتكمن أهمية اللغة العربية هنا في قدرتها على تقديم كثير من العناصر الصوتية والصرفية والتركيبة والدلالية والمعجمية التي تحتاجها اللغة العبرية، ما دامت اللغتان قريبتان من الناحية اللغوية في إطار تلك الصلة التي أوجدتها اللسانيات التاريخية باسم فصيلة لغوية تسمى تجاوزا " اللغات السامية ".

ومما شجع الإقبال على اللغة العربية من طرف النحاة اليهود ارتباطها بالقرآن الكريم في إطار مفهوم " الإعجاز " عموما. فكما أن العربية لغة القرآن الكريم، فكذلك العبرية لغة التوراة.



ونظرا لما تحمله اللغة العربية من خصائص ممتدة عبر الزمن تكاد تجعل منها في الغالب الأعم اللغة " السامية " الأقرب إلى " اللغة السامية الأولى " أو " اللغة-الأم " فإن الإقبال عليها من طرف النحاة اليهود قديما وحديثا يجد مبررا له في ذلك الاعتبار اللغوي-التاريخي الفريد من نوعه في تاريخ اللغات الإنسانية عموما.

فالاعتماد على اللغة العربية يرتبط بمسألة نفعية عملية مفيدة للنحو العبري. لذا لا ينبغي فهم ذلك الإقبال بأنه نوع من الإعجاب، وإنما هو تقليد للغة ناجحة من طرف لغة فقيرة وجدت ثراء صوتيا ومعجميا وتركيبيا في المتناول وفي الاستعمال. لهذا كان المنهج المقارن مفيدا للغويين اليهود في التعامل مع كثير من قضايا اللغة العربية في ذلك الوقت. فالمسألة لا ترتبط بوجود منهج بقدر ما ترتبط بالحاجة إلى طريقة تبرر الاعتماد التام على اللغة العربية.

لذا فإن النحو العبري إنما حذا حذو النحو العربي لما يتيحه ذلك النقل والتقليد من إمكانيات تجاوز كثير من مآزق اللغة العبرية أي سوء فهم التوراة. فالإقبال على اللغة العربية كان لغرض استيعاب مضامين التوراة وتسهيل عملية التعبد بها. وقد تبدو المسألة مثيرة لبعض القلق للوهلة الأولى. ولكنها حقيقة اللغة حينما ترتبط بنص ديني مقدس عند طائفة بشرية معينة.

ومما يكرس هذه الحقيقة كثرة الاستشهاد من التوراة عند النحاة اليهود وهم يرددون قواعد النحو العبري في مصنفاتهم العديدة. وما يؤكد هذا أيضا تلك الطريقة العجيبة في كتابة اللغة العربية بحروف عبرية، والحرص على بروز الشكل العبري أثناء الكتابة.

وينبغي الإشارة أخيرا إلى أن النحو العبري لم يترجم في مراحله الأولى كتب النحو العربي، وإنما نقلها كما من حرف عربي إلى حرف عبري. فنحن هنا لسنا في معرض الحديث عن عملية الترجمة مثلا. إذ لم تكن هناك ترجمة. بل كانت عملية إعادة كتابة لنص من لغة عربية إلى لغة عربية لكن بحروف عبرية.

مما يجعلنا أمام لغة يهودية تدخل ضمن حقل الثقافة العربية-الإسلامية أو هكذا نريدها أن تكون.

وتدعونا هذه الملاحظة إلى اعتبار النحو العبري في الأندلس الإسلامية وفي المشرق العربي عموما (العراق ومصر خصوصا) تراثا عربيا-إسلاميا مع ما يعنيه ذلك الربط الثقافي والجغرافي والتاريخي من ضرورة استحضار ذلك البعد أثناء دراسة التراث العبري عموما داخل فضاء الثقافة العربية-الإسلامية.

لذا فإننا ندعو إلى ضرورة الاهتمام بالنحو العبري – موضوع هذه المداخلة – من هذا المنطلق، أي أننا نوجه النداء للباحثين العرب ليعيدوا قراءة ذلك التراث ويعيدوا نشره في ضوء الثقافة العربية-الإسلامية، لأنه تراث عربي-إسلامي رغم أنه مكتوب بلغة عربية ولكن بحروف عبرية.

لقد آن الأوان لكي نضطلع بهذه المهمة بعيدا عن الأحكام المسبقة والمواقف السلبية التي لا تخدم البحث العلمي الأكاديمي بقدر ما تزيد من ضحالة الفكر وهيمنة الفوضى والتسلط والوصاية على العقل.



وحينما نلاحظ الترجمات العبرية اليوم لهذا التراث تتعمد إخفاء اسم سيبويه فمعناه أن النية مبيتة لفصل ذلك التراث عن البيئة التي عاش فيها وانطلق منها. وعلينا التصدي لمحاولات التشويش والتشويه تلك ليس فقط باسم الأمانة العلمية الأخلاقية، ولكن أيضا لأن ذلك التراث ملك لنا ولا يجوز لنا التفريط فيه بأي وجه كان.

ونشير إلى ان الاهتمام بهذا التراث عموما ينبغي أن يسير في اتجاهيْن متكامليْن: ففي مرحلة أولى نقترح إعادة كتابة ذلك التراث إلى اللغة العربية (هذه العملية سهلة لأن التعبير عربي والحروف عبرية)، ونقوم في مرحلة - وهي الأهم والأخطر - بالقيام بدراسة نقدية لذلك التراث لما قام اليهود بترجمته إلى اللغة العبرية ترجمة فعلية. وتعني الدراسة النقدية العودة إلى المصادر التي انطلقت منها تلك الترجمات ومعرفة مدى درجات التدخل المباشر من طرف المترجمين في تحريف الترجمات وتشويهها عن قصد، بغية التقليل من حجم التأثير العربي-الإسلامي في تلك النصوص العبرية-العربية.

وتبقى الإشارة، في الأخير، إلى التوراة اليهودية والكتاب المقدس المسيحي أو الأناجيل. إننا ندرك جيدا أن كثيرا من الغموض يلف الكتب الدينية اليهودية والمسيحية على السواء. ولعل مصدر الغموض الأول يعود إلى اللغة التي كُتبت بها التوراة أولا والأناجيل فيما بعد. ولعل هذا العائق أيضا هو الذي دفع الكنيسة إلى تبني اللغتيْن اليونانية واللاتينية في مرحلة من مراحل محاولة إعادة استكشاف الخطاب الديني عموما.

لذا فإن إعادة توطين التوراة والأناجيل في مكانها الأصلي، وهو الشرق القديم كفيل بوضع آليات جديدة لإعادة فهمها فهما جديدا.

وندرك جيدا الجرأة الزائدة في هذه الفكرة. ولكنها محاولة إعادة جملة من الأمور إلى نصابها، وعلى رأسها إعادة امتلاك النحو العبري واعتباره تراثا عربيا-إسلاميا بكل ما تعنيه الصفة من قدرة الدين الحنيف على احتضان كثير من الديانات والمذاهب والنزعات واستيعابها لأن الفكر الإسلامي يمتلك من القوة ما يجعله قادرا أكثر من غيره على تدبير مسألة الاختلاف، في إطار من الحرية الفكرية التي لا يمكن لها أن تتحول إلى خلاف.

فما أحوجنا إلى الاعتبار من دروس التاريخ. وتراثنا الثقافي في الأندلس الإسلامية شاهد على ذلك. وعلينا أن نولي عناية خاصة بهذا التراث لما له من أهمية من الناحية التاريخية (في صلتها بمفهوم الذاكرة الجماعية المتداولة كثيرا في زماننا هذا). ولعل هذه العناية هي التي يجب أن تكون حافزا لنا لكي نتصالح مع ماضينا المجيد كاملا، دون انتقاء أو إقصاء أو إلغاء، وذلك لكي يكون لنا موضع قدم في الدراسات المقارنة عموما. كما أن هذا الاهتمام يجعلنا نكون حاضرين في الدراسات الجادة والرصينة، وفي إعادة تحقيق كثير من نصوصنا القديمة التي يوجد كثير منها في مكتبات عالمية كبرى (المكتبة الوطنية في باريس، ومكتبة الإسكوريال في مدريد، ومكتبات جنيف ولندن وأكسفورد وواشنطن ونيويورك وهارفارد وبوسطن وسانت بيتيرسبورغ...). فمن العيب أن يحقق الباحثون والمستشرقون الغربيون مخطوطاتنا ونحن نكتفي باستيراد كل شيء.

والله الموفق.